

الباقورى

# ثائر تحت العمامة



نعم الباز



الهيئة الوطنية للمكتبات والارشيف



الباقوری

# ثائر تحت العمامة

---

نعم الباز



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٨



إلى النائر تحت العمامة  
لعلك فى مقعد صدق عند ملك مقتدر  
تعلم أن فكرك مازال بيتنا .

نعم الباز



بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

### « لماذا نأثر تحت العمامة »

ليس هذا عنوانا لكتاب ولكنه صيغة لشخصية هذا الرجل - الشيخ أحمد حسن الباقوري - الذي عاش خارج عصره . . طفلا وصبيًا ثم شابا وشيخا . . ثار منذ طفولته في باقور من أعمال أسيوط على الدجل والشعوذة . . ثم ثار على أساليب التعليم في معهد أسيوط الديني وهو مازال صبيًا . . واستمرت ثورته يؤججها الاستعمار حتى أصبح مشعلا يضيء الثورات حوله وهو طالب بالأزهر الشريف . . وأيضا حينما التزم بشيخه حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين كان نائرا وحينما استوزر كان توليه لوزارة الأوقاف عام ١٩٥٢ ثورة في إدارة الأوقاف وفي الوزارة أيضا .

وكان بناء النفس يدور حول قوله دائما « ولنا في رسول الله أسوة حسنة » حيث أصر أيضا أن تكون رسالته لنيل العالمية حول حياة وسنة سيدنا رسول الله ﷺ .

لقد عاش الشيخ خطوات صاروخية في طموحات مسورة بسياج منيع من بنية الإسلام نسيجها تشبع مدروس لمجتمع المدينة الذي انصهر فيه المهاجرون والانصار ذلك المجتمع القوى الذي انطلقت منه الدعوة فاخترقت حاجز القوة لأكبر قوتين في العالم في ذلك الحين - الروم والفرس - كان هذا المجتمع بشكله ومضمونه هو زهرة حوار الدائم مع تلاميذه ومريديه .

لقد كانت فناعة الشيخ تظهر جليلة واضحة في محورين لا خروج عنهما وهما الشورى والعدالة الاجتماعية المعتمدة على دراسة مستفيضة لميزان العدل عند عمر بن الخطاب .

عاش الشيخ إسلاما مستنيرا يحارب من أجله في مجتمع الشيوخ .

والكتاب يجيب على علامات استفهام كثيرة ليست حول حياة الشيخ الباقورى ولكنها تؤرخ لأهم منعطفات ثورة يوليو . . ونسيج الكتاب حوارات مع الثائر تحت العمامة يلقي الضوء من خلالها على الصراعات التي كادت تعوق مسيرة أهم ثورة قامت في العالم الثالث في منتصف القرن العشرين والتي كان استمرارها هو الضوء الأخضر لكثير من الثورات التي غزت نظم الحكم بل والبنية الاجتماعية في الدول التي قامت بها سواء في المنطقة العربية أم في الكتلة الأفريقية .

ومن خلال مواقف إنسانية بالغة الروعة والقسوة بين ثائرين أحدهما تحت العمامة والآخر تحت السلاح وأعنى جمال عبد الناصر لعننا نستطيع أن نعيش هذه الأحداث .

نعم الباز

المعجمى

في يوليو ١٩٨٣



الحوار الأول



طفولة فى باقور  
صبي فى أسيوط  
وبذور الثورة تحت العمامة

## البداية :

● حينما رأيته لأول مرة في ربيع عام ١٩٥٦ كان وزيراً للأوقاف وكان استواره ثورة في الوزارة فعلاً . . فقد بدأت العناية بالمساجد كتراث وليس كوعاء للدين فقط وبدأت كلمة أوقاف تأخذ معنى حضارياً ليس مغلقاً على المستحقين الذين يعيشون الاستحقاق بوضوح . . بدأت الأعانات تشير نحو مبدأ « إرحموا عزيز قوم ذل » وهؤلاء هم الذين لا يمدون أيديهم أبداً . .

وبدأت مرحلة ترميمات للآثار الإسلامية التي تقع في كنف الوزارة باعتبارها تاريخاً . .

وأصبح منبر الأزهر يزدان بخطيب كان يخطب فيه ثورته الأولى وأصبح واحداً من الذين عملوا في ربيع ثورة يوليو الحقيقية . .

كان الرجل دائم العمل هنا وهناك يشرف بنفسه على كل كبيرة وصغيرة . . وكنا على عتبات الصحافة والنقد يلمع دوماً في سنون الأقلام فكتبت موضوعاً عن الوعظ في مسجد السيدة زينب رضى الله عنها ووجهته إلى شيخنا أنتقد فيه أساليب المشايخ في وعظ ضعاف العقول ، وكان سمحاً في قبول النقد الشاب ، واجتمع بأئمة المساجد وطلب تغيير هؤلاء الوعاظ وتحديد مواضيع الوعظ بما يتفق مع حاجات هؤلاء الناس الذين يفهمون ولا يقرأون . . وابتلعت ثورتي على الشيخ فقد استقطبها وأقر بما قلته . . وأصبحت أواصر الصداقة تربط بيني وبينه وبين آل بيته الكرام . . وأصبحت الصلات دائمة .

.. وإليكم مصر الثورة من خلال هذا الثائر تحت العمامة .

## ثورة طفل

في ذات البيت بمصر الجديدة .. ونفس المكان ، الشيخ على أركيته الشرقية المريحة والحوائط قد غطتها الكتب وأمامها تلمع « النظارة » وعمامة الشيخ تشاركنا الحوار .. وشباب يلمع في عينيه بين حين وآخر وابتسامة لا تفارق محياه السمع وسؤال من أعماق الأيام أسوقه إليه ، وأنا أعلم أن الثائر يبدأ ثورته من أول تفتحه على الحياة .

● طريق طفولتك .. وبدايته في صعيد مصر .. في قرية باقور .. حاول أن تحكى لنا بداية الثائر ؟

لم يتردد لحظة وكأنه أمام خيط التف بعناية وأمسك بطرفه فوراً في هدوء أمامه .. وقال الشيخ وهو يستعذب الحديث وما أعذبه .

● ألد شيء في حياة الإنسان الطفولة .. غير أن من القواعد المقررة أنه كلما تقدمت بالإنسان السن إلى الأمام تراجعت به ذاكرته إلى الوراء يكون من العسير أن يتذكر الإنسان كل شيء حدث له في طفولته إلا أشياء معينة تبقى معه ما عاش .

حياة قرى مصر دائماً هي عيش خشن وفيها عدم عناية إطلاقاً بالنواحي الصحية أو النواحي الاجتماعية .. فإن أقصى ما يمكن أن يطمع الإنسان فيه أن يلعب يوماً - يمكن مرة كل شهر - بالكرة الشراب ويكون في هذه الحالة مستعداً أن يرمى بالتراب في عينيه فتلتهبان وقد يضع قطرة وتكون قديمة ويبكى أسبوعاً وإذا أصابه شيء من الرمد الصديدي أقصى ما يناله من علاج أن يوضع في حجرة مظلمة لمدة أسبوع أو أسبوعين .. ويقولون إياكم والماء لأنه يفسد العلاج ..

وأردت أن أغلق باب الألم وأفتح باب الأمل فحولت دفة الحديث وكأني أحول الماء في التربة ليروي أرضاً أخرى عطشى أيضاً للماء ..

## الأصل من تونس

● نريد يا مولانا أن نتذكر لنا الأسرة وبدايتها في باقور أو قبل باقور .

وكأنما عاد النيل ليبدأ من منبعه في رحلته عبر التاريخ فقد هدأ الشيخ حديثه ثم قال :

● كان والدى يذكرنى دائماً بأننا وافدون على مصر من المغرب العربى ومن تونس بالذات من بلدة اسمها « سوسه » . . وكان أهل المغرب العربى على استمرار هذه السنين من أهل التصوف ولذلك كان والدى حريصا على أن يستصحب معه صورة المتصوف الذى يقود حلقة الذكر ويعنيه فى المنزل الأولى أن يكون أولاده من الذين يأخذون العهود عن مشايخ الطرق فى ذلك الوقت كان هناك شيخ مقدور اسمه الشيخ محمد حامد وكان من أفضل مشايخ الطرق علما وأدبا وشكلا وكان من تلاميذه ومريديه الدكتور على باشا ابراهيم فهو زميل والدى فى الطريقة الخلوتية ، وذات يوم قال لى : « نعطيك عهدا » فلم أملك شيئا أقوله وكانوا يضعون الذى سيأخذ العهد فى الوسط ويتحلق أهل الذكر من حوله وينشدون أناشيد بأصوات طيبة ثم يذكرون إسم الله فى حوالى النصف ساعة وكأنهم يريدون بذلك إغراقه فى مشاعر وأحاسيس جديدة وعلى ذلك مع الأسف الشديد كان فى كل قرية جهله أضفى عليهم التصوف معنى من القداسة والاستماع لقولهم من رأى العام ومن هؤلاء رجل يذكرون عنه واصل ولسوء الحظ كان قريبا لى وانبأنى أن رسول الله ﷺ كان يخلق شعره تماما . . وقال لى إن أردت أن تقتدى برسول الله صلوات الله وسلامه عليه فاحلق رأسك . .

● كم كان عمرك ؟

— عشر سنوات

— ودراستك ؟

— الكتاب وكنت قد حفظت جزء عم وكان القرآن قديماً يحفظ من آخره حتى أوله وقد بدأ من سورة قل أعوذ برب الناس . .

وأردت أن نأخذ رأيا تربويا من عالم جليل :

● لنا وقفة . . ما رأيكم فى هذه الطريقة فى تعليم الدين والقرآن الكريم ؟

قال بتمن :

— ياليتنا نعود إليها !

● أنهم يختارون أجزاء من السور الكبيرة ولكن لقصار السور موسيقى وجمل تغرى الصغار بالحفظ .

— قال بسرعة وهو سعيد برأيه :

— تماما . . إن لها موسيقى وتعود الأولاد على نطق الكلمات العربية نطقا

صحيحا . .

### ● نكمل باقى صورة الأسرة !

— كان والدى كما قلت واحدا من المتصوفين وكان أبوه الشيخ أحمد عبد القادر وجده الشيخ عبد القادر بدوى كان يزعم - وكل مسلم أمين على نسبه - كان يزعم دائما أنه رضى الله عنه ينتسب إلى آل البيت عن طريق الحسن بن على من فاطمة الزهراء . . ولما جاء إلى مصر حاول أن يختار زوجة تكافئه فى نسبه .

### ● هل نزل على باقور مباشرة ؟

— لا . . نزل فى بلد اسمها دوينه . . وهى فى صعيد مصر على الجبل فى منطقة أسيوط ثم تحول إلى بلد اسمها « باقور » وهو أسم فرعونى قديم كما أنبأى الأستاذ حسن صبحى . . وكان جدى عالما من الأندلس ثم طرد إلى المغرب ثم نزحوا إلى مصر . .

### جده يتزوج

وحينما جاء الشيخ عبد القادر بدوى وأراد الزواج إختار زوجته من بلدة فى صعيد مصر أيضا تقع أمام نزلة الشرفاء واسمها « مشط » وهناك وجد حسينية إسمها « أم على » .

وقطع شريط الذكريات وضحك ثم قال :

— هل تتصورين يانعم أننى وأنا وزير فى وزارة الأوقاف جاءنى رجل وقال لى : لقد حضرت لأعطيك ميراثك فى أخوالك وجاء « بملجوطه » . . أو ملقوطه أى قفة صغيرة جدا وبها بعض التمر وقال هذا هو ميراثك من طرح نخلة أنت وارثها . . وكلما قفز الحديث إلى زمان غير الزمان ألححت فى العودة حتى نصل إلى جذور الشيخ ونعود لأسباب الثورة التى نمت تحت العمامة . .

● نعود لصباك صغيرا بعد أن تحلقوا من حولك وذكروا اسم الله حتى تأخذ العهد . .

وأمسك بالخييط سريعا . . سعيدا بالعودة للجذور وقال :

أخذت هذا العهد . . عهد الطريقة الخلوتية التى كان أبى من اتباعها .

### ● هل مازالت موجودة ؟

— نعم مازالت موجودة . . لأن الأسرة لا تزال موجودة واسمها عائلة الزيكى .

## ● ومن هو شيخهم الآن . . ؟

— على ما أظن الشيخ محمد أحمد حامد . . وكان شيخى هو الشيخ محمد حامد ويقولون أنه مات فى الحجاز أمام قبر رسول الله ﷺ .

ومن الطرائف التى رمانى بها الجهل الذى يسبغ عليه لون من القداسة أن الرجل الذى أقنعنى بأن حلق شعر الرأس سنة وشريعة إسلامية قال لى : لو كنت تريد أن تكون موصولا ومن أهل الشورى تحت رياسة السيدة زينب رضى الله عنها لابد أن يكون فيك قوى روحية . وكنت مستعدا فى ذلك الوقت أن أفعل أى شىء وزعم لى الرجل أن أقرب طريق للوصول إلى الله أن أتلمس قبراً دفن فيه ميت حديث وأن أبيت الليل معه . . . وسرت قشعريرة فى بدنى وخرج الخوف فى جملة :

## ● هذا صعب جدا .

قال وكأنه يتمثل ما حدث :

إنه فى غاية الصعوبة . . إن هذا الحادث كلما تذكرته فى بعض الليالى وتمثلت كيف ووجهت بهذه التجربة فإنى أظل مستيقظا حتى الصباح . .

وأكمل الحكاية وكأنه صوت يأتى من أعماق الخوف : كنت فى هذه الأيام أصوم رمضان وأصلى وأقرأ وُرد السَّحَر وانتهزت فرصة بعد ذلك وكانت بلدتنا تقع شرق النيل والمقابر كعادة أهل الصعيد غرب النيل وكان لابد أن أنتهز فرصة يوم الخميس وليلة الجمعة وعبرت إلى غرب النيل أبحث عن قبر حديث الدفن لأنام فيه ووجدته فعلا ودخلت ولكن أطوافا من الخيال جعلتنى فى تلك الليلة أعيش مع إنسان يحدثنى وأحدثه . . وبعد فترة قصيرة فتحت عيني ووجدتنى فى عيادة طبيب فى أسبوط إسمه عبد الفتاح لأننى صرخت صرخات متوالية أزعجت الناس فهبوا إلى وظنوا أننى جئت إما لأخذ شيئا من البيت أو أنى مجنون وعلى ذلك لابد من فحصى جيدا .

وأنا أحكى هذه الحادثة لأننى خرجت منها فى غيبة كاملة من الوعي وهى حادثة أسوقها للناس أصحاب الأولاد حتى لا يسلموا قياد أولادهم لغير أمناء على التربية الصحيحة . . والولد فى هذه السن يكون متفتحاً ويبلغ أقصى ما يتطلبه منه الدين لو قضى ما يتطلبه منه الدنيا فالإنسان فى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة يكون حريصا أشد الحرص على أن يبلغ الغايات التى تكاد تكون خيالا أو هى أقرب إلى الخيال من الحقيقة . .

إن هذه الحادثة لا أستطيع أن أنساها ويقولون إن كل من خرج من العهد لا بد أن يصاب أو يعاقب في حياته أو جسمه بأية مصيبة .

ولابد أن يعي الناس جيداً بحيث لا يسلمون زمام أولادهم لمن لا يفهمون وكان هذا المعنى من أصعب المعاني التي مرت بي في حياتي .

وأحسست أن صاحبنا كان هنا في مفترق طرق وأنه بدأ من هذا المنطلق يفكر في التحرر من هذه الأفكار وأن يثور عليها . .

● كيف تخلصت من هذه الأمور . . كيف استطاع عقلك الصغير أن يتحرر منها ؟

ابتعدت عن هذا الشيخ . . وأصبحت أكثر قرباً من أبي وكان منقذاً أيضاً معهد أسيوط الديني الذي أنشئ في ذلك الحين وقالوا إن الذي يحفظ القرآن أو جزءاً منه يستطيع أن يدخل المعهد . . وحرص أبي رحمة الله عليه أن يلحقني بالمعهد .

أردت أن يوضع حوارنا في شكل وثائقي فقلت أعترض مجرى الحديث :

— أريد أن أعرف كم كان عمرك تماماً في ذلك الوقت ؟

قال :

— ولدت في ٢٦ مايو عام ١٩٠٩ ولكن هناك واقعة طريفة ترتبط بمولدي وهي تعطي فكرة عن حال الناس في ذلك الحين . . فقد ولد لي أخ قبل عامين في مايو عام ١٩٠٧ وأصيب بالجدرى ومات . وبعد عامين رزقت أُمِّي بمولود هو أنا وقالوا ليس هناك داعٍ للتسجيل ولدنا شهادة ميلاد وعلى هذا أعطوني عامين زيادة فوق عمري وكان السجل قد كتب أحمد حسن حمد ونحن ليس في جددونا حمد فقد نسي الرجل حرف الألف وتركناها كما هي ولكن حينما جئت إلى القاهرة ودخلت الأزهر وأخذت شهادة التخصص أحببت أن أصحح الخطأ فكتبت إلى الدفتر خان في أسيوط وكتبت هكذا . « أحمد حسن الباقوري » ابن الشيخ عبد القادر بدوي وبعثت لهم بخطابي . . كان هذا عام ١٩٣٤ . . هل تتصورين أنه جاءني الرد بتصحيح الاسم الأصلي وأنا وزير للأوقاف عام ١٩٥٥ . .

● ما شاء الله بعد ٢١ سنة . . بلغ الخطاب سن الرشده ١١

— تماماً . . وجدت إشعاراً وصلني وقالوا لا داعي لعملها نكتة وتنشرها في



الجرائد .. ولم أنشرها أنا إلا هذه الأيام أى بعد ٢٨ عاما ..

هذه القصة المضحكة تعادل ما عانيت في المقبرة من خوف .. هذه هي التعادليات أن يعادل الشر الخير والمضحك المحزن .. ذكرت لكم النوم في القبر ثم ذكرت إلى جانبها هذه الصورة ..

\*\*\*

وبشكل وثائقي أيضاً تعمدت هذا السؤال :

○ من كان مثلك الأعلى في تلك الفترة المبكرة ؟

قال وما زال يعيش نفس القدوة :

— سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كانت قراءتي لورد السَّحَر وسيرة رسول الله غسلت قلبي عما عداه .. ومسحت تلك الصورة السيئة التي أخذتها من ذلك المتصوف المشعوذ التي ما كان يجب أن أتعرّف عليها .

وأردت أن أرسم صورة للمكان الذي عاشه تماماً ونفس الحى الذى أشترك في تكوينه فسألته وأنا أعلم أنه خير من يصور الكلمات :

● كيف كانت القرية المصرية في ذلك الحين ؟

قال كأبلغ ما يكون الوصف وكأنه رسام بالريشة وجعل يرسم صورة من الفن الواقعي النابض بالحياة :

— كانت قريتي مثل كل قرية .. كانت البقرة جزءاً أساسياً مع الذين تتألف منهم الأسرة ... وما إن يجيء فصل الشتاء فينصب بوص في الخلاء ويأخذون الأسرة كلها إلى هذا البوص وخارجه تربط البقرة لترعى وتشرب ويجلب لبنها في الصباح الباكر ويصنعون منه القشدة والزبد والجبن .. كان هذا البوص يسمونه « الحماد » .. وكان السبب لخروجهم أن البقرة حينما تلد في البيت تفسد البيت ولهذا يخرجونها خارجه لاحتياجها إلى مكان فسيح تأكل البرسيم وتشرب الماء ويكون حولها مكان فسيح لفضلاتها .

كانت أُمى توقظني قبل طلوع الفجر لألحق بالكتاب في القرية .. وقشعريرة تتأبني وأنا أتحيل حياة الخلاء في الشتاء .

● كيف كانت الحياة في « الحماد » .. قارسة البرد أم دافئة ؟

قالت بسرعة :

— لا .. برد طبعاً كيف يكون الخلاء دافئاً ؟ .. كنا نحاول أن نستعين بالنار على البرد فكنا نوكد « الكانون » لنطهى عليه الطعام .. وهناك صورة لقسوة الطبيعة فكنا فى الصبح حينما نمشى على البرسيم وقد بلله الندى كأننا نمشى على نار ذلك لأن البرودة إذا اشتدت تنقلب إلى نار .. طبعاً المفروض أننا كنا نستخدم الحذاء ولكن هذا كان تجاوزاً ..

وصورة من صور الحنان لجدتي العجوز .. فقد كنت آخذ البقرة لأفطرها البرسيم وحينما أعود أجد جدتي قد أعدت لى إثناء الحليب وقد وضعت معه الخبز المفتوت وكنت آكله وأجده لذيذاً جداً ثم أتوكل على الله وأذهب إلى الكتاب .

وتعجبت للأم التى لا تعرف سحر الكلمة المكتوبة .. وكيف يطاوعها قلبها أن يصحو صغيرها فى الفجر ليتعلم شيئاً لا تعرفه ..

وسألته : كيف كانت الأم فى القرية تكبت كل حنانها من أجل تعلم الصغير وتخرجك فى هذا البرد القارس ؟ ..

قال وكأنه يقيم الأم المصرية فى تلك الفترة :

— نعم كانت تفعل الأم المستحيل فى سبيل تعلم أولادها .. لقد كانوا يلقنونها أن الزمان كلما مشى على الولد . أصبح رجلاً قويا بعد ذلك .. المهم أن يحتمل الشدائد وكان التعليم شيئاً جديداً والتعليم الدينى منتهى أمل الناس فى القرية ..

\*\*\*

ومع بداية عامة الحادى عشر .. كانت قدماء الصغيرتان قد عرفتا طريق الشوارع المرصوفة فى مدينة أسيوط وكان قد عرف طريقه إلى المطاعم ليأكل الفول والخبز الذى يأكله أهل المدينة ويودع « البتاو »

● كيف كانت حياتك فى أسيوط ؟

— قدمتها مع أبى لألتحق بمعهد أسيوط الدينى فى نهاية سنة ١٩١٩

أحسست أن البندر شىء والريف شىء آخر .. الريف ليس فيه إلا التراب فطوى النيل يتحول إلى تراب إذا ثارت عواصف تجد التراب يملأ كل شىء فيك .. فى البندر عربات تقودها الخيول و « عربجى » قاعد بمنظر لطيف والأرض مسفلتة وفى الصباح تقعد فى دكان ومعك تعريفه تأكل رغيف وفول نابت ... شىء مختلف

عن القرية تماما . . كنت أذهب إلى أسبوط يوم الجمعة وأظل بها طوال الأسبوع ثم أعود إلى القرية يوم الخميس وأبات للجمعة . . كنت أركب « الركوبة » الحمار من باقور حتى أسبوط وكانت المسافة في ٥ ساعات أو ٦ ساعات . . أحيانا كنت أمشي على قدمي . .

\*\*\*

ومن الأحداث التي لا أنساها أبدا نتيجة التأخر والتخلف في القرية وعدم وجود الكهرباء والوعى الكافي . . أنه حدثت حادثة أتذكرها كأنها وقعت بالأمس . . فقد مشيت ذات ليلة في الظلام وكانت أمي وضعت طفلا رضيعا وأنامته أسفل السلم على الأرض فإذا بي أمشي دون أن أشعر على بطن الرضيع . . ومات الصغير . .

وإذا كان هناك إنسانا يحس بجريمة قتل في حياته فأنا لدى هذا الاحساس . . وعن طريق هذه الحادثة هنا حقيقة علقت في ذهني صور من الإهمال وأن المسلمين مرت بهم من العصور ما تعتبر كلمة ظلام لا تصور الحقيقة بل أقل منها بكثير . . فهي ظلام وفقر ومرض . .

كل هذا حينما يجتمع على شعب فلا بد من تأكله كل هذا كان له أكبر الأثر في حياتي بعد ذلك . .

فكل خطوة خطوتها كان لهذه الحياة الاجتماعية أثر في تصرفاتي . . هذه الصور هي التي أذكرها جيدا من طفولتي . .

\*\*\*

وكان الربط وثيقا بين معطيات الثائر بعد ذلك ومعاناته في الصغر وهي معاناة جيل كامل . . استمر يسرد مبررات ثورتها بل أسباب تحريضه على الثورة . .

أذكر مرة أنني خرجت ألعب - وكان أبي وأمي يمنعاننا من اللعب - ذات يوم كنت ألعب نطة الانجليز - وكنت خفيف الحركة فسبقت صغيرا ممتلىء الجسم فاغتاظ أبوه وأخذ حفنة من تراب وألقاها في وجهي وامتلاأت عيناى بالتراب وأصبت بالرمد الصديدي وبقيت في حجرة مظلمة مغلقة لا أرى نورا لمدة خمسة عشر يوما . . وهنا تضاعفت في نفسي معاني الخلوة الفطرية التي يضيق الناس بها . .

ومن هنا كنت من أقرب الناس دفاعاً عن الوحدات الصحية التي فكرت فيها  
ثورة يوليو في القرية ..

● من هذه المحنة تولد عندك الاهتمام بالمستشفيات ؟

● كان لهذه القصة فعلاً أثر في نفسي .. فقد تمنيت أن تكون هنا مستشفيات  
في القرية يفيد منها الفقير والغنى أو الفقير قبل الغنى ..

● يعني ثورة !

— وكان هذا هو أول عمل عملته بعد أن توليت وزارة الأوقاف فقد زرت  
مستشفى قايتباي الموجودة في بيت القاضي وكنت دائماً أساعدهم لتحقيق الخدمات  
حتى أنني كنت أحياناً أخرج على النظام الموضوع للمستشفيات وكنت في مجلس  
الأوقاف الأعلى وأنا رئيسة وأعضاؤه هم وزراء المالية والصحة ووزير التعليم كنت  
أخرج عن الميزانية وأعطى للذين يعملون في المستشفيات مكافأة وكانت هذه تخرج  
بعض الوزراء ومنهم وزير الصحة وهو أخ عزيز لدى هو الدكتور نور الدين طراف  
فكان يقول لي :

— إذا كنت أنت حتعمل كده .. إحنا حنعمل إيه ؟ .. إحنا مقيدين بالميزانية  
ياشيخ أحمد ..

هذه كانت من أحلام الطفولة التي حققتها وأنا فعلاً وددت أن يكون لكل  
مواطن قدر على أن يعيش في حياة هادئة .. مشروع الحفاء أيضاً عملت فيه وزارة  
الأوقاف شأننا كبيراً ..

المعنى الكبير الذي أخذته من التصوف الرفق بالناس كذلك من معاني الإسلام  
« أكرموا عزيز قوم ذل » ..

\*\*\*

وتركته يسترسل وقد أحسست أن قطع حبل الحديث يقلل من التدفق :

— بعد مصادرة أموال الأسرة المالكة ، كانت هناك أميرات يكدن لا يجدن  
القوت الضروري وأشهد أنني كنت أخرج لهن جزءاً مضموناً من الأوقاف .

● بعد ثورة يوليو زاد إيمانك بحكمة الإسلام « أكرموا عزيز قوم ذل » ..  
كيف والثورة عليهم ؟ ..

قال يؤكد بما فعل غير هباب إلا من الله سبحانه وتعالى :

— هذه الحقيقة الحرص على المعاني الوطنية والعصبية الأسرية ضد القانون كنت أمقتها كنت أريد أن أستبدل بالعصبية الأسرية عصبية القانون . . أنا ضد العصبية لأى شىء . .

بلدنا . . قريننا كان بها عدد كبير جدا من الأقباط وكان بيتنا فى موقع المسيحيين . . وكنا ننادى المسيحيين بباعمى وكانت لها صديقة عزيزة جدا إسمها دميانة ولأنى كنت أنادى جدى « بستى عزيزة » كنت أنادى صديقتها ( بستى دميانة ) وكانت تضعنى فى مكانة هامة عندها . .

● هذه هى الوحدة الوطنية الحقيقية !

واسترسل الباقورى :

— أنا أذكر من ستى دميانة شدة برها بى فى طعامى وفى منامى . . أذكر جيدا أنها كانت تضع قدمى الباردتين فى الشتاء بين قدميها لتدفئنى . . أنا أذكر ستى دميانة مثل ما أذكر ستى عزيزة بالخير دائما . .

\*\*\*

ولا يمكن أن يكون كل ما قال عن أسيوط هو كل ما نريد فقلت أسترجعه :

● هل يمكن أن نعود إلى حياتك فى أسيوط ؟

وعاد الرسام الفنان يرسم صورة دقيقة لحياة الطالب القروى فى المدينة :

— حياتى فى أسيوط كانت مثل كل طلاب مصر حين يقدون إلى المدن لطلب العلم . . كنا نسكن حجرة أنا وزملائى الطلاب . . كانت هى الحمام وحجرة الجلوس والمكتب فى آن واحد . . كان سريرنا هو « جحش » من الحديد أى قطعة من الحديد هنا وأخرى من الحديد هناك وعليهما الواح من الخشب . . هذا من حيث السكن والعيش . . أما الأحوال السياسية فقد كانت حركة الوفد قد بدأت وبدأت الاعتقالات فى عام ١٩٢١ بعد الافراج عن سعد باشا وكانوا قد أخبرونا عن أحوال ثورة ١٩١٩ فى أسيوط حيث أنهم كسروا متجرا أجنبيا كبير اسمه بنك شتاين ويقال أن من كثرة العطور التى كسرت فيه كانت رائحة المكان نفاذة جدا ويكاد يغمى على

الشخص الذى يمر من أمامه من شدة العطر .

ويعد أن ألف سعد باشا الوزارة كان أصغر وزرائها هو وزير الأوقاف محمد نجيب الغرابلى باشا وأنا أذكر جيدا هذا الرجل لأنه جاء إلى أسيوط مع وفد بالنيابة عن سعد ودعينا لنحضر حفل تكريمه وجاء بقصيدة مطبوعة جاء في مطلعها :

قل لقوم فى هواها أدياء  
أنتمو الأرض وزغلول سماء  
وعن الوحدة الوطنية قال :  
موسوى عيسوى مسلم  
كلهم فى النهضة الكبرى سواء  
سائلوا المدفع إن شتتم  
فهل ميز المدفع بين الشهداء ؟

\* \*

وإذا كان الثائر الصغير قد ثار على ما حوله فى القرية فكيف الحال به طالبا متأثرا بما فى الكتب . . هل يظل معتمدا على المعهد فقط . . وبحسب عن أرضه الجديدة .

● ما هى الروافد الثقافية الأخرى التى اشتركت فى تكوينك بعد الاستزادة من القرآن الكريم وكتب الشريعة والتفاسير ؟

قال وهو يبرز الإنسان كمصدر من مصادر الثقافة :

— كان لدينا أساتذة يدرسون لنا الأدب العربى ومنهم الشعراء وأعظم ما فيهم أنهم كانوا يدعوننا لمناقشتهم . . كان منهم الشيخ عبد الرحيم العدوى رحمة الله عليه . . كان دائما يقول الشعر . .

● من هو شيخ معهد أسيوط الدينى فى ذلك الحين ؟

كان الشيخ إبراهيم الجبالى أول شيخ لمعهد أسيوط الدينى وجاء من بعده الشيخ الأحمدي الظاهري - الشيخ ابراهيم الجبالى كانت فيه أناقة وهيبة كان وحريصا على العلم وكان فى ذلك الوقت يأتى إلينا مفتش اسمه الشيخ صادق عزام وكنا نجلس فى ذلك الوقت على الأرض ويأتى الشيخ المفتش ويكتب ملاحظاته ويطلب كراسات الانشاء ليقرأها ويطلب ملاحظاته أيضا . .

أما الذى أثر فى تماما فهو أستاذنا الشيخ عبد اللطيف . . وأستاذنا الشيخ عبد الجليل عيسى اللذان نقلنا إلى أسيوط معاقبين من الأزهر . . كان كل منهما يحثنا على قراءة جريدة الأخبار التى كان يصدرها أمين الرافعى وأذكر من كتابها كاتباً اسمه محمد على حسن كان يكتب كلمة المجلة وكنا أيضاً نقرأ الكشكول وبه دائرة المعارف الوفدية ويضع كلمات تأخذ طابع الاضحاك . . وفى هذه الأثناء أيضاً قرأنا العبرات والنظرات للمنفلوطى وقرأنا أيضاً ترجمات أحمد حسن الزيات رحمة الله عليه وهى الام فيرتر وروفايل وهما من أمتع ما يمكن أن يقرأ . . وكنا نقرأ ونبكي من أجل البطلة التى تقع فى مأزق . . وكانت روح الجماعة تسيطر علينا فى ذلك الحين فكان يقرأ أحدنا والباقي يستمعون إليه .

وإذا غابت عنا كلمة يسأل بعضنا البعض . . وإن لم نعرف نسأل الشيخ ثم ننتفع بهذا بعد ذلك فى مواضيع الانشاء .

ثم اتجهت بعد ذلك اتجاهاً أدبياً ثم اشتغرتنا فى الشعراء القدامى .

\* \* \*

● من من الشعراء القدامى كان يستفزك فتقرأ له وتشعر أنه يختطف اهتمامك أكثر من باقى الشعراء ؟

قال وهو يعرض حبه الأول للشعر الذى ظل يلزمه حتى الآن :

— كنت أحب المعلقات السبع وحفظتها وأنا طالب ثانوى فى معهد أسيوط الدينى ولم يتجاوز عمرى حين ذاك السابعة عشر . . ومن هنا بدأت تتكون فى ذاكرتى حفظ الشعر . . ثم غذانى شعر أحمد شوقى وجميل صدقى الزهاوى العراقى وكنا نغرق فى السياسة الأسبوعية التى كان يرأس تحريرها محمد حسين هيكل . . فبدأنا إذن بعد وفاة سعد . .

\* \* \*

كان لا يمكن أن أترك وفاة سعد دون أن أسأل وأعرف . . فإن وفاة سعد زغلول تركت بصمتها واضحة فى كل شباب مصر فى ذلك الحين وسجلها نجيب محفوظ فى ثلاثيته وأحدثت تصدعا فى بناء الرواية وبناء بعض شخصياته فكان لابد أن أعترض النهر حتى ولو فاض على الجانبين - أقصد نهر الكلام لصاحبنا أبو الكلام . .

● لنا وقفة عند وفاة سعد زغلول .. كيف كانت أسيوط حينما توفي سعد زغلول ؟



الحوار الثانى



هو وحسن البنا  
وثورة الأزهر

قلت وكأني أمسك بالكاميرا « وأهم بالضبط عليها لأنقل صورة مادية  
تصور حالة وجدانية للشيخ وهو شاب يستقبل خبراً كَوْن نهر دراميا لا ينساه  
شباب مصر الذين عاشوا ثورة ١٩ .

أردت أن أستعيد بأثر رجعي تأثر الشاب اليافع الثائر في غلاف من الدين  
الحنيف . . أردت أن أرى على قسما وجهه مستقبلا من عقله ما حدث يوم  
وفاة سعد زغلول فكان هذا الوصول .

● كيف كانت أسيوط حينما توفي سعد زغلول ؟

أحسست به يتمهل الحديث ويبدأه وكأنه مصاحب بنشيد بلادي بلادي  
لك حبي وفؤادي . . قال وكأنه يصف جنازة سعد زغلول في قلوب أهل  
أسيوط . .

— حينما توفي سعد زغلول كانت أسبوط تموج بالوفديين وكان أهل أسبوط قد تحدّد موقفهم تماما حينما تقاتل الوفديون مع الأحرار الدستوريين في قرية « الحواتكة » مع آل محفوظ باشا . . والأسايطة كانوا وفديين . . فكانت كفة الوفد دائما راجحة هناك . . وكانت وفاة سعد كأنها مصيبة خاصة لأهل أسبوط . . ولأنه كان زعيما بلا منازع يمتد حبه في ربوع القرى وبين المدائن فقد بكّت أسبوط كلها ريفا ومدنا .

ولأننا نعتبر القطوف توثيقا لتاريخ الشيخ فقد كان لابد أن أسأله :

● ماذا كان يمثل سعد زغلول بالنسبة لك في ذلك الحين ؟

قال بلا تردد وبسرعة :

— كنت أحبه وأحب من حوله . . وكانت وطنية سعد مثالا للوطنية . وحفظ الناس في أسبوط قول نجيب الغرابلي باشا حينما جاء إلى أسبوط بالنيابة عن سعد وصحبه :

قل لقوم في هواها أدعياء أنتمو الأرض وزغلول سماء

وهذه تعنى أن حب سعد لمصر يفوق كل حب أى وطنى لها . . وكنا نحب سعد رغم محاولة بعض الشيوخ الذين كانوا يكرهون الوفد أن يلقنوا الشباب أخبارا تشكك في سعد ولكننا نتبع ما يفعل الرجل ولا نستمع لأقوال الخصوم . .

\* \* \*

وبدأت الثورة في عقل الشيخ الصغير ثورة بالكلمة فبدأ يكتب الشعر وبرع في الأرنجال ثم الالقاء وكانت طريقته مميزة في القاء الشعر ويقول :  
— وأذكر وأنا في بعثة الحج عام ١٩٤٥ قابلت نجيب الغرابلي باشا وألقيت أمامه قصيدته التى قالها في سعد زغلول وفى الوحدة الوطنية . . وقال الرجل وهو يتعجب :

— أنا فعلا قلت هذه القصيدة وأنا صاحبها ولكنى لم أكن أعرف كيف أنشدها كما سمعتها منك وظل يستزيدنا حتى جمع علينا الحجاج .

● كيف كان التنافس بينك وبين أستاذك الشيخ العدوى ؟

قال وهو يتسسم ويستعيد حياة الفرسان في الشعر :

— كانت هناك مناسبة وطنية وكنا نعد قصائد لتحية القادمين وكتب شيخى قصيدة وكتبت أنا قصيدة فجاءنى يسأل :

— ماذا كتبت يا ولد ؟

قلت : لا .. لن أعطيها لك ..

فقال : طب قولنى آخر القصيدة .. بأى حرف تنهيها ؟

قلت : نون

قال : أما أنا فقد اخترت كاف ..

● ماذا تذكر من القصيدة .. ؟

قال : اذكر بيتا واحدا منها :

غرض لهم يسعون فى تحقيقه من حب مصر ومن هوى السودان

واجتمع بعدها علماء المعهد وقالوا لو عندنا جائزة لأعطيناها لك وأطلقوا على اسم شاعر الطلبة .

وأصبح على عاتقى منذ ذلك الحين أن أنشد القصائد فى المناسبات الوطنية والأدبية وغيرها ..

● ومن القصائد التى لا تنساها لنفسك وأنت شاعر الطلبة .. هل

تذكر شيئا ؟

قال وكأنه يمر على أشجار التاريخ فيقطف منها أغصانا

— مرض أمين الرافعى وأردنا أن ندعوه بعد الشفاء لنتلقى به فى أسبوط ولكنه

مات فقررنا إقامة حفل لتأبينه وذهبنا إلى أساتذتنا نجمع منهم نقود لإقامة الحفل وكان منه شيخا شديدا التقرب إلى الله ومن شدة ما كان يتقى ربه قال لنا :

— إذا كنتم تقرأون الجظاظيط فهذا حرام ! ..

● ما هى الجظاظيط ؟

قال وهو يضحك

— هي الجازيت أى الجريدة وجمعها جزازيت ..

وأضاف الرجل :

— إن فى هذه الجظاظيط غيبة وفيها تهريجاً وفيها إيذاء للمسلمين بما لا  
يقترفون فقراءتها حرام ..

فسألناه ماذا نفعل لتأيين الرافعى ؟

فقال : اشتروا عجلا واذبحوه ووزعوا لحمه على الفقراء يرحمكم الله  
ويرحم الشيخ أمين الرافعى .. ولم يستحسن الشباب الفكرة لأننا كنا نحب  
المناسبات التى يكثر فيها الشعر والنثر والمناظرات وقلت فى تأيين الرافعى  
وكانوا قد وضعوا صورة له فبدأت قصيدتى هكذا :

عزيز على من كان بالأمس مادحا

أميناً معافى أن يرى اليوم رائيا

ولكن متى كان العزيز على الورى

عزيزاً على الدهر الذى كان قاسيا

أمين ولم أعهدك من قبل صامتا

تنادى دون أن تحيب المناديا

قد كنت للشعب الأسيف أمانيا

فجندل عادى الموت تلك الأمانيا

وكانت بك الأيام غرا نواصعا

فلما تناءت ... إستحالت حياتيا

\*\*\*

وتشغلنى دائما قضية محو الأمية ولا أستطيع أن أواجه مسئولا بالثورة أو  
مسئولا بالفكر عن بلدى دون أن أستفزه نحو محو الأمية وكانت اهتماماته  
الأدبية كلها موجهة ناحية الشعر السياسى تقريبا فسألته :

● هل بدأت نشاطك السياسى فى هذه الفترة ؟

— لا .. كان كل نشاطى أدبيا فقط وكنا قد كونا جمعية الكتلة الأدبية ولو  
أننا كنا نلتحم دائما بالمناسبات .

وقفز سؤال المتعطر دوما إلى إجابته تنفيذية ..

● هل فكرتم في محو الأمية ؟ ..

وكانت إجابته شيئا لم أحسه ولم يشعر به جيل الشيخ كله .. كانت إجابته نحو محو الاستعمار :

— كنت أفكر دائما في تلك الآونة في كيف نقوم الشعب ونوجهه باسم الدين نحو محاربة الاستعمار .

● هذا يعني أن قضية التخلص من المستعمر كانت أهم من التخلص من الجهل !

— نعم .. وعلى هذا كنا نحاول أن نعد في كل مشروع نفعله أو شعر ندونه أن نتمرس فيه على إثارة العواطف ضد المستعمر .

● وخلقتم الهواية الأدبية لتحريض الناس على كراهية الاستعمار .. هل كتبت القصيدة السياسية ؟

— أنا لم أكتب شعرا كثيرا في ذلك الوقت لأن السياسة لم تكن تؤمن لنا في الأتساع في القول ...

● أين كانت تصل طموحاتك في ذلك الحين ؟

— كانت تصل طموحاتي للأزهر وخروج الانجليز وكان والدي رحمه الله عليه ركبه دين كثير نتيجة لغرق الأرض التي زرعها في فيضان النيل .

● إذن كانت لك عدة طموحات .. أدبية للوصول إلى الأزهر .. سياسة طرد الانجليز وطموحات مادية وهي تسديد ديون أبيك ..

وكان كلما ذكر كلمة أبيه أحس بالحزن يغلف كلماته :

فقال : كان أعظم دعاء لي « اللهم اقض عن والدي دينه وفك كربيه واستر عيبه » .

● كيف كانت خطواتك لتحقيق هذه الطموحات ، وهي طموحات نحتاج لسن كبيرة .. ؟

هدأ القول .. وبدأ يسترجع شجرته ليتأمل قطفها الأولى منذ أكثر من

نصف قرن :

— جئنا إلى القاهرة عام ١٩٢٩ يتلقفنا الذين يريدون الاستعانة بالشباب على الجانب السياسى . . ونحن كنا مدركين تماما لكل ما يعترى مصر من هموم اجتماعية وسياسية . .

● بالنسبة لتجوم الأزهر من منهم تعلقت به طموحاتك سواء الأدبية أم السياسية ؟

قال وهو يعيش الكلام :

— الذى كنا نجلس ونتحدث معه ونتتبع به هو الشيخ دراز الذى عاد للأزهر بعد إبعاده للاشتراك فى ثورة ١٩ لأنه كان متمرداً على القصر ومحرضاً للوطنين لذلك نقلوه هو والشيخ عبد الجليل عيسى والشيخ مصطفى الغياثى وكانوا قد أبعدهوا إلى طنطا والاسكندرية وانضمت الموجات من جديد وبدأت السياسة تأخذ شكلاً آخر . . ينشط فى الساحة كذلك الأحرار ومصر الفتاة التى كان فيها أحمد حسين وفتحي رضوان .

● وما هى الاتجاهات السياسية الأخرى التى بدأت تستعين بالشباب ؟ — كانت هناك الأحزاب القائمة وكان حزب الوفد هو حزب الأمة بلا ريب . . الأحرار الدستوريون كانوا فى واقع الأمر طبقات أرفع من الوفد . . الحزب الوطنى كان أيضاً له اتجاه يتغالى فيه يكاد يلحق فى كل من يتمون إليه . . واخترت أن أكون مع الإخوان المسلمين . .

ووقفت عند قوله هذا لنبدأ معه بداية التحاقه بالجماعة ومرشدها العام الشيخ حسن البنا والذى لاحظت طوال سبعة وعشرين عاما عرفت فيها الشيخ الباقورى كان حسن البنا هو درة فكره وحجة أقواله ومثار إعجاب دائم لا ينطفئ على لسان الشيخ . . وقال الشيخ وهو يحكى بدايته مع الإخوان المسلمين .

كنت ذات يوم أسير فى شارع محمد على مع مجموعة من الأصدقاء فقال لنا قائل منهم لعله من الإخوان المسلمين . . « هنا تلقى محاضرة فى عمارة الشماشرخى وفيها رجل يتحدث حديثاً طيباً عن الإسلام فهيا بنا نستمع



إليه . . وسرنا معه إلى هناك وإذا بنا أمام رجل بهى الطلعة فصيح اللسان قادر على الاستشهاد بالقرآن قدرة عجيبة لم ألفها في كثير من الشيوخ الذين رأيتهم . . واستمعت إليه وإذا هذا الرجل هو الأستاذ حسن البنا . .

وبعد أن جلست معه وجدت فيه خاصة من خصائصه العجيبة فإنه يكاد يلمح في وجه الذين يريد أن ينتفع بهم خصائصهم النفسية فيبدأهم بالحديث . . وأذكر في هذه الليلة أنه قال لي :

— ما الذى أفدته من حديثي ؟

فأجبت استفدت كلاما كثيرا . .

قال : أتستطيع أن تذكر كلمة عما استفدت ؟

قلت : إن الأرض تقاتل مع أهلها في دخول بنى إسرائيل إلى بيت المقدس . .

قال : هذا دليل على أنك حاضر الذهن . .

ثم سألتني : لو كنت تريد أن تعمل شيئا لوطنك . . ماذا يكون ذلك الشيء . .

قلت له : أفكر في أن تعلم . .

قال : هذا طريق طويل . . وستأس وأنت فيه وحدك لأنك لن تجد ظهرا . . وعندما يسير المرء في طريق طويل سيمله . . فلا بد لكى تسير في هذا الطريق إلى نهايته أن يكون لك زملاء . . هناك زملاء في جماعة الأخوان المسلمين وغرضها طرد الأجانب من بلادنا وتربية الشعب تربية صحيحة . .

ووعده بالعودة في المرة الثانية وكنت في ذلك الوقت أحب الشعر وألقى بالقصائد فأردت أن ألقى قصيدة أحيى فيها الشيخ حسن البنا وبدأت قصيدتي :

يابنات الهديل دعن العويلا إن فيما مضى وفاء جميلا

وحينما وصلت إلى اسمه « حسن » رفض الرجل أن أكمل وحيثنذ أحسست عظمة الرجل واقتداه بالرسول في قوله عن الله تعالى « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه »

إلى آخر الآيات .. وكان رحمة الله عليه ورضوانه .. إذا التقى بجماعة قام وأطفأ النور قليلا واستغفر الله وصلى على رسوله الكريم ثم يباعدونه على أنهم يعملون لله ولصالح الإسلام والوطن وإنقاذه من براثن الاستعمار .. قاطعت النهر المتدفق بالحماس :  
إذن وجد مولانا طموحاته هنا في مواجهة الاستعمار وتخليص البلاد منه ..

\*\*\*

قال الشيخ الباقورى :

— نعم .. كانت جماعة الإخوان المسلمين تستقطب كل راغب فى الإصلاح وكل محب للقيم وكل محب للوطن بصدق أيضا .. وقد وضع المرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا سندا للإصلاح فى أمور ثلاثة أولها تغيير العرف ..

● كيف كان ذلك ؟

— يعنى مثلا كان يقول حسن البنا رحمه الله ورضى عنه إن « الموضة » إذا قدم للإنسان خمر ليشربها فإنه لا يقول هذا حرام بل يقول مثلا صحتى لا تساعدنى فنحن هنا نخطئ ويجب أن نقول بوضوح إن هذا حرام وإن ديننا لا يساعدنا ولا يسمح لنا أن نشرب الخمر .. سيداتنا مثلا يلبسن ملابس تكشف عن المفاتن وهذا عرف استقر بحيث لو وجدنا سيدة تستر نفسها تكون متخلفة .. تفسير العرف هنا أن يكون التخلف شرفا وأن يكون تعزیه المفاتن عيبا ..

أما الأمر الثانى فى سند الإصلاح فهو الطريق الدستورى وهو أن نعين الذين يصلحون لتمثيل الأمة دينًا وخلقا وغيره على أن يكونوا أعضاء فى مجلس النواب .

أما الأمر الثالث فهو طريق معروف وما كان يريد أن يصرح بكلمة ( ثورة ) لكنه يكتفى بها بكلمة الطريق الثالث معروف - والحدق يفهم - إذ كان لهم تشكيلات فى الجيش والبوليس بعدها ليوم يحىء ويتولى الثورة يظاهرها

تغيير العرف والطريق الدستوري ولذلك فإن كل الأخوان المسلمين الذين تعاونوا مع ثورة يوليو عند قيامها لم يخرجوا عن الأخوان ..

وأردت أن أستزيده عن شخصية المرشد العام للأخوان المسلمين فطرحته هذا السؤال :

هل أحسست بعبقرية ما في شخصية الرجل .. ولم تكن لغيره ؟

وقال وكأنه يقرأ الفاتحة وبساطة شديدة :

- نعم .. وكانت هذه العبقرية مردها أولاً أنه كان كلما أردنا أن نسهر كنا نلتقى في أى مسجد من المساجد وكان يظل يصلى ويقرأ القرآن ثم يشرح الآيات بشكل بسيط سلس وكان دائماً يستشهد بآيات من القرآن الكريم وكان من إقدر الذين حفظوا القرآن واستشهدوا به في كل موطن يمكن أن يكون محتملاً للاستشهاد كان لا يكاد يسقط منه حرف .. كان كذلك يؤاخي بين هذا وهذا ويحاول أن يلتزم في هذا بالرسول عندما آخى بين المسلمين والأنصار . وكان حسن البنا لا يزايله أحد إلا ويراه يقرأ القرآن سواء مستقراً أم مسافراً وأحب ما تستطيعين أن تستمعي إليه قارئاً .. لا أعلم إنساناً يؤثر على المؤمنين به في صلاة يتأثرون بمثل قراءة الشيخ حسن البنا .

كانت عبقرية الرجل أيضاً تركز على جماهيريته وإصراره على النزول إلى الناس في أقصى الصعيد وفي شمال الدلتا غير هباب بحر أو برد سواء ركب دواباً أو سار على قدميه ..

\* \* \*

● أين كنتم تقضون الصيف ؟

وجاءت الإجابة متوافقة تماماً مع ما تصورت حال جهادهم فقد قال الشيخ وهو يزيح العمامة وكأنه يستوحىها الذكريات .

- كنا نرحل إلى أسوان .. وفي بلد اسمه « دراو » وبها أسرة عظيمة من الأشراف وكان في شرقها جبل كنا نرقى إليه ونسهر في الجبل نقرأ القرآن ويفسر لنا الشيخ حسن البنا الآيات ونصلى ثم ننام قليلاً ونقوم لصلاة الفجر ..

وهكذا انعقدت بيننا وبين أهل « دراو » أخوة ومودة كنا نزورهم وكانوا يزوروننا ولا يزال لنا أصدقاء في أسوان وهم من أكبر الناس وأقدرهم على البر فيما يعودون بمناصرة الإسلام واحترام المسلمين ..

وأردت أركز على الشباب في سؤالى :

● أعلم أن لشباب المسلمين أهمية خاصة في تكوين الجماعة .. كيف كان يوجه المرشد العام شباب الأخوان ؟

قال وكأنه يعلن دستورا يؤمن به :

- كان يوصيهم أولا وقبل كل شيء بالمودة بين بعضهم وبعض .. وكان في وصاياه لهم أن يعملوا على الاعتزاز بالقرآن الكريم وحفظه وتمثل نعمة الله عليهم في الانتقال من طور الجاهلية الذى كانوا فيه إلى طور الدعوة التى يريدون بها إصلاح المجتمع .

وكان في بعضهم نزعات غريبة حقيقية أذكر منهم أخا كريما اسمه أحمد رفعت وكان طالبا في كلية التجارة في ذلك الوقت لقد كان يمشى على قدميه مسافات طويلة ولا يركب الترام سواء ذاهبا أم عائدا ولما سأله لم يفعل ذلك فقال :

- لأن هذه شركة غير مصرية فنحن لا يجب أن نعين الشركات الأجنبية لأنها تأخذ أموالنا وترد أموالنا في تربص بنا وتآمر علينا . وكانوا إذا أراد أحدهم أن يتكشف أكثر نام على الأرض ويطلبون تمرين أنفسهم على أن يخشوشنوا إيماننا بحكمة يذكرونها وهى ... إخشوشنوا فإن النعمة لا تدون . وكان شباب الاخوان يذهبون إلى فلسطين ليقاوموا التآمر على بيت المقدس أحد القبلتين واستشهد منهم شباب هناك .

\* \* \*

وهكذا استطعت بأستلتي واستطاع هو بإجاباته .. استطاع كلانا أن يرسم صورة ما قبل الثورة للشباب الأزهرى أحمد حسن الباقورى .. استطعنا أن نعرف روافده وطموحاته وتطلعاته للمستقبل واستطعنا أن نرى رياح الثورة تحوم حوله .. وهنا نحن معه في ثورته الأولى .. ثورة الأزهر ..

● كيف بدأت ثورة الأزهر ؟

قال وكأنه فلاح عنى بالزراع وأرهق فيه وأن أوان الحصاد ..

- بدأت ثورة الأزهر حينما غضب الملك فؤاد على الأستاذ الشيخ المراغى وكلفه بأن يستقيل فاستقال . . والشيخ المراغى كان يأخذ طريقته عن الإمام محمد عبده والإمام محمد عبده كان الفرق بينه وبين جمال الدين الأفغانى كالفرق بين الطبيعة الجبلية فى أفغانستان والطبيعة السهلية فى وادى النيل . . هناك الغلظة والخشونة وهنا السماحة والبساطة ذلك هو الفرق بينهما . .

وكان الشيخ المراغى يأخذ عن الشيخ محمد عبده تلك السماحة والبساطة . . الشيخ محمد عبده قتله القصر والشيخ المراغى يريد القصر أن يخرج به وتابعه بالمتابع الكثيرة وأولها رفض القصر للإصلاح الذى جاء به الشيخ المراغى وعندما كنا فى أسبوط ألقنا جمعية اسمها « جمعية إصلاح الأزهر » .

قاطعته لأؤكّد التاريخ :

● إذن بدأت ثورة الأزهر فى أسبوط . . بدورها كانت هناك ؟

- نعم وكان ذلك عام ١٩٢٧ وكان معنا هناك أستاذنا الشيخ عبد اللطيف دراز وكانت له توجيهات أيضا فى ذلك الحين . .

وحينما قبلت استقالة الشيخ المراغى التف كل الذين كانوا يريدون إصلاح الأزهر حول الشيخ المراغى وكان منهم الشيخ عبد الجليل عيسى ، الشيخ محمود شلتوت ، الشيخ حامد محسن ، والشيخ العدوى والشيخ عبد اللطيف دراز والشيخ الزنكلونى على رأس هؤلاء جميعا ، وبدأت تكتلات ضد الأبراشى باشا وشيخ الأزهر الجديد أحمد الظواهرى رضى الله عنه وكان رجلا تقيا صالحا . هنا بدأت ثورة الأزهر وبدأ كذلك الشيخ الظواهرى عهده بملاحظة البعد النسبى بين العلماء والأزهر عن السياسة هنا أصدرت الجمعية الحرة التى كان على رأسها الشيخ الزنكلونى ومن أعضائها الشيخ دراز والشيخ حامد محسن « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

كان صدقى باشا فى ذلك الوقت هو أولى الأمر فقال الآخرون الذين فى المعسكر الآخرون إنكم لا تنتفعون بالقرآن إن الله تعالى يقول « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » فالاعتصار بالأمر بطاعة الله وطاعة الرسول وأولى الأمر تشويه للآية مثال لا تقربوا الصلاة ولا يكمّل الآية ، وأنتم سكارى « بدأوا من هنا ثورتهم . . الشيخ الظواهرى رحمه الله أحب أن يبتعد بالأزهر عن هذه

التيارات . . أما نحن الطلبة فقد قمنا ندعو للاضراب وبدأ النحاس باشا رحمه الله عليه يحرض على الاضراب لأن هذا كان من مصلحته ليستعين بنا على صدقى باشا وجمعنا جميعا عنده .  
فى ذلك الوقت أحيا محمد محمود باشا قانونا قديما كان قد اتخذ من قبل وفيه أن من حرض على الاضراب يحاكم فحوكمنا أولا ثم فصلتنا الادارة مع العلماء الذين فصلوا وقد فصلهم الشيخ الظواهرى بإشارة من الملك .

وقمنا بهذه الحركة ضد القصر فى الحقيقة لتدخله فى شئون الأزهر وهنا أخطأ الشيخ الظواهرى خطأ ما كان يجب أن يقع فيه ولكن الله أراد . . ذلك أن الشيخ الظواهرى حدد الدخول فى الكليات الأزهرية أى بدأ يعمل بنظام - الشيخ المراغى خارج الحلبة ونحن نريد عودته وكان هذا شعارنا ولما كنت زعيم الطلاب وخطيبهم وشاعرهم فى ذلك الوقت فبدأنا ننظم خطبا تلقى فى الأزهر وبدأ الناس يتوافدون على الأزهر الشريف ويحيئون إلينا ويستمعون لنا وبدأنا نحدد أيام الخطب ونحدد أيام الاضراب . . وجاء الوقت الذى عم فيه الاضراب وأصبح لا يوجد معهد واحد مفتوح لطلابه لا فى القاهرة ولا فى الأقاليم ووجدتني أردد وكأني أسير مع الثوار :

- كله إضراب . . النار اشتعلت !

وأكمل الشيخ والحماس يضىء الكلمات :

- النار اشتعلت . . ودعانا النحاس باشا لمقابلته وكان رحمه الله رجلا طيبا وفيه بساطة . . وخطب فينا لنعود للدراسة لأن الأمور استفحلت ولا بد أن ننظم ثانيا فى دراستنا . . وقال عليكم بالعودة إلى الدراسة يا طلاب الأزهر . . ثم أوما إلى وقال :

- إنت . . إنت إسمك إيه . . إنت الولد الى إسمه الباقورى ؟

ثم أضاف رحمه الله . .

- أنت عامل زعيم ؟

قلت : لا أنا مش زعيم ولا حاجة . . أنا أخطب فيهم فقط !

قال : تحتكموا لمن إذن ؟

قلت : نحن غير متعنتين !

قال : أنا أرجو ألا تخرجوا الحكومة الصديقة - يقصد حكومة نسيم باشا - أنا أقول لكم نصيحة وأنتم تقررروا العودة للدراسة أم لا . قلنا يا رفعة الزعيم ابق

النصيحة حتى نعهد لها عند الطلاب حتى إذا أمرت بالنصيحة حفظناها وإذا وجدت الجواب المناسب تقبلها الطلاب وعادوا لدروسهم وبهذا تكون فيها كرامة للزعامة . .  
قال :

- إنتم حتلعبوا بى ؟

قلنا :

- لا . .

قال :

- هاتوا الولد زعلوك زعيم شباب الوفد . . وقولوا له قلدوا شباب الأزهر هذا هو الشباب فعلا . .

\* \* \*

وأثناء المناقشة دخل الدكتور طه حسين فقال النحاس باشا :

هل ترتضون الدكتور طه حسين حكما بيننا ؟

قلنا : طبعا نرتضىه . .

فقال له : ما رأيك يا دكتور أنا أقول لهم نصيحة لكيلا يخرجوا الحكومة الصديقة ويعودوا بعدها للدراسة .

فقال نأخذ هدنة حتى نعهد للطلبة ، حتى إذا ما قلت النصيحة التزموا بها .

فقال طه حسين رحمه الله وكان رجلا له أدب :

- والله يا باشا هؤلاء أدهشونا بحركتهم هذه الترابطية . . كل السائل التي تفرق عملت فيهم ولم يهن لهم عزم معها وأنا شخصا معجب بهم وما كنت أظن أن يأتي يوم يفعل الأزهر هذه الثورة .

قال النحاس باشا :

- ما رأيك في اقتراحهم من اقتراحى ؟

قال طه حسين :

- أنا لا أوافق يا باشا على قول هؤلاء الأولاد لنصيحة الزعيم كوني في الأدراج لتكون في الأدراج إذا قال الزعيم وجب عليهم أن يسمعوا وإلا لم يكن زعيما ويكونوا

هم متمردين على الزعامة . وعلى ذلك قال النحاس باشا :

أين مأمون بيه الريدى ؟ .. أنا سأقول خطبة وتنشر في الكوكب - يقصد جريدة كوكب الشرق - على ثلاثة أعمدة أنتم يا طلاب الأزهر لا تحرجوا الحكومة الصديقة وأن تعودوا إلى الدراسة وأن تنقلوا هذا إلى إخوانكم في الأقاليم حتى نكون راضين عنكم وعن سلوككم وتصرفاتكم وإلا كنتم للحركة الوطنية ولمصلحة مصر وعودة الدستور أعداء ولا يجب أن تكونوا هكذا ..

وعدنا وعاد الشيخ المراغى .

ولم أحاول أن أقاطعه لأنه يروى تاريخاً لأول ثورة قام بها مع زملائه وعليه تكون مهمة روايتها للأجيال ..

فاسترسل يقول :

والغريب أن الشيخ المراغى كان يعتبر متسامحاً في الدين بالقياس إلى الشيخ الظواهري الذي كان يعتبر من المتشددين في الدين ومن ألطف الطوائف التي حدثت في ذلك الحين أن الشيخ الجبيلي رحمه الله أخبرني أنه حدثت قصة طريفة أثناء وجوده وكيلًا لشئون مجلس الوزراء فقد جاء تليفون من أحد المسؤولين في القصر يقول له :

- يا شيخ جبيلي مولانا يريد أن يكون شيخ الأزهر أرثوذكسى .

فقال الشيخ الجبيلي :

- كيف؟!!

فأكمل المتحدث :

- لكن بروتستانت لا .. « ويقصد بارثوذكسى أى متساهل » .. ويقصد هنا الأرثوذكسى الشيخ الظواهري والبروتستانت الشيخ المراغى .

وبمجرد أن حكى الشيخ الجبيلي هذه القصة انتشرت إشاعة في البلد أن الملك سيهدم الأزهر وسيجعل شيخه مسيحياً ولم يفهم الناس النكتة !

\* \* \*

وخطأ الشيخ الظواهري يرجع لإنشائه كلية للشريعة وأصول الدين ولكنه لم يبع الدخول لهذه الكلية إلا لفريق معين هم الذين يحصلون على نسبة معينة من المجموع والباقي لا يدخلون .



هنا أصبح خريج الأزهر الذى ينال الثانوية بدرجة أقل لا يدخل هذه الكلية  
فأين يذهب هؤلاء ؟

هنا انتهز الفرصة الذين يلعبون بالسياسة وقالوا إن الجامعة الأمريكية تريد أن  
تفتح فصلاً تأخذ فيه الذين لا يدخلون الكليات الأزهرية .

لم أستطع أن أمنع هذه العبارة :

- هذه لعبة استعمارية واضحة !

- طبعاً .. وهنا ثارت الدنيا وخرج الناس جميعاً يهتفون بسقوط الحكم وأنا  
ذهبت إلى مكتب زهير صبرى مع المرحوم عبد الحميد الكريشى بوصفه رئيس حركة  
طلاب الأزهر وسألته .

● ما رأيكم القانون فى مظاهرة تخرج وهى تهتف :

« تسقط حاشية الملك ويحيا جلالة الملك »

هل يعاقبنا القانون ؟

وكان معه ثلاثة من المحامين فضحك وقال لى :

- تعالى يا ولد .. إنت اتعلمت فين .. فى مدرسة إيه ؟

قلت وأنا أضحك :

- فى الكتاب بتشديد التاء ...

قال :

- لا .. إنت جاي تستفتى فى مسألة قانونية لا يعرفها إلا عبد العزيز فهمى

باشا ..

بتقول تهتف بسقوط الملك وفى نفس الوقت تهتف يحيا الملك ! .. أن تسقط

حاشية الملك .. معناها يسقط الملك .. فاهم يا ولد ؟

قلت :

- أيوه فاهم .

وكان الاضراب قد انتهى وجاء المراهى كما قلت ..

وجاءوا إلينا فى سجن الاستئناف واخرجونا الساعة التاسعة صباحاً واجتمع

مجلس الأزهر الأعلى وأعاد المفصولين إلى وظائفهم التي كانوا عليها . . . عاد شلال  
الشوار يهدد من جديد . . . عاد الشيخ عبد اللطيف دراز والشيخ شلتوت والشيخ  
الزركلوني وغيرهم . .

## الحوار الثالث



الشاعر في بوتقة السياسة

### الناثر فى بوتقة السياسة

فتح الشيخ أحمد حسن الباقورى صفحات ذكراياته .. ورحلة عمره .. من قريته فى أسبوط إلى رحاب الأزهر .. رحلة ناثر تحت العمامة .. مزيج بين الفكر والسياسة والدين .. والرجل فى ذكراياته يروى قطوف حياته من الجذور .. وبكل ما تحوى من المواقف الانسانية والثورية .. والروحية .

ونواصل ذكرايات الباقورى التى يروى فيها جذور علاقته مع الأخوان المسلمين والمناخ السياسى والفكرى الذى كان سائرا فى تلك الفترة من تاريخ مصر .. والباقورى حين يتكلم فإنه يؤرخ لحقبة عاشها ناثرا ومفكرا وعالما دينيا ..

القديمان الصغيرتان تحملان الشيخ الصغير المعمم من القرية في بطن أسبوط حيث باقور تعيش بداوتها . . ويمشى الشيخ أحمد إلى أسبوط حيث البندر ويحمل في قلبه أملاً في التغيير . . ثورة حتى يعيش مجتمعاً نظيفاً فيه الرعاية الدائمة . . كان أبوه قد عني ببنائه في القرية فأسلمه لكتاب الشيخ عامر وفي أسبوط كان أول ما بدأ به معهد أسبوط الديني . . وتستمر طموحات الصغير يحملها بنفسه . . يهوى الأدب فيقرأ العربي ثم المترجم . . يقرض الشعر . . يتبارى مع أساتذته . . يحجج إلى القاهرة ومعه ثورته ويلتحم بشورة الأزهر من أجل الإصلاح .

ويلتقى بالشيخ حسن البنا فيختار الأخوان المسلمين جماعة ينضم إليها ليحقق أحلامه وأحلام مصر . . يعيش في البوئقة التي تغلى دائماً . . ويجرب الحج إلى السجون ثم يخرج يوم انتصار ثوار الأزهر . . وفي رمضان . . وكان سؤال لكل الضائمين والقائمين الركع السجود . . وعن الدين عند الباقوري .

وعيون الكتب تطل علينا والشيخ جلس في مكانه المعتاد بين خاصة أحبائه الكتب وألقيت إليه سؤالاً بسيطاً ولكن جعل الله لنا فيه من الفائدة ما نرجوه ومن الفهم ما نتمناه .

● سؤال بسيط ياسيدى ولكنه سؤال أزلنى لكل من تمتع بالغوص في أعماق دينه مثلك . . ما هو الناتج ياسيدى لديك لحكمة الصوم بالممارسة منذ الطفولة حتى الآن ؟

قال بأسلوبه السهل الممتنع :

— اكتسبت من صومى ما قرره المالكية في كتبهم . . أنه لا يسوغ لولى أمر طفل أن يصوم رمضان وهو لما يبلغ سن التكليف .

يقول لنا أهل المذاهب أن الطفل إذا صام أحب أن يظهر بوجهين . . يظهر أمام أبويه أنه صائم ولكنه ينتهز الفرصة بينه وبين نفسه فيشرب إذا اشتدت به الحاجة إلى الماء ومن هنا قالوا يكره لولى أمر طفل أن يدعه يصوم لأنه كأنه يعينه على أن ينشأ منافقاً ذا وجهين فيكره الطفل أن يصوم وبما أن الطفل غير مكلف فإن هذه الكراهية تنجبه لأوليائه أمره فعليهم أن يراقبوه وأن يقنعوه بكل وسيلة حتى لا يصوم وفرق بين الصلاة وبين الصيام إن الصلاة يؤمر بها لسبع ويضرب عليها لعشر أما الصيام فإنه يكره له قبل أن يكلفه أن يصوم . . الفرق بينهما أن الصيام شهوة أما الصلاة فإنها

رياضة فمن حق الطفل على أبويه أن يروضاه على تربية أعضائه وتقوية جسمه لكن في نفس الوقت من حق الطفل على أبويه أن يجنباه كل موطن يظنان به فيه أن ينشأ ذا وجهين وعلى ذلك هناك فرق بين الصلاة والصيام فإذا كان مكروها للطفل أن يصوم وهو صغير فإنه ليس مكروها — أن يصلى وهو صغير وذلك هو قضاء الله .

## الصوم والصوفية

وأردت أن أتزيد بالتخصيص أكثر للصوم فسألته :  
● ما هو موقع الصيام من المتصوف .. أو كيف يوصل الصيام إلى الصفاء ؟  
فقال مستمتعا ممتعاً بما يقول :

— الانسان جسم وروح ... غذاء الجسم الطعام والشراب وما إليه ،  
وغذاء الروح ضبط النفس ، وتقوية الإرادة تكون كل الفضائل الإنسانية وعن طريق  
ضعف الإرادة تتشاكل الرذائل ، فأدنى الناس إلى الفضيلة أقدرهم على أن يكون  
سيد نفسه . وأقربهم إلى الرذيلة أن يكون الإنسان عبداً لنفسه

\*\*\*

ويسترسل الشيخ في شرح فلسفته ويملاً الحجرة جو الاستماع العميق :  
والتصوف ليس ديناً ولكنه منطقة شعور يكون الإنسان فيها أرق حساً منه إذا كان  
رجلاً بطيئاً يملأ بطنه بالطعام والشراب . إن الألم هو الذى يحدث دقة الحس .  
والشبع هو الذى يحدث البلاء في الجسم ومن هنا كان أسلافنا المتصوفة دائماً حراساً  
على الجوع لأن الجوع هو سيد وسائل الترقية الحسية للإنسان وما كان أسلافنا ليدعوا  
الطعام والشراب يصرفهم عن عبادة الله تبارك وتعالى وكانوا يقولون إن الإنسان إذا  
كثر طعامه كثر نومه ويكثر كسله عن أداء حقوق الله من الصلاة وما إليه . فهذا هو  
الذى أستطيع أن أقرره في هذا الموقف بما علمت من أسلافنا وبما رأيت في نفسى من  
تجربة أن الجوع هو سيد المعانى التى تدنى الإنسان من حياة حسية رقيقة يصبح معها  
الإنسان حساساً يستطيع أن يدرك حاجات الناس وأن يتألم للفقير والمسكين  
والمحتاج . ومن هنا تمجىء الحكمة من الصيام لا تعدو هذا المعنى ولذلك حين قال الله  
تبارك وتعالى في آيات الصيام أن الله كتبه كما كتبه على أصحاب الديانات السابقة ختم  
هذه الآيات بحكمة الصيام « لعلكم تتقون » ومعلوم على اليقين أن التقوى كما عرفها

أسلافنا ألا يراك الله حيث نهاك وألا يفتقدك الله حيث أمرك فאלله تعالى إذا لم يرك حيث نهاك وإذا راك حيث أمرك فهذه هى التقوى . وإذا كان لك قوة الإرادة أمام شهواتك فالقدرة على حكم النفس تدعو إلى الفضائل ومن هنا قال رسول الله ﷺ . . « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » .

● لا يجد الإنسان من قول يعبر به عن الإعجاب بأسلوبك فى وصف الطريق إلى التقوى . . زدنا بأجمل ما قيل فى الصوم .

قال وهو يضع يده على كتاب الله أمامه وبعض كتب الحديث الشريف :

— أنا لن أجد إطلاقاً إلا كتاب الله تبارك وتعالى فى هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . . صدق الله العظيم . . ليس يعرف الناس وراء هاتين الكلمتين حكمة أوضح من هذا الإيجاز الدقيق المستوعب . فحكمة الصيام كلها تنظمها هاتان الكلمتان لعلكم تتقون — بعض الناس يقول إن لصيام يشعر الغنى بقسوة الجوع فذلك يدفعه إلى العطف على الفقير فيبذل للفقير من ماله ما يمنعه مرارة الجوع وهذا قول مبلغ العلم أنه غير خليق بالاعتناق ذلك أنه إذا كانت حكمة الصوم أن يجد الغنى قسوة الجوع فيعطف على الفقير فما هى الحكمة بالنسبة لصوم الفقير إذن ؟ مع أنه مكلف بالصيام ؟

وهذا التفكير إلى جانب ذلك فيه ارستقراطية الطبقات وهذا لا يليق وإنما الحكمة الجامعة التى تنظم الغنى والفقير على سواء هو أن الصيام يلد التقوى .

التقوى عند الغنى تبعث على إسعاد المجتمع الذى يعيش فيه والتقوى عند الفقير تبعث الفقير على السلوك الذى يسعد به المجتمع وكلما كانت العلة أشمل وكلما انتظمت الغنى والفقير والأمور والأمير كانت أحق بالاعتناع به عما يقول الآخرون من العطف على الفقراء وما إلى ذلك فهذا هو ما قاله الله وليس وراء ما قاله الله مقالة لقائل

وأردت ألا ينقطع رى النفوس بكلام الشيخ عن الدين وهو خير من يقول لك فى يسر ما أمرك الله به وإذا كانت هناك عقول جيدة التوصيل للمعرفة الدينية فلا أحق بهذا القول من شيخنا . .

● كيف تستطيع ياسيدى أن توصل جوهر الإسلام بيسر إلى الناس من

خلالك ؟



قال الشيخ الباقورى :

— كل قول ليس له سند من كتاب الله أو من قول رسول الله أو من سلفه الصالح يجب أن يضرب به عرض الحائط لأنه قول لا سند له ولهذا كان الحق الذى لا حق وراءه ولا حق خير منه أن نتلمس دائما ما يمكن أن يكون له سند فى الاسلام سواء فى كتاب الله أم فى سنة رسول الله أو فى سلوك أصحاب رسول الله وهم صورة مكررة منه . جاء رسول الله رحمة للعالمين فبدأ دعوته أول ما بدأها إلى الحرية التى تعنى أنه لا يلقى بالإنسان الذى كرمه ربه أن يكون عبداً إلا الله وحده لا شريك له . . . . ولهذا جعل الإسلام أول أبواب الدخول إلى الإسلام الكلمة المفرقة فى الدلالة على الحرية وهى لا إله إلا الله ومعنى لا إله إلا الله ، أنه ليس هناك موجود فى هذا الوجود يخضع المرء له ويذل بين يديه ويلجأ إليه فى شدائده إلا الله رب العالمين وهذا القدر من الحرية هو قدر بلا ريب أقصى ما تبلغه حرية الأحرار . ولعل من خير صيغ الدعاء الذى كان يدعو به أسلافنا رحمة الله عليهم أجمعين « اللهم إني أعوذ بك من الذل إلا لك وأعوذ بك من الافتقار إلا إليك » . . ولا ريب أن الذى يتدبر هاتين الجملتين لابد أن يرى أن الذل لله عزة لا عزة وراءها وأن الافتقار إلى الله غنى لا غنى بعده . . وهذه هى الحقيقة الأولى . .

والحقيقة الثانية أن الله الذى خلق ورزق هو أغنى الأغنياء عن الذل له والافتقار إليه والخضوع بين يديه وكل ما يكلفنا الله إذن أن يعطف بعضنا على بعض والتكافل فى المجتمع الاسلامى لا يعرف الناس له صورة أخرى فى دنيا الناس ومن شاء أن ينظر فلينظر كيف كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول :

« والله لو عثرت بغلة فى العراق لرأيتنى مستولاً عنها بين يدي الله لم لم أسوها الطريق » .

فى هذا يكون التكافل ليس تكافلاً للإنسان بل التكافل الذى يشمل الرحمة فيه الحيوان نفسه . . سيدنا الشيخ أحمد ابراهيم رئيس قسم الشريعة فى جامعة فؤاد الأول قبل أن تصبح جامعة القاهرة — يقول فى كتابه النفقات :

« لو لجأت قطعة عمياء إلى دار مسلم فليس له أن يطردها وعليه أن يقيتها حتى تسترد قدرتها على التماس الرزق » .

هذه صورة لا يعرف الناس لها مثيلاً فى أى تشريع آخر غير الشريعة الاسلامية وقائلها رجل ثقة فى علمه وثقة فى دينه وثقة فى تفكيره . إذا رأى الإنسان مجتمعاً

متكاملا على هذه الصورة التي يرحم الإنسان فيها الحيوان فماذا يريد وراء ذلك . . ترى هذا هو كل ما أمر الله به عباده من ضبط أنفسهم وسياسة هذه الأنفس على نحو يرضى المجتمع ويشيع السكينة فيه فإن ذلك خير من حق المجتمع علينا أن ننميه إلى جانب هذا أمر الله تعالى عباده ألا ييأسوا من فضله وذكرهم دائماً أن الخطيئة في طبيعة الإنسان حتى أنه ليذكر في هذا الباب رسول الله فيقول « والذي نفسى بيده لو لم تذبوا لذهب الله بكم وجاء بآخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » إلى جانب هذا الحديث حديث آخر في نفس المعنى يقول فيه رسول الله « والذي نفسى بيده لو لم تذبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من الذنب » قالوا ما أشد من الذنب يا رسول الله ؟ قال « العجب بالنفس » . .

قد تكون هفوة الإنسان التي هفاها طريقاً إلى الخير . . فالذين يريدون لأى إنسان فى المجتمع أن يكون إنساناً مجرداً من الخطايا فإنما يريدون لهذا الإنسان أن يكون ملكاً والله تعالى خلق ثلاثة أصناف : صنفاً هو الملائكة وصنفاً آخر هو الحيوان وخلق صنفاً ثالثاً هو الإنسان وجعل الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فهم مسخرون بالقوة الإلهية الروحانية للعكوف على عبادة الله ، وجعل الحيوان خاضع لشهواته لأن شهوته هى التى تحميه وتقويه وتعينه على التصرف وجعل الإنسان سيد هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه فإذا ما قهرت روحه غرائزه وإيمانه شهواته التحق بعالم الملائكة وإذا انقهرت روحانياته أمام شهواته التحق بعالم الحيوان وعلى ذلك وضع الله مقياساً وسطاً . . « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » صدق الله العظيم . ذلك قول الله فجاء رسول الله وهو المبين عن الله يحدد هذه الحقيقة فيقول « إياكم والتغالى فى الدين إن أحدكم إذا تغالى انقطع عن المجتمع الذى يعيش فيه » ثم ضرب مثلاً فقال :

إذا اجتمع ناس فى موقع وركبوا رواحلهم نوقاً أو خيلاً أو جمالاً وحرص أحدهم على أن يسبق وجهه شديداً وأجهد دابته كذلك فما الذى يحدث ؟ الذى يحدث أن الدابة سوف يهلكها العطش ستنتفخ من التعب والجهد فى الوقت نفسه لا يبلغ غايته أو لا يصل . . وإما أن يصل متأخراً وهذا هو الحديث النبوى الشريف الذى وصف فيه من أوق جوامع الكلم قال صلوات الله عليه « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت الذى ينقطع عن الركب — أى الناس — بدابته لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » وهذا جل ما يمكن أن يصل به مصور بالقول . . هذه الحقيقة التى بينها رسول الله فى هذا الحديث الشريف . حديث لرسول الله ويرويه صاحب جامع الفضول

من حديث الرسول « إذا سمعت النداء والأداء على يدك فلا تضعه قبل أن تبلغ منه حاجتك » وهو حديث صحيح معناه أن الإنسان إذا وضع كوب ماء ليشربه ثم سمع أذان الفجر فليحذر بتحذير رسول الله أن يضع هذا الكوب قبل أن يشربه ولكنه والحكمة هنا ظاهرة رغم أن الرسول صلوات الله عليه وسلامه لم يذكرها ولكن نحن نستطيع أن نتدرج أنفسنا لنبلغ شيئا من الحكمة . ولنحسن الظن بعقولنا لنذكر الحكمة الظاهرة فالذى يضع الإناء ونفسه في الماء سينام عطشانا ويحلم بالماء فيقوم في الصباح ويشتهي الماء ويتمثل كوب الماء وقد كان على يده ويأسف ويقول « ليتني شربت قبل أن أسمع النداء . . هذه الخواطر لا ريب في أنها إن لم تفسد الصوم فإنها سوف تنال شيئا من قوة الروحانية التي يبعثها الصوم في نفس المسلم .

\*\*\*

وتدقق الشيخ وما كنت لأوقف التدقق حتى نرتوى من شرح السهل الممتنع فاسترسل قائلا :

— وبهذا المعنى ينبغي أن نتناول دائما كل كلمة قالها رسول الله ففى كل كلمة قالها حكمة من حقه علينا أن ننظر فيها وأن نلتمس ما وراءها لنزداد ثقة بها والرسول موثوق به ولكن فرق بين الثقة نتيجة التجربة والثقة نتيجة الحب فنحن نريد أن نجتمع إلى الثقة برسول الله عن الحب ثقة أخرى تنشأ عن التجربة في البحث عن حكمة التشريع في كل أمر يأمر به وينهى عنه وخير يرشد إليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . .

كانت عبقرية القرآن دائما في لغته بالإضافة إلى ما في مضمونه من شريعة وفقه وما إلى ذلك وحينما نزل القرآن على محمد كان شعراء العرب قد بلغوا مبلغا عظيما في اختيار اللفظ ونظم الكلمات ولكن القرآن كان مثار إدهاش للكفار قبل الذين أسلموا . . وظلت معجزات القرآن تعيش حروفا من نور داخل القرآن الكريم وبين ثنايا آياته ولعل أكثرها إدهاشا للعقل سورة الإسراء . ولكن للشيخ الباقورى منذ فجر شبابه أسلوبا في التوصيل اشتهر به بين إخوانه وبين ناسه . . كان يقول القصيد شارحا معجزات لقرآن ومن أجمل ما قال الشيخ الباقورى قصيدته التي يشرح فيها سهولة معجزة الإسراء والمعراج .

\*\*\*

● أعلم أن لك قصيدة تشرح فيها معجزة الإسراء والمعراج . . متى قلتها وأين ؟

وقال الشيخ الباقورى :

— كان هناك إحتفال بليلة الإسراء والمعراج فى مكان اجتماع الأخوان المسلمين فى حارة عبد الله بك فى المغربلين وفى حارة الوالى حسين فى سوق السلاح ومكان آخر فى درب الشماشرجى وكلها أماكن حول القلعة وهناك كان الشعراء والخطباء يتبارون فى إلقاء الخطب وقصائد الشعر بهذه المناسبة الجليلة وكنت حينما أحضر أستمع جيدا وأتكلم جيدا أيضا وأحاول أن أقرب بين الدنيا والدين وأشرح الدين بالدنيا فقلت هذه القصيدة وأنا أشير إلى الفونوغراف الموجود بالمكان :

هذا الحديد يغنى صادحا غردا

لا يخطئ اللحن ما حاكى المغنينا

كأنه بين آهات يرددها

صب يئثك ما يشجيه تلحينا

سل عصبة إن النبى سرى

وأم بالمسجد الأقصى النبينا

أينطقون حديدا لا حياة به

فيملأ الأفق إفصاحا وتبينا

ويستقلون فوق السحب طائرة

تسابق الريح جريا فى موانينا

ويصبحون ومصر عش طائرهم

ويظهرون بروما أو بآثينا

ويعجز الله أن يسرى محمده

فى لمحة الطرف ما أغبى الممارينا

وكنت فى هذا الوقت طالبا فى قسم التخصص فى جامعة الأزهر .

\*\*\*

وأمسكت خيطا هاما وقلت للشيخ :

● ماذا كان رجع الصدى فى الموجودين لهذه القصيدة وكلهم من الذين

يمجاهدون فى سبيل الله ويدعون للإصلاح ؟

قال الشيخ الباقورى :

— لديك كل الحق فى هذا السؤال فإننى بعد أن قلت هذه القصيدة قام رجل من الموجودين ونثرها نثرا وكان هذا الرجل هو الشيخ عبد الآخر أبو زيد وكان رجلا طيبا ذكيا متأملا فيما حوله ، فسألنى بعد ذلك عن نفسى فقلت له إننى طالب أزهرى فقال : وهل يرضيك ما نرى من منكرات فى هذا البلد ؟ سواء فى الحياة الاجتماعية والحياة السياسية الحزبية ..

قلت : لا

قال : ماذا تريد أن تفعل ؟

قلت : والله ياسيدى أنا متعير لست أعرف شيئا ..

فقال لى : أفترى أن تتعاون وأن يلتقى أحدنا بالآخر كلما كان عندك وقت تعال إلى إما أن نتكلم وإما نستمع ونحن لا نريد أن نزع بأنفسنا فى السياسة فإن أعداءنا كثيرون فى الشرق والغرب ، فى ذلك الوقت كانت تتبادل عقول الشباب المصرى دعوتان دعوة هتلرية نازية ودعوة أخرى مركسية من جانب آخر وكلاهما سينحت نحتا فى شبابنا . فى هذه الأثناء كننا نلتقى كثيرا مع الأستاذ المرشد العام الشيخ حسن البنا وكنا ندعو الناس إما سرا إلى الالتحاق بالدعوة والبيعة وإما جهرا بالدعوة إلى الانضمام إلى جمعيات الإخوان المسلمين عن طريق الخطاب فى المقاهى والاندية العامة .. كنا نقف فى المقاهى نخطب والناس يلعبون الدومينو والطاولة ويستمعون إلى الأغاني .

● كنتم تتعمدون أن تخطبوا فى اللاهين عن الاحوال ؟

قال الشيخ الباقورى :

— نعم وكانوا يتركون ما فى أيديهم ويستمعون إلينا . وينضمون لنا وكانت البيعة أن نعاهد الله على أن نفدى شعبنا فى مصر وشعوب أمتنا الإسلامية بكل ما نملك من نفس وجهد ومال وأن نكون على خط أسلافنا الصالحين والانتصار لدعوة الإخوان المسلمين التى هى وحدها صورة صادقة للدعوة الإسلامية المثالية والله على ما نقول شهيد . ثم تلو المرشد العام الآية . « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما » .

\*\*\*

وبذلك يكون قد انضم للإخوان المسلمين ناس من عدة طبقات فيهم الحزير الذى يريد أن يعمل فيبلغ الحكم وزيرا وفيهم الإنسان الذى يريد أن يخطب وأن يتعلم الخطابة وأن ينتفع بمزاملة إخوان له بين الناس يتشجع بهم وكان هناك نظام الكتاب . كتيبة خالد بن الوليد وكتيبة عمر بن الخطاب وكل من يعجب بخالد ينضم إلى كتيبته والمعجبون ينضمون إلى كتيبته .

● وأنت . . أين كان موقعك ؟

— اخترت كتيبة لم تكن موجودة . . كتيبة أبى بكر الصديق وذلك لأمرين الأمر الأول أنه كان إنسانا فسيح الأفاق وأنه كان شديد الحب لرسول الله وأنا كنت فى هذا شديد الولاء لشيخ الدعوة حسن البنا واخترنا تلك الصورة لأنها تشابه صورة المجتمع الإسلامى بزعامة سيدنا رسول الله ، وظللنا نقوم بالدعوة مع شيخنا ونرحل إلى مصر كلها وفى منطقة بورسعيد والقنال رأينا ونحن نياما . . رأينا فى حفرة تحت الأعمدة جاجم وعظاما لناس ماتوا فى السخرة أثناء حفر قناة السويس ولذلك كنت من أسعد الناس حينما أعلن جمال عبد الناصر تأميم القناة لأننى رأيت بنفسى ماذا بذلت مصر من أبنائها فى سبيل حفر هذه القناة وكيف سيطر عليها الغرب بعد ذلك .

وسؤال طرح نفسه بشدة ؟

● كيف كان الإقبال على الإخوان وحزب الوفد ينظم البلد . . ومن الشباب بالذات ؟

قال الشيخ الباقورى :

— الدعوات السياسية لا ترضى ظمأ الشباب فالشباب دائما يطلبون مثالا عليا حادة شديدة الأثر فى النفس وكلما قسا الشاب على نفسه فى معنى من المعانى كان ذلك أدعى إلى تشبته بالمبدأ وكانت غلطة الأحزاب بوجه عام أنهم يأخذون الشباب أخذ الذى يكاد يحس فى نفسه أنه مأجور إما لأنه يريد أن يعمل فى الصحف وإما أنه يريد أن يصطنع لكى يكون ذات يوم وزيرا من الوزراء . . هنا ، الإخوان عكس ذلك . . كانت دعوة الاسلام للحديث عن رسول الله وكتابه والدعوة إلى الإخوان فى ظل الله رب العالمين .

وكان إقبال الشباب على جماعة الإخوان المسلمين إقبالا لا نظير له . . ولو أن الإخوان المسلمين مضوا بهدوء على الطريق الذى كان المرشد حسن البنا رحمه الله قد رسمه لبلغوا ما أرادوا من أيسر طريق ، ولكن دائما الشباب يستعجل الأمور ويؤثر

الوقوف موقف التضحية أكثر مما يؤثر الوقوف في موقف الحجة والأناة والصبر ومن هنا تعب الإخوان المسلمين من أنفسهم وأتعبوا الذين اتصلوا بهم ممن لا يفكرون مثل تفكيرهم ..

\* \* \*

وتركته يسترسل حتى يصل ما انقطع من أمر هذه الجماعة ..  
— وكنا نفتعل حلقات الذكر تحت ظل الشاذلية حتى يستعصى الأمر على الذين يراقبوننا وكان الشيخ حسن البنا شاذليا أخذ الطريقة عن سيدنا عبد الوهاب الحصافي الشاذلي وقال لنا وأشار لنا أن هذه المؤتمرات مراقبة مراقبة شديدة من الداخل والخارج فكنا نتكلف التصوف والذكر ونتجنب كلمات السياسة وما يتصل بالسياسة .

● ولكنكم فعلا كنتم مشاركين في السياسة ومهتمين بها !  
— وكنا حريصين على هذا في ذلك العصر وكنا متفقين مع القيادة العليا على أننا لا بد أن نظهر للناس بوجه وأن يكون في صدورنا وجه آخر لا يعرفه أحد سوانا .  
ودائما يأخذنا حديث الشيخ إلى القنوات العامة ويتعد بنا عن القنوات الخاصة ولكن حياة الشيخ الخاصة كانت أيضا لها مكان هنا .





## الحوار الرابع



حاصرونى فى شبين الكوم  
واعتقلونى فى المنيا !

● بدأ الصغير ثورته في باقور على الذين يتاجرون باسم الدين ويسيطرون باسم الصوفية .. كان يحلم بطفولة سعيدة في القرية خالية من الأمراض .. كان يحلم ويدعو للإصلاح .. وحينما وصل إلى مدينة أسيوط كانت التربية الأساسية التي أرسى قواعدها أبوه الشيخ الصالح عبد القادر أحمد هي المصباح الذي ينير له الطريق في غربته في أسيوط ، وفي القاهرة أطل على الأحزاب السياسية والجماعات المختلفة واختار الإخوان المسلمين لينضم إليهم ويكون من شبابهم وينصهر في بوتقتهم مع شيخهم المرشد العام الشيخ حسن البنا ، وبدأ الحج إلى السجون وهو مشارك بالقيادة في ثورة الأزهر ..

\* \* \*

وكان يجب أن نقف لسأل الشيخ عن رأيه في المرأة .. تلك التي أعزها الله في كتابه بآيات بينات سواء أما أم زوجة ، وأردت أن نبدأ معه تلك الإطلالة منذ البداية في قرية باقور من أعمال أسيوط ..

● رؤيتك للمرأة .. كيف تكونت .. كيف نضجت حتى وصلت إلى الزواج بالسيدة الفاضلة كوكب كريمة الشيخ عبد اللطيف دراز ؟

وكان رد الشيخ الثائر كأنه صورة للمرأة في المدينة والمرأة في القرية :  
- إن أحق ما يعنى به المرء في مثل هذه الأشياء هو أن نتذكر دائماً أن التاريخ أمانة وأن الغش في التاريخ هو لون من ألوان الغش التي لا يرضى الله عنها جميعاً .

قضية المرأة في تاريخ أى إنسان تعلم في الأزهر الشريف ونشأ في القرية لا يمكن إلا أن يكون تاريخاً مصوناً بعيداً عن كل ما تعارف عليه الناس في العصر والعصر الذى سبقه وكل عصر يحىء بعد ذلك ، غير أن القرية كان بها ولا يزال تأثير عميق في نفس كل إنسان عاش فيها رأى أمه وأباه وأقاربه .

والقرية تستمد وجودها الدينى والعاطفى دائماً من الدين . فإذا جاء الإنسان بعد ذلك إلى مدينة كالقاهرة أو كاسيوط فإنه يظل مقيداً بمشاعره التي مشى عليها في القرية .

وأذكر ويذكر الذين يعلمون أن الرجل أو الشاب في القرية كان يرى ولى أمره ليس أباه فقط ولا عمه ولكن كل من في القرية كان يعتبر نفسه مسئولاً عن كل شاب في القرية وأذكر الله ثم للتاريخ أن بعض الذين كانوا يجاوروننا في بيتنا الذى كنا نعيش فيه وبعضهم كانوا من المسيحيين كانوا يلفتوننا إلى سوء السلوك في طريقة مشينا وطريقة حديثنا وذلك يعنى أن التكافل في القرية المصرية كان أمراً معروفاً ولعل ذلك يكون ناشئاً عن أصول بعيدة الأعماق في التاريخ .

لهذا لا أبالغ حين أقول أننى لم أكن أعرف شيئاً عن المرأة من ناحية الصلة بها إلا ما كنت أقرأه في كتب الأدب عن شاعر أو أديب أو عن قصة من القصص التي كنا نقرأها في تلك الأيام .. هذا فيما يتصل بالمرأة بوجه عام في القرية .

لكن لما جئنا إلى القاهرة واختلطنا بأهل الفضل والعلم من مشايخنا في الأزهر الشريف رأينا حياة غير الحياة . تبدلت الصورة في أذهاننا ووازننا بين الحياة في القرية وبين الحياة في المدينة وشيوخنا كانوا يرقبوننا من بعد وكانوا يؤثروننا بعواطف ود واضحة وكان منهم قطعاً من يحرص علينا حرصنا نحن عليهم وكان في مقدمة الذين عرفناهم منقولين مضطهدين في معهد أسيوط الدينى الذى تلقيت فيه أول درس من فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز الذى كان معروفاً بعدائه للاستعمار ومجاهرته

بارائه السياسية فنقل تأديباً له على ذلك مدرساً بمعهد أسبوط .

\*\*\*

وتركته يسترسل في أول لقاء له بالثورة . .

- وهناك عرفت الرجل وكان يدرس لنا علم الجغرافيا مع أنه ليس متخصصاً فيه ولكنه اختار الجغرافيا السياسية لكي ينفذ منها إلى الحديث في السياسة وعن حكم المسلمين بأيدي المستعمرين . .

مثل هذا كان يجعلني حريصاً أشد الحرص على أن أتصل اتصالاً وثيقاً بأستاذي . . والرجل كان مجلسه مجلس أدب وسياسة وكرامة وكنا نغشى بيته ونراه فعلاً خليقاً بأن نعرفه ونتأدب بأدبه ونتلقى حياتنا عنه وطبعاً كنا نراه ونرى أهل داره عن طريق حب الاستطلاع . . وكانت كوكب طفلة صغيرة في السادسة من عمرها تختلف كثيراً عن فتيات القرية بملابسها القصيرة وشعرها الذي لا يغطيه شيء . . فكانت دائماً . تحمل الحلوى في جيوبها . . ولم أكن أعرف في ذلك الوقت أنني رأيت السيدة الفاضلة التي رزقني الله الزواج منها . . وبعد أن رأيتها ثانياً في القاهرة كنت أحاول أن أراها بعد أن أصبحت فتاة ناضجة وأذكر هنا أنني كنت أسكن في منطقة درب الجماميز وكان والدها يسكن في منطقة بركة الفيل وكانت هي قد التحقت بمدرسة (سان فان سان دي بول) بالحلمية الجديدة فكنت أخرج مبكراً من درب الجماميز لأصل إلى بركة الفيل لأراها وهي تخرج إلى المدرسة وأحياناً كنت آخذ أحد أصدقائي ونذهب لأحاول أن أراها وهي تخرج من المدرسة بعد العصر أثناء العودة إلى المنزل . . أي أنني كنت صباحاً أخرج من حي الشرفاء وأمضي سعيماً على قدمي حتى أصل بركة الفيل وأقف هناك أستعرض الوجوه لعل أرى التي حرصت على أن تكون زوجة لي .

\*\*\*

وهنا أردت أن أربط بين السلوك في الحياة وما وضعه لنا الشرع في مثل هذه الأحوال فسألته :

● هل من حق الخطيب أن يرى خطيبته ؟

- كان أسلافنا رضي الله عنهم يتأدبون بأدب الإسلام فيحرصون على أن يرى الخطيب خطيبته بدرجة لو حكيت الآن في العصر الحاضر لكانت شيئاً شاذاً حتى

ليقول بعض الذين عاشوا مع سيدنا رسول الله ﷺ (انى خطبت امرأة فكننت أختبىء لها فى النخيل حتى رأيت منها ما يدعونى إلى الزواج بها فتزوجتها وكان ذلك أدباً رفيعاً لأن رسول الله أمرهم بهذا : «إذا ألقى الله فى وجدان أحدكم خطبة امرأة فلينظر منها بعض ما يدعوه إلى الزواج بها» .

ولهذا لم يكن خطأ منى ولا تطفلاً أن أحاول أن أرى تلك التى اخترتها لتكون زوجة لى ..

### ● كيف استطعت أن تقنع أسرتك بالزواج من قاهرة ؟

- أمى رحمها الله كانت تحرص على أن تزوجنى من باقورية أعنى فتاة من باقور تملك بعض الأفدنة .. ولكن عاطفتى كانت أغلب وأقوى من أن أنزل على حكم أمى فنزلت على حكم قلبى وتزوجت أم أولادى .. وكانت أمى غير راضية فى أول الأمر ولكنها سعدت بى بعد ذلك .

### ● هل لاحظت فرقاً كبيراً بين المرأة فى القرية والمرأة فى المدينة بعد أن انتقلت زوجتك إلى بيت الزوجية ؟

قال وكأنه يقدم دراسة لأحد مراكز البحوث :

- الحقيقة أن الإنسان لا يمكن أن ينتقل مرة واحدة من العرف الذى نشأ عليه فى بلده إلى عرف جديد عليه من غير أن يكون هناك مفارقات .. أذكر أن والدتى رحمها الله كانت حاماً لرجل من بلدتنا فكانت إذا لقيته احتجبت منه وهوزوج ابنتها وذلك بحجة أن أمها كانت تفعل ذلك مع والدى حينما يزورهم .. فهى تقتدى بأمها ، هذه صورة لا يمكن أن ترى فى القاهرة وإذا ما حاولت الأسرة أن تعيشها فإن الخاطب لا يعنيه أن يبحث أو يسعى لكى يراها .

ولأكمل لك قصة زواجى .. بعد أن تبينت أننى حريص على رؤية ابنة أستاذى بكل الطرق قلت الأفضل أن أذهب لزيارته لأراها وهى تدخل أو تخرج وفعلاً أخذت أحد زملائى وذبحت لزيارتهم وهناك طلب لنا الشيخ قهوة ولحسن حظى لم تأت القهوة على يد خادم ولكن التى أحضرتها كانت كوكب .. بعد ذلك كنت أراقب نفسى فأرانى ضيق الصدر كلما جاء لزيارتهم أحد الأقارب من قريبهم .. هذه هى المسألة الوحيدة التى أحسست أنها صنعت بنفسى ما لم أكن أحب أن تصنع ..

\*\*\*

وحينما قررت التقدم لخطبة العروس آثرت البركة في أن يخطب لى بنت شيخنا محمد عبد اللطيف دراز شيخنا أيضاً وأستاذنا حسن البنا وكنت قد التحقت بجامعة الاخوان المسلمين وشكر الله للرجل فقد صحبني إلى هناك وهو الذى طلب ابنته كوكب لابنه أحمد حسن الباقورى معتباً نفسه والدأ لى ..

● بعد الزواج هل أحسست باختلاف كبير بين زوجتك وأمك في القرية ؟  
- لم يكن هناك طريق يأذن لنا بأن نفكر في دائرة واسعة أكثر من الدائرة التى رأيناها كما نقول إن الإنسان ابن بيته أكثر مما نقول أنه ابن ثقافته أو ابن التقاليد التى نشأ فيها .. هذه أمور تمر .. وخاصة أننى كنت قد تركت القرية صبياً إلى أسيوط فبدأت أرى أموراً كثيرة تعودت عليها كتغير ملابس النساء والحياة في المنازل التى زرتها لأساتذتى أو أصدقائى وكانت زوجتى من منزل طيب له تقاليده فلم تختلف التقاليد كثيراً .



الولد الأول ذكراً كان أم أنثى له استقبال خاص وحب خاص وعلاقة خاصة وحين وفرحة تظل تلازم الإنسان إلى الأبد : ظهور الأسنان .. الكلمات المكسورة .. أولى الخطوات :

● تحدثنا عن فترة الخطبة والزواج .. فهل لك أن تحدثنا عن ميلاد لىلى ..  
ابتك الأولى ؟

- لىلى تعرف بأم أبيها في بيتى .. فهى أول من تفتح لها قلبى وعينى .. لىلى جاءتنا مع خير كثير كانت قد ارتفعت مرتباتنا من ثلاثة جنيهاً إلى ثمانية جنيهاً .. وبدأنا نجد الحياة راضية لأن الإنسان كان يستطيع في تلك الأيام التى لن تعود مرة أخرى إلى العالم .. كان الإنسان يستطيع بعشرة قروش أن ينفق على بيته !! يشتري لحماً وبطاطس وحلوى .. جاءت لىلى في تلك الأوقات .. ولعلك تعرفين القرية وما يتصل بالقرية .. إنهم يؤثرون الذكور على الإناث وأنا خالفت رغبة والدتى وتزوجت من مصر ووالدتى تشيع للناس أننى لو كنت قد اتبعت نصيحتها لكنت أنجبت ولداً .. وأننى لست باراً بها لدرجة أننى ظلمت ألتمس لهذا سبباً من الأسباب وأبث شكواى إلى بعض الإخوة الذين كنت أعتبرهم كالأساتذة لى ومنهم الشيخ محمود أبو العيون .. قال لى صديقى : يا أخى إكتب لأمك أو لوالدك وهو

رجل طيب ورجل إمام مسجد ومثقف وثقافة دينية وقل له إنه بما يعرفه المسلمون أن من يمن المرأة أن تبركر بينت ، وجاء بآية من كتاب الله تبارك وتعالى « يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما » وقال لي زميلي رحمه الله عليه ورضوانه أن هذه القسمة هنا قسمة عقلية ليس هناك زيادة ولا نقص وأن السيدة إما أن تلد أنثى أو ذكورا أو خليطا من الإناث والذكور أو أن تكون عقيماً . . كتبت لوالدي بهذا المعنى وذكرت له أن شيخاً من شيوخنا هو الذي يرسل إليه بهذه النصيحة ويرجو أن ترضى عني أمي وألا ترى أن تلك عقوبة من الله لي على أني خالفت رغبتي .

وكتب لي والدي خطاباً بهذا المعنى قال فيه :  
« أقسم لك أني ما وقع في نفسي من هذا الأمر . . وأن المسألة قدر وأنت واحد من خمسة عشر من أخوتك وأخواتك ولا تتضايق من هذا لأن والدتك راضية عنك .  
وهكذا استقرت نفسي .  
ولم يكن من الأوفق أن أترك الشيخ دون أن أسأله سبباً لاختياره لاسم ابنته .

#### ● لماذا سميتها ليلي ؟

— الحقيقة ان كل دراستنا الأدبية كانت كلها تدور حول القصص الاسلامي ، والقصص الاسلامي فيه عبرة وفيه جمال وكانت ليلي كلمة خفيفة على الأذن - سنة الوقع في الأذن لها تاريخ متصل بالعاطفة وفي الوقت نفسه قائم على العفة وهذه هي قصة ليلي في تاريخ العرب « ليلي الأخيلية وليلي المجنون وكل كلمة ليلي تعطي هذا المعنى الشاعر وأنا كنت أقول الشعر في بعض الأحيان وأتغنى كما يتغنى أمثالي وكان في ذلك الوقت بدأ يطبع كتاب الأغاني وكنا نقرأ فيه قصصاً طويلاً وشعراً غنائياً وكانت ليلي هي الهدف الذي يدور حوله الأدب في كتاب الأغاني ، هذا هو المعنى الذي جعلني أحرص على هذا الاسم ليلي .

وأحسست أن وتر الثورة لم يعد يعطي النغمات العالية فعاودت العزف عليه .

● كيف سارت الحياة في البيت ؟ هل خمدت الثورة في نفسك ؟ فان الرسول ﷺ له حديث معناه أن الأبناء يصلون بالآباء إلى الجين ؟

— كلمة ولد على كل حال في لغة العرب لا تطلق على الذكر بل على الذكر والأنثى كلاهما ولد . . وقد أثر عن الرسول ﷺ ، أنه حمل ذات يوم الحسن والحسين



وأنه كان يطلق عليها كلمة ابنائى وهو يقول صلوات الله عليه لها :

« انكم تجبنون وتبخلون وتجهلون وأنكم لمن ربحان الله فى الأرض » .  
معنى تجبنون أن الأب إذا كان له ولد فإنه يكون حريصاً على الحياة حتى لا ينشأ ولده يتيماً هذا هو معنى تجبنون وكذلك تبخلون فالولد يحمل أباه على أن يمسك يده فى الانفاق حتى إذا احتاج ولده إلى المال وجده : وتجهلون معناه ليس من الجهل الذى هو ضد العلم لأن الجهل عند العرب يطلق بمعنيين بمعنى الجهل ضد العلم والمعنى الآخر هو التسرع إلى الشر أى الحماسة هذا المعنى قد يدعو إليه الولد لسبب من الأسباب التى تجعل الوالد يدافع عن ولده فيتسارع إلى الشر هذا هو معنى الحديث الجليل وهو صادق بلا ريب .

#### ● ماذا حققت ليلى من هذا الحديث ؟

— ليلى كانت طفولتها . . طفولة فى لغتها بطريقة فيها ذكاء وكان فيها جمال وملاحة ، عقلها طيب ومداعبتها لأهلنا وضيوفنا تدعو إلى السعادة بها ، كانت فى الوقت نفسه لها لغة طيبة وكانت تقلب (الطاء) إلى كاف فبدلاً من أن تقول «بطنى تؤلمنى» تقول «بكنى» . . كنت إذا خرجت من البيت أحرص على أن أعود إليه فى أقرب وقت حتى أرى ليلى .

ومن نوادر طفولتها أنها سمعت مرة الأستاذ محمد عبد الوهاب وكان يغنى بصوته الساحر تلحينه الجميل ليلى وحينها بدأ يقول « ليلى . . ليلى » على طريقته من التطريب الجميل فحسبت ليلى أن الأستاذ عبد الوهاب يناديها وجرت إلى المذياع كأنها تلبى النداء .

● الثورة داخل الشيخ الباقورى والى بدأت من القرية : ترى هل أخذت الأبوة هذه الثورة . . ؟ هل أجلت بعض التصرفات النائرة داخل مولانا . . ؟

قال وهو يراعى الدقة :

— أظفت من حدثها وإن لم تقض عليها ! . . ولم تقض عليها لأن الثورة كانت أصلاً للوصول إلى شىء وهذا مما ينفع الأولاد . . وأنها موصولة بالجانب (أنكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون) فالتقى فيها الجانبان جانب تهذبة لمصلحة الولد وجانب الطموح لمصلحة الولد أيضاً وذلك هو قضاء رسول الله الذى لا فرار من قضائه ﷺ .

والحقيقة أن الثورة لم تنزل فى نفسى ولكنها أعقلت حدثها وهذأت حرارتها إلى

جانب جعلنى أبدو فى بعض الأحيان كأننى انصرفت عن الشؤون السياسية .

\*\*\*

● نعلم أنه كان لديك القدرة على التحريض على الثورة وأنت كنت دائم الحجج إلى المعتقلات بسبب هذه الثورة سواء بالمنشورات أو شخصياً هل تذكر بعضاً من هذه المواقف ؟

قال يصف مصر بكلمات رقيقة :

- كان الإستعمار قد بدأ يشتد وكنت قد تزوجت فى عام ١٩٤٠ والحرب العالمية فى بدايتها وبدأت القوى المختلفة تطوف بشباب مصر . . وبدأ الشباب يكون موطن استقلال وبدأ الاستعمار البريطانى يتبخر وكانت هناك مواقف كثيرة جداً كنا نتلمسها لتحملنا على أن نهاجم الاستعمار . . وتفتحت عواطف إخواننا وزملائنا والشعب كله بوجه عام على أن يعضوا الاستعمار وأن يقاوموه بكل صور المقاومة وكان الطلاب يثرون ويقومون بالإضرابات فيفرقهم الإنجليز بالقنابل وفى إحدى المرات كنا نشيع جنازة أحد هؤلاء الشباب وفى المدافن وقفت خطيباً فى المشيعين وكنا ننتهز أية فرصة لتحدث عما ينتظم البلاد من أحوال لا نرضى عنها . . وقفت خطيباً أرثى الذين قتلوا والذين جرحوا وأقول . . إن الاحداث يجر بعضها بعضاً وقسوت على الذين ظاهروا الاستعمار بحكم أننى رجل وطنى أكره لبلدى أن يكون مستعمرأ أو مستعبداً لأية قوة فى العالم وبعد أن أنهيت من خطبتي التى أثارت الناس ، إذا بالبوليس السياسى يكتب ما شاء له الهوى وقبل أن يلقي القبض « على » على أثر هذه الخطبة نقلت بقرار من مجلس الأزهر من معهد القاهرة الذى كنت مدرساً فيه إلى معهد شبين الكوم الدينى والذى كان يرأسه الشيخ عبد الحق عيسى . . وهناك لم أنزل عن طريقي فى الربط بين العلم والدين وبين السياسة والدرس حتى إذا كانت الدراسة عن القرآن أو السيرة فقد كنت التمس لها وسيلة من الوسائل وأتحدث عن السياسة .

وبينما أنا فى شبين الكوم وكنت أنزل فى الفندق هناك إذا بالفندق الذى أنزل فيه محاط من كل جانب برجال البوليس حتى ظن الناس أنه موقع حربى وإذا برجل لطيف من الضباط يحضر لكى يوقظنى من النوم ويقول لى :

- تسمح تيجى معانا شويه

- على فين ؟

- مشوار صغير !

ونزلنا وسط صمت رهيب أشد على النفس من الكلام الصاخب وأركبوني سيارة جميلة أنيقة .. وظلت السيارة سائرة .

- على فين ؟

- إلى القاهرة : ثم تركب القطار وتذهب إلى بيتك في الزيتون، ورجال البوليس السياسى متعهم الله دائماً بحس دقيق وذوق رفيع فى التعامل مع ضحاياهم . فظل الرجل أميناً مهذباً وفى غاية رقة العاطفة والأدب الجم حتى وصلنا إلى القاهرة .

- هذه هى القاهرة يا سيدى :

- نعم لكننا سندخل لنرى القطار لأن هناك من ينتظروننا ..

وفى المحطة وجدت أنه محجوز لنا مكان فى القطار الذهاب إلى المنيا .. وتقابلت فى محطة الجيزة مع أستاذى ووالد زوجتى الشيخ محمد عبد اللطيف دراز وبعض الآخرين .. فقد كنا ذاهبين إلى معتقل ماقوسه بالمنيا .

وطافت بذهنى زوجته فسألته :

● ماذا كان موقف زوجتك حينما ذهبت إليها وأخبرتها بنقلك إلى شبين

الكوم ؟

وتبسم ثم ضحك وأزاح العمامة فبدت منابت شعره التى زينها الشيب وقال :  
- سألتنى زوجتى عن السبب فقلت لها : « أنها السياسة يا كوكب .. فاكثأبت وقالت «أنا حظى مثل حظ أمى .. عندما كانت مخطوبة لأبى أخذوه منها إلى قصر النيل» لكنها شجعتنى وقالت : أبى أعدنا لهذا اليوم .

\*\*\*

كان حماسها للأزهر شديداً فوالدها من رجاله وبالرغم من أنها تعلمت اللغة الفرنسية فى المدرسة إلا أنها عايشت القرآن الكريم وسير السلف الصالح فى البيت وتشبعت بهم وكأنهم أفراد أسرتها .. تعلمت من أبيها كيف تستشهد بأبيات الشعر .. وسألته أن تعود بذاكراتها إلى تلك الأيام الخوالى لتتذكر أول لقاءها مع شيخ مصيرها وثاثرها العظيم .. وتعترف الصغيرة ذات الخمسة عشر ربيعاً فى ذلك الحين أنه لفت نظرها والتقت ذاكرتها مع ذاكرته عندما كان يزورهم فى أسيوط مع تلاميذ والدها ..

وأردت أن أسأل ذات السجينين - سجن أبيها وسجن زوجها - أردت أن أسألهما :

● السجن في حياتك له مكان هام جدا .. أبوك دخل السجن وزوجك أمضى في السجن فترة زواجكما الأولى .. إحكى لى عن السجن عند ذات السجينين ؟

قالت تلك التى أعطت الطموح لزوجها :

- نبدأ بمشهد بمحكمة مصر الوطنية .. كنت متعلقة بأبى وكان عمرى ١٤ عاما وذهبت معه لأشهد معه محاكمة تلاميذه الذين قبض عليهم وأودعوا سجن الإستئناف فى حركة الأزهر .

فشاهدتهم يأتون والقيد فى أيديهم ويزج بهم فى قسوة إلى قفص الإتهام ولفت نظرنا منظر شيخ هادى هدوءا شديدا لا يهتم بكل ما يدور حوله وبدأ النداء على المتهمين فيرد محامى كل منهم بالنيابة عنه .. ونودى على أحدهم ..

- أحمد حسن الباقورى ..

.....

- أحمد حسن الباقورى

.....

والتفتت الاعناق إلى الشاب الهادىء الجالس فى قفص الإتهام ونطق بكلمات هادئة لم تفقد حماسها ..

- ليس لى محام .. أنا سأتكلم عن نفسى ..

... وأحسست بانطباع خاص جدا لهذا الشاب .. ولكنه كان من مصدر

حبى لمصر ..

ثم أضافت ..

- ثم سأله ..

- هناك اتهام بأنك صاحب ثورة الأزهر .. فما رأيك ؟

- أنا لست صاحبها فقط .. أنا المفكر لها والمتكلم لها وصاحبها أيضا .

وكرر رئيس المحكمة سؤاله حتى يتراجع الشاب الذى كانت ترقد تحت عمامته

ثورة جيل كامل ولكنه أصر على أقواله مرددا :

- أنا مفجر ثورة الأزهر .

وتقول السيدة كوكب وهى تعود لأيام عمرها الأول :

وتذكرت كيف حملها مرة بعد أن أوقعت «المرى» على ثوبها وغسل لها يديها ومسح ثوبها .

واستمعت إليها وتذكرت كلماته وهو يؤكد قسوة البوليس السياسى الناتج عن ضعف النفوس وأن الشوار لم يكن يعوزهم المكان فكانوا يلتقون فى عربات الترام ويغيرون الخطط باستمرار حتى لا يستطيع البوليس مهما أوق من فطنة أن يفتت قوتهم . . وتقول السيدة كوكب دراز حرم الشيخ الباقورى :

— كنت متحمسة لقضية البلد وكل ما نرجوه الإستقلال وخروج الإنجليز والتقيت مع أحمد عند هذه النقطة . .

وأقيم اللقاء . . فهو لقاء بلا موعد . . نقطة لقاء معنوية حيث التقاليد هنا تأخذ شكل التنفيذ المحترم دون الشعور بالظلم من الأسرة . . وكانت فتاتنا فى ذلك الحين من ذلك النوع من الفتيات اللاتي يعترفن أنه شرف كبير أن تكون للأسرة تقاليد وشرف أكبر أن تراعى الفتاة تلك التقاليد . . كانت لا تكلمه وإنما تراقبه عن بعد . . لم تكن تفكر فى نوع فتاها بعد فقد كان خيالها دائما يصاحب طموحها لتكون شيئا ما فى بلدها قبل أن تتمثل نفسها زوجة وأما . . كانت تتمنى أن تفعل شيئا على طريق المرأة ، كانت تتمنى أن تثبت دائما أن المرأة جديرة بالعمل فالمرأة التى تستطيع أن تكون أما ويتكون فى رحمها طفل يستطيع عقلها أيضا أن يحقق الكثير . ترى ما الذى حدث وغير تفكيرها ، ما الذى حدث تماما وبالضبط وجعلها تكفى بقلب حرم الشيخ الباقورى . . هل سد الطريق أمام طموحاتها ؟

— لا . . أبدا . . لم يسد الطريق أمام طموحي أبدا لقد استمر طموحي كما هو ولكنى حولته بيدى وبرضاى وبلا أى ضغوط . . كان الله دائما يضع خطوطا عميقة وواضحة فى لوحة حياتى . . وما أجمل اللوحات التى يرسمها الله . . إن ظله ليس ظل أى رجل عادى لقد شعرت أن مكانى هنا بصبرى وتحملى ومحاولاتى الدائمة للوصول إلى هدفه وهو نفس هدفى . . سيتحقق طموحي كله .

### ● كيف ؟

— لأن الطموح السياسى للفتاة فى الثلاثينات والأربعينات كان ضربا من المستحيل ولكن الفتيات منذ ثورة ١٩ كان لهن دور هام خلف الرجال . .

\* \* \*

- وأحسست أن أبى أهتز بهذا الشاب مثلى تماما ومثل كل من شهد لحاكمة ..

وأصبحنا نحج إلى المحاكم ، أبى مصر على أن يتابع تلاميذه ويسعى إليهم فى نل مكان مشجعا لهم .

ومن محكمة إلى محكمة وصل بنا المطاف يوما إلى محكمة نور الظلام ... وفى طريقنا وقفنا أمام أحد البيوت الكبيرة فى حى الحلمية الجديدة وكان حيا من أجمل أحياء مصر بيوته قصور لها حدائق غناء ووقفنا أمام أحد هذه القصور انتظارا لقدم المتهمين لنراهم قبل دخولهم إلى المحكمة .. ولم أكن أكبت رغباتى وأفكارى كمرافقة فى ذلك الحين فعقدت مقارنة بين البيت الذى نقف أمامه وحديقته الغناء وطيور البيغاء الملونة الجميلة التى بها وبين بيتنا الصغير الذى نسكنه بعد أن فصل أبى من الأزهر .. وكانت المقارنة بصوت عال سمعها أبى .. وقال لى وقوله يطوى فلسفة خاصة :

- أليس قصر عابدين جميلا أيضا ؟ ؟ .. ليست الحياة بالقصور يا ابنتى لكن ما بداخلها هو الذى يحدد طعم الحياة وفائدتها .. ومرة المتهمون أمانا ورأيت أحمد بينهم .. ولكن التفث للبيت الجميل ثانيا ألقى عليه نظرات أخيرة قبل أن ندخل المحكمة ..

والعجيب أنه لم تمض ٥ سنوات حتى اشترت أمى هذا البيت بذاته وعقد فيه قرانى على نفس المتهم الذى جئنا نراه وهو فى طريقه إلى محكمة نور الظلام ..

\* \* \*

وأوقفت تيار الذكريات الجارف فأنا لا أقصد إلا الشيخ نفسه وكيف وصلت إليه ووصل إليها وأصبحت هذه المعزوفة الجميلة - ماشاء الله - ذات النوتة الموسيقية الثلاث - لى .. عزة .. يمنى والأحفاد .

كيف اندمجت فتاة تنطق الرأء غينا وبدأت حياتها بتعلم اللغة الفرنسية .. كيف أصبحت العمامة هواها ومنتهى أملها ؟  
قالت بصراحة تزيد قصتها قوة :

- كان والدى يرفض كل من يتقدم لى . كان لا يناقش حتى أخلاقهم أو أصولهم وعائلاتهم .. كانت أمى تفرح بقدوم العرسان ذوى الحسب والنسب والمال .. وتحكى وتقول وتعد نفسها لاستقبال الحسب والنسب .. وبكل بساطة

يرفض أبى فى جملة دائمة التكرار . .

- البنت مازالت صغيرة ! !

وأنا كنت مستمعة فقط والحقيقة كنت أعجب بكلمات أبى لأننى كنت لم أضع فكرة نهائية عن الزواج أو ترك البيت الذى أحبه وأحب أبى بالذات . .

وفى أحد الأيام جاء أبى . . وكانت ليلة العيد الكبير وأمى مشغولة مع الجزار فى بدروم البيت . . وأخذنى أبى إلى الصالون وقال لى :

- اغلقى الباب . .

وأغلقت الباب . . وأخفى ابتسامة حنان بين قسمات حادة تناسب الموقف

وسألنى :

- لما تحبى تتجوزى تختارى زوجك من أى نوع ؟

واضطربت . . كان السؤال مفاجئاً . . ولكن قلت بسرعة :

- أنا غنية بأبوتك التى لديها أب مثلك لا تختار . وضحك أبى ضحكة اعتزاز

وسعادة وقال : مبروك لقد انتهيت منك اليوم .

- ولم أحاول أن أنطق سوى جملة واحدة ربنا يخليك . . عقبال وفاء .

وكانت وفاء هى رقم ٢ بعدى . . وكانت أمنيى الكبرى أن أعرف اسم

العريس ولكن كيف أسأل . . . وقد تورطت فى القاء ثقتى الكاملة إليه . . وكأنما

أحس بى فقال :

- أنا اخترت لك انسانا يحفظك ويخاف عليك سواء فى حياتى أم من بعدى

يحترمك سواء أنا فى منصبى أم فى الشارع . . لكن الأفندية المايعين بتوع اليومين دول

فاضيين وغير جادين ولا يعتمد عليهم . .

وهممت بالإصراف قبل أن تفضحنى كمية الفضول التى تملؤنى . . ولكنه

أبقانى وقال رحمه الله .

- هل عرفت إسم خطيبك ؟

قلت وكأننى ألقى بحمل ثقيل

- من يا بابا ؟

قال : أنا أعطيت كلمة للأستاذ أحمد حسن الباقورى .

ومر الشريط فى خيالى بسرعة . . المحاكمات . . هدوئه . . ردوده . . لجان

الطلبة ولكن العمامة وقفت قليلا أمامى فقلت بلا تفكير :

- للشيوخ الباقورى يا بابا ؟

قال باعتزاز وخيلاء

- نعم .. إبنى وتلميذى .. الرجل الكامل الذى أأثمنه عليك وأنت أول أولادى وأغلى ما عندى .

ورغم الإعجاب السابق والإمتنان والعرفان لأنه هو وزملاؤه كانوا السبب فى عودة أبى إلى عمله بالأزهر ورغم إحساسى بالتقدير الكبير له إلا أننى كنت أفكر فى مواجهة صديقاتى .. والشكل دائما عند الفتيات خصوصا فى عمرنا كان أهم من المضمون .. وأسجل للحقيقة أننى كنت أعطى اهتماما للنواحي المظهرية فى ذلك الحين .. ولكننى أحسست أن هذا لا يمكن أن يكون سببا للرفض .. يمكن أن يكون شىء من التردد ولكن رفض مثل هذا الشاب سيكون شيئا مخجلا بينى وبين نفسى .

\* \* \*

وحدد موعد الشبكة .. وجاء الشيخ حسن البنا رحمه الله ليقرأ الفاتحة مع والدى وهنا حدث ما لم يكن فى الحسبان .. حدث ما جعل الشاب الشيخ يخطف ابصار الأسرة كلها ويحوز على أعجابهم جميعا فبعد قراءة الفاتحة مع والدى .. دخل أحمد ليتعرف على نساء الأسرة ويسلم عليهن ويأخذ مباركة والدتي كعادة العرسان فى ذلك الحين وجلس معنا بعض الوقت ولفت حديثه نظر كل من كان مع أمى من صديقات وسيدات الأسرة .. تكلم عن السماح فى الدين وكيف أن المرأة كرمها الإسلام بل كرمتها كل الأديان .. تكلم عن الإسلام دين كل عصر .. وبدأت رحلتى مع الشيخ ..

واستطاع بشخصيته الجذابة وإيمانه القوى وحديثه الحلو أن يجعلنى أتخلص بسرعة من أفكارى الصببانية الصغيرة بدرجة أننى أصبحت أتباهى بأننى مثل أمى زوجة الشيخ .

ووجدتني أعيش معها كل ما قالتة عنه وفقط أردت أن استزيدها فقلت :

● ورحلتك معه كيف كانت ؟

- كانت رحلة عجيبة .. عمامة وتحتها عقل راجح وقفطان وجبة وبينهما قلب شاب محب للحياة بكل ما فيها يعيش من أجل كلمات ثلاث « الإسلام - الوطن - الأزهر » .

فى فترة الخطبة دخل السجن وعلمت منذ ذلك اليوم أن دوره فى الحياة ليس دورا عاديا يقتصر على الكفاح من أجل الأسرة ومطالبتها .. كنت قد عاصرت اعتقال أبى



فلم أكرث عند اعتقال زوجي . . وانتقلنا بعد عام إلى بيت الزوجية في حلمية الزيتون كان بيتا صغيرا له حديقة جميلة أمضينا فيه فترة جميلة من فترات حياتنا وورقنا فيها بابتنا الأولى ليلى .

## مع السادات في المعتقل

وفي عامها الأول اعتقل والد الصغيرة مع الذين اعتقلوا في حركة ٤ فبراير واعتقل معه الرئيس الراحل أنور السادات . .

- كنت أرسل الطعام لزوجي يوميا في السجن ولا أعلم إن كان يصله أم يصل لزملائه ولكني كنت سعيدة جدا لشعوري بأنني أساهم في عمل وطني لأنني كنت أعلم أن هؤلاء المعتقلين إنما اعتقلوا وهم في موقف دفاع عن شرف الوطن . . وكنت في ذلك الحين قد عدت إلى منزل أبي الذي كان معتقلا هو الآخر . . ولا أنسى أبدا الأمسيات التي كانت أمي تدرع بهو البيت ذهابا وإيابا وتقول : النحاس أخذ الرجلين !

وكان أكبر رجل في بيتنا في ذلك الحين هو شقيقى فريد الطالب بالمدرسة الثانوية ولكن الحياة في مصر في ذلك الحين كانت تضيق للمرأة صلابه شديدة لتواجه المواقف حيث الرجال دائما في المعتقلات .

ويتكيف الإنسان دائما بما يحيطه من ظروف ويوظف الذكاء لخدمة هذا الظرف وتلك المشكلة . . وكانت المعتقلات مليئة بالشواروكما زاد عدد الشوار تكثفت الحراسة واشتد التضييق عليهم ولكن الناس خارج السجون كانوا يتدعون الحيل لكي يصلوا إلى الثوار ويوصلوهم للناس .

● كيف كنت ترسلين زوجك ؟

ابتسمت وأكملت سيناريو حياتها :

- كنا نبتكر الطرق إلى ذلك . . كنت أكتب رسائل بالقلم الرصاص وأضعها داخل « أبرمة » الحمام والفريك أو داخل صواني البطاطس فكنت أفرغ الثمرة ثم أضع الرسالة وأغلقتها ثانيا ونرصها في الصينية مع الصلصة واللحم ونادرا ما كانت تضبط رسائلنا في ذلك الحين وكانت تعيهم الحيل فينقلونه إلى معتقل آخر دون أن نخبرونا فنظل نبحت عنهم حتى نعرف مكانهم أو يرسل هولنا من يخبرنا بمكان اعتقاله وكما من مرة دب اليأس في نفوس رجال البوليس السياسى لملاحظتهم المستمرة لوصول الرسائل للمعتقلين .

وكنا قد سمعنا أن منشورات الشيخ الباقورى كانت توزع على الناس بعد صلاة الجمعة بينما هو فى المعتقل فما هى قصة هذه المنشورات ؟

● كيف كانت تصل منشوراته إلى الناس وهو فى السجن ؟

قالت وبريق الانتصار يلمع فى عينيها :

- آه .. المنشورات .. أقول لك .. كان يرسل لى فى قاع عمود الطعام أوفى أغلفة .. العلب الفارغة .. رؤوس الموضوعات التى يريد أن يطرحها على الناس ! كنت أحاول جاهدة المحافظة على أسلوبه فى صياغتها وتديبها ثم نطبعها على البالوظة فى بدروم منزلنا .. كنا نكون فرقة حرس من اخواتى .. وفاء « على الشباك » وفريد على باب البيت ويوسف وأمال يلعبان فى الحديقة وكأن الحياة تمر عادية جدا فى ذلك البيت ..

ويتم طبع المنشورات ثم يأتى الزملاء ويأخذونها ويفاجأ البوليس السياسى بمنشورات الباقورى فى أيدي الناس وهو مازال داخل السجن فى ماقوسة أوفى سجن الأجنب .

صدقونى أنها تحكى معاناتها بشوق شديد إلى العودة إلى تلك الأيام .. إنها تمنى أن تعود حياتها من جديد لتعيد ما حدث تماما ..

● هل تذكرين بعض هذه الرسائل ؟ هل توصلت إلى أسلوب من أساليب

الشفرة بينكما ؟

- نعم .. كان مثلا حينما يريد أن يرى أحد هذه المنشورات ويريد الاطمئنان على طبعه يرسل لى قائلا : « أطعمينا مما أطعمت به الزملاء » . فأرسل له نسخة ليرى بنفسه كيف خرج المنشور إلى النور .. لقد كنت أشعر بارهاق شديد عند إعادة صياغة المنشورات وذلك لحرصى على أسلوبه وعباراته حتى أن رجال البوليس السياسى كانوا يتساءلون « الباقورى فى السجن ومن الذى يكتب إذن هذه المنشورات ؟ » .

\* \* \*

واشتقت أن أعرف حياتها الخاصة .. بيتها لأننى طوال الحوار السابق أعيش خارج البيت فى المعتقلات وفى الشوارع وعلى أرصفة الأيام .

● قولى لى .. بيتك حياتك الخاصة .. فى الأيام القليلة التى تعتبرها ملكا

خاصا لك .. كيف كانت الحياة ؟

وكانت أجابتها أيضا خارج سؤال :

- ألم تعلمي أن بيوت مصر كانت في ذلك الحين لا تعيش حياة خاصة .. كان بيتي يغلي .. كان قطعة من مصر .. الاجتماعات بين زوجي وتلاميذه لا تنتهي .. والمناقشات تعود حول موضوع واحد حتى ضوء الفجر .. مصر ومصر فقط والتدهور الذي كانته في ذلك الحين .

أحكى لك قصة حدثت لي .. دخل زوجي مرة ذات مساء إلى منزلنا وكان الصغار قد ناموا وأنا أنتظره وحدي وفوجئت به يأخذني من يدي قرب غرفة مكتبه ويقول :

- عاوزه عشرين ألف جنيه ؟  
- بلاش هزار يا أحمد .. إنت جرى لك حاجة ؟  
- أبدا والله باتكلم جد .. !

أنظري .. أنظري هنا واقتربت من باب الغرفة فرأيت منظرا عجيبا لقد وضع المصباح في أرض الغرفة ورأيت شبح رجلين يجلسان على الأرض يغمرهما الظلام .  
ثم قال :

- هذان الرجلان ثمنهما عشرون ألف جنيه .. إنها متهمان بالاغتيالات السياسية ومطلوب القبض عليهما مقابل هذا المبلغ الكبير !

وثرث واعتقدت أن زوجي بعد هذا العمر لا يفهمني وغضبت وقلت له :

- هل تظنني أقوم بهذا العمل مقابل مال الدنيا ؟ عيب يا أحمد لقد أمانا بيتي ولجأ إلى وعلى أن أوفر لهما هذا الأمن وأكون عند حسن ظنهما .. وابتسم وقال لي :

- الحمد لله يا كوكب .. أنت كما أنت كوكب التي أعرفها .

● وموقف ظريف لا تنسيته أبدا ؟

- بعد زواجي بيوم واحد استأذن مني ليخرج ويعود بعد ساعة وكنت أجلس أمام مرآتي وفوجئت برجل افندي أنيق يرتدي بدلة جميلة يدخل غرفتي فالتفت مذعورة وكان هو

● وفرحت بانتصارك على العمامة ؟  
قالت وذكريات أكثر من أربعين عاما تملأ عينيها سعادة :

- أبدا .. أبدا لقد فضلت العمامة وصاحبها على كل افندية العالم ..

● ورأى له أعجبك ؟

- مقارنة بين شخصيتي عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب .. رضى الله عنها .. يقول عن عمر إنه يصلح للقيادة لا للجندية بخلاف على الذي يصلح

للجندية لا للقيادة وإن الله لو أراد بالمسلمين خيرا لمد في حياة عمر عاما واحدا .

● وقول أفادك في حياتك كامرأة ؟

- إنه يردد دائما قول سيدنا رسول الله ﷺ « خير ما يكتنز الرجل المرأة الطيبة . . إن نظر إليها سرته وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته في نفسه وفي ماله » فالمرأة الصالحة في نظره هي التي يتمثل فيها هذا الحديث . .

● وأنت ؟

- أحاول أن أكونها والحمد لله

● ومتى يغضب شيخنا الجليل ؟

- حينما أحاسبه حسابا عسيرا على سلوكه الذي يسميه جهلا لقدره فهو لا يحب أن يحاسبه أحد أبدا . . ومن أقواله التي يتمثلها دائما « إن التواضع للصغار شرف وإن الكبر على أهل الكبر صدقة »

● وهداياك لك ؟

- قل أن يحضر هدايا . . بعض الأحيان قرط أو قطعة قماش وأجل هدية كانت تمثالا جميلا من هونج كونج

● وأجل فترات حياتك وأمتعها معه ؟

- حينما كان شيخ معهد المنيا الديني عام ١٩٥١ . . وأيام المعتقلات !

## الحوار الخامس



أسرار التاريخ :

- عبد الناصر لم يكن في الإخوان
- السادات يهرب من السجن

● عندما بدأ الشيخ الباقورى يروى قطوفا من حياته اشترط أن تكون القطوف من كل مراحل العمر . ومن كل معطيات الفكر دينيا وسياسيا واجتماعيا . . وقد كنا عند حسن ظن الشيخ الثائر . . وبدأنا نمشى معه الهوينا من القرية فى باقور من أعمال أسيوط . . ثم انتقلنا معه إلى معهد أسيوط الدينى الذى كان الشيخ من طلبته الرواد . . وعشنا معه ثورته على التقاليد ثم رحلنا بذات القطار إلى القاهرة . . وعشنا ثورة الأزهر . . ثم تفتح الشاب على الحياة وأشركننا فى ذكرياته لاختيار شريكة حياته . . وكانت معه فى السراء والضراء . . فدخلنا المعتقل مع الشيخ الباقورى . . وهنا نقف لنأخذ منه رأيه فى الزعيم الراحل أنور السادات الذى زامله فى معتقل ما قوسة بالمنيا . ورأيه فى شباب مصر الذين عاشوا مشاكلها وثاروا من أجل القضاء على تلك المشاكل .

حينها كان الباقورى يعيش شبابه . كانت مصر كما الأرملة . ترتدى السواد وترى الصغار ولا يحف لها دمع أبدا . . الإنجليز يعسكرون هنا والظلم ضارب فى الأعماق وأصوات السواقى وهى تروى الزرع كأنها تثن وتتوجع من أجل هؤلاء ومهما اختلفت الاتجاهات لا فرق بين شباب الوفد أو شباب وطنيين بلا أحزاب . . وكانت ثورة شيخنا توصله دائما إلى المعتقل حيث كان الثائر دوما والمحرض باستمرار على الثورة . .

● كيف خدعوك بالانتقال من شبين الكوم إلى معتقل ماقوسة بالمنيا ؟  
ابتسم . . وكأنه يحب يتذكر حكايها حبه الأول :

- جاءوا إلى فى اللوكاندة التى كنت أسكنها ولكنهم غاية فى الذوق والهدوء . . وقالوا لى سنذهب إلى القاهرة . . وأركبونا القطار إلى القاهرة وكان هذا القطار ذاته يحمل مولانا الشيخ دراز الذى كان شيخا لمعهد الزقازيق الدينى والذى أيقظوه أيضاً من نومه وأخذوه على القطار رأسا وفى محطة الجيزة بعد أن ركبنا القطار الذهاب إلى الصعيد إذا بنا نرى فى المحطة شيخ الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرازق رحمه الله ورضى عنه وجدناه جاء ووقف لتحيتنا ونحن فى الطريق إلى المعتقل .  
وطغى حب الاستطلاع على كل شىء وسألته حتى أقتل حب الاستطلاع وأتمتع بحوار الرجل الذكى :

● كيف كان الحال فى معتقل المنيا ؟

وبشكل وثائقى عودنا عليه الشيخ الباقورى .  
- حقيقة البلد ذاته كان طوال عمره من بلاد الجهاد . . وكانوا قد استاجروا لنا بيتا يملكه رجل اسمه عبد الرحمن باشا الماقوس كان الرجل قد بناه ليكون مقراً للزوجة .

وفى هذا القصر كان اللقاء بين مواطنين من سائر الأجناس والطبقات . .

● من تذكر من هذه الأسماء ؟

- أذكر أخى وصديقى وزميلى الأستاذ موسى صبرى . . والأستاذ نجيب ناشد المحامى وزميل لا أذكر اسمه الثانى كان اسمه خليل . . وآخر كان اسمه ماهر . . كانوا شبابا صغيرا . . وكان من العسكريين عبد الوهاب حسنى . . وكان من بين هؤلاء الرئيس محمد أنور السادات .

ووجدت الخيط أمامى فالتقطته بسرعة .



- هل كان هذا اللقاء هو أول لقاء بينك وبينه وماذا كانت تهمته ؟  
قال يتذكر

- نعم لم أكن أعرفه إلا في حدود بسيطه جداً حينما كان يأتي للإخوان المسلمين مع كل الضباط الأحرار الذين كانوا يمرون علينا .

- وهل كان عبد الناصر معهم ؟

- عبد الناصر لم يكن وجوده واضحاً في الإخوان إنما الذين كانوا يترددون باستمرار ووجودهم واضحاً هم أنور السادات وكمال الدين حسين وحسين الشافعي . وقد كانت فيهم نزعة للتدين .

واللقاء الأول في سن الشباب وفي المعتقل ربما يلقي الضوء على شخصية الرئيس السادات فسألته :

● هل يمكن أن تقول لنا ملاحظاتك على شخصية أنور السادات ؟

- كانت ملاحظاتي الأولى على أنور السادات أنه كان رجلاً كتوماً لا يكاد يتحدث إلا في حرص شديد أما أوضح ما فيه فهو أن ملاحظاته كانت في غاية القوة وعاطفته قوية كان فياض العاطفة وحينما وجدت العاطفة وجد الاندفاع .. أنور السادات كان ممتكاً بجزء عاطفي ضخم جداً يملأ نفسه في تعامله مع الناس حتى الذين يعاملهم سطحياً ، كان رجلاً عاطفياً وتحسين هذا منه وأنت تتحدثين إليه وأنت تصافحينه أو وهو يتحدث إليك أو يسلم عليك ... كان فيه معنى عاطفي دقيق جداً هذا المعنى العاطفي كان يطغى عليه أحياناً .. وعلى وجه الخصوص في تصرفاته السياسية فيدعوه إلى التطرف .

● هل التطرف كان واضحاً في شخصيته في هذه الفترة ؟ وكيف هرب من المعتقل ؟

- أي نعم أحسست منه في تلك الفترة أنه شديد التطرف وكنت أرد هذا التطرف فيه إلى طغيان العاطفة على عقله .

في تلك الفترة كان يعيش معنا في معتقل ماقوسة مع غيره من المعتقلين السياسيين ، وكان القصر قد أصبح معتقلاً مكوناً من دورين وكنا ننزل لننام في الحديقة وحينما أراد أن يهرب على طريقته لأنه هرب قبل ذلك من معتقل الزيتون وعلى طريقته هرب في إطار القانون وهو يحترم القانون طوال عمره ومن طبيعته أنه يضع

القانون في إطار لتحركاته فلما هرب من معتقل الزيتون ذهب وقيد اسمه في سجل التشریفات بالقصر الملكي بعبدين ، هو هذه المره يريد الهرب فيريد أن يضيف على هروبه صيغه قانونية ، ناداني ذات ليلة وقال لي :

- أنا نويت الهرب أنا وحسن عزت .

قلت :

● كيف ؟

قال :

- ما لكش دعوه يا شيخ احمد . . . إنت تنزل تنام واحنا سنحاول الهرب وإذا هربنا ونجحنا خلاص انتهينا وإذا لم ننجح فسوف نحتمي بك ويقولون كيف هربوا ؟ . لقد كانوا هنا نائمين بجانب الشيخ احمد والناس هنا يحبونك ويحترمونك فما عليك إلا أن تقول أننا كنا نائمين معك ، وفعلاً جاء أنور ونام بجانبى وحينما جاءت ساعة الصفر كما يقولون استعدادوا ليذهبوا إلى سور القصر ليقفزوا من فوقه وإذا سأل أحد عنهم فسوف أقول كانوا هنا من دقيقة واحده . . يمكن راحوا دورة المياه أو ماشاكل ذلك .

ولكنهم لم ينجحوا في تلك الليلة في الهرب .

وبدأنا نتمرد على الحكم القائم في المعتقل وكنا نلقى بدواليب القصر في الطريق العام حتى لا تمر السيارات .

- هذه خطة . . إذن !

- نعم خطة . . وفي تلك الأثناء تنبهوا لنا وكان هناك قومندان للمعتقل اسمه محمد على يرحمه الله إذا كان قد مات ويعفو عنه لو كان على قيد الحياه فقد أمر الرجل بإطلاق الرصاص في المليون علينا وكدت في تلك اليوم أصاب برصاصه لولا فنجان قهوة كان في يدى فخفضت من رأسى لأشربه فلم تصيبني الرصاصه وكان الأولاد الذين معنا يقذفون الجنود بالطوب . وكلما استشعر العساكر خطراً على أنفسهم اصرروا على أن يقتلوا فعلاً ولكن الحمد لله لم تحدث حالة قتل واحده . وبعد هذه المعركة بثلاثة أيام أستطاع أنور السادات وحسن عزت أن يهربا .

● نجحت الخطة إذن ؟

- آه نجحت الخطة . . والحمد لله . .

● من أيضاً من الشخصيات التي قابلتها في المعتقل مازلت على علاقة بها ؟  
- كان معي في المعتقل أخى وصديقى موسى صبرى وكانت تهمة الكتاب الأسود الذى أصدره مكرم عبید . كان موسى صبرى مع الشباب الصغير جداً لم يكن يعمل في المحاماة بعد . . ولكنه كان إنساناً متنبهاً دقيقاً كنت ألاحظه حينما أروى قصة فيها أدب وكان تقريباً يحفظ هذه الكلمات . . مرة كنت أتحدث لبعض الناس الذين أجالسهم فقلت من أبخل الناس ؟

فقال الذى أحدثه : أنا أبخل الناس . . لأننى بخيل على نفسى . . ورد آخر لا أنا أبخل الناس . . لأننى أبخل بمال الناس على الناس . . فكان موسى صبرى يحفظ هذه الكلمات وأمثالها عنى وعن الآخرين . . كان إنساناً له صلة بالثقافة أو الأدب أو الصحافة . . موسى فيه عبقرية طوال عمره وفيه وفاء ولا أنسى من الكلمات التى أذكرها للمرحوم على أمين أن موسى صبرى لا جبان ولا متعصب .

● الشخصيات التى كانت تجتمع فى المعتقلات شخصيات متباينة فماذا كان يجتمعكم غير حب مصر ؟

- كان الحوار على شئ من الطرافة مليئاً بالطرائف والحكم والقضايا السياسية . . وكانت تأتينا رسائل من أسرنا وأصدقائنا مهيبة فكانت هذه الرسائل هى صلتنا بما يحدث خارج حدود المعتقلات .

\*\*\*

● كيف كانت تأتيكم الرسائل ؟

- كانت ترسل لنا عن طريق الواعظ الذى كان يأتى إلينا من المنيا . . وكانت زوجتى ترسل الرسائل بلغة لا يفهمها سوانا . . أنا وهى . . كانت ترسل زوجتى رسائلها فى ورقة تضعها فى قلب البطاطس ومكتوبة بخط واضح وكنت أتناولها وأقرأها وأرد عليها على طريقة رجل البوليس وكان هناك منهم ذو فضل كثير وناس طيبون جداً وكان هناك بعضهم يحفظ القرآن وكنت أقرأ القرآن ويأتى العسكرى ويجلس أمام غرفتى وأحياناً أخطئ فيرد على . .

● فى سجن ماقوسة كيف كانت تأتيك الخطابات ؟

- أحياناً كانت تأتى عن طريق الشيخ فودة رحمه الله . . وكان هناك أيضاً بعض الأصدقاء بين حين وآخر يأتون إلينا بالأخبار وما يحدث فى البلد . .

● كيف كانت حاله الاقتصادية في بيتك وأنت معتقل ووالد زوجتك معتقل ؟

- كانت أسرتهما في القرية لا تنسأهم وترسل لهم وتساعدهم . . كانت زوجتي حمولة وبقدر ما تطيق وكانت أحياناً تكرم أولادها بأكثر ما يكونون وأنا طليق .

\*\*\*

ولكى نخرج من المعتقل لابد أن نعود للحياة . . ولا أجمل من الحديث عن أكبادنا وخصوصاً حينما يكون الرجل في حالة دائمة من الضيق . .

● كيف استقبلت مولودتك الثانية عزة ؟

- أما عزة فهذه كانت نعمة وبركة . وفي الحقيقة جاءت عزة وكان أحب إنسان لدى هوأم أبي وكانت تسمى عزة . كانت شديدة البري وهذه كانت رحمها الله أحب خلق الله إلى . وحينما جاءت أحببت أن أرضى أبي فأسميت ابنتي على اسم أمه . عزة كانت ولادتها عسرة وكسرت ذراعها فقاموا بتجبيسها فكانت موقع تدليل كثير منا . . كانت عزة محظوظة لأن اللبن كان ميسوراً وكانت بجانبنا في الجيزة مزرعة ويأتي الرجل باللبن . . وإذا تأخر اللبن نصف ساعة عن مواعده يكون البيت عبارة عن حركة الجميع كلهم في خدمة عزة . .

● وهل تشبه عزة جدتك فعلاً ؟

- أى نعم كان فيها من جدتي الكثير . . كانت جدتي فيها عاطفة وجاءت عزة صورة منها طبق الأصل في شكلها وعاطفتها . . وكانت تحب الأكل برغبة تجعلك مهما كنت شبعاناً أن تقبل على الطعام .  
وعدنا إلى السياسة فقد جنحت على مركب عزة حتى يلتقط الشيخ أنفاسه بعد الخروج من المعتقل .

● بعد عزة كيف سارت الحياة بالأب الثائر ؟

- والله في الحقيقة بعد عزة الثورة . . نزلنا من حلوان إلى مصر الجديدة في شارع إسمه غرب القشلاق . كان بيتنا صغيراً به شجيرات جميلة . وذات يوم إذا بموتوسيكل يجيء ومعه رسالة . . وكنت أقلم الحديقة فقال لي :

أين سيدك ؟

- ماذا تريد ؟

- إبراهيم باشا عبد الهادى يريدہ .  
وكانت مع الرجل رسالة لى ولكنه اعتقد أننى البستان فأعطانى رسالة لكى أقابل  
إبراهيم عبد الهادى باشا غدا صباحا فى العاشرة . .  
. . وذهبت إلى إبراهيم عبد الهادى وهو رجل لا ينكر فضله فى الثورة  
الوطنية . . فقد كان خطيبها وكنت فى ذلك الوقت قد رشحت نفسى فى حى الخليفة  
لعضوية مجلس النواب وكانت المعركة شديدة لأن أفكارى كانت متطرفة . .

\*\*\*

وأوقفت مدير الكلام . . فكان لابد أن أعلم ويعلم القارىء مدى فكر الرجل  
الذى يمنح إلى الاشتراكية . . ولكنه أكمل .  
- كانت أفكارى متطرفة . . كنت أدعو للاشتراكية لأنى ناشئ من القرية من  
مستوى ليس أرستقراطيا فلا بد أن أطالب بالاشتراكية وهى عدالة اجتماعية لا أكثر  
من هذا . .  
واستوقفته . .

● هل اشتراكية الإسلام مع قراءاتك الخارجية أو رأى خاص كونه نابع من  
احتياجات البيئة مع خط الاشتراكية العالمى ؟

- كانت قراءاتى الخارجية لا تعدو أن تكون عن التقريب بين الطبقات لم تكن  
اشتراكية إلحاد أو منحلة عن الدين . . ولكن كانت فى إطار الاسلام الذى يحرص  
أشد الحرص على التقريب بين الطبقات . . لكن هذا لم يكن يرضى الطبقة  
الرأسمالية التى كانت موجودة فى ذلك الحين ومسيطره على العصر . . وعلى ذلك  
كنت قد رشحت نفسى ولم أنجح وكان الفرق بينى وبين الذى نجح عشرة أصوات أو  
اثنى عشر صوتاً فقط !

● من كان أمامك مرشحاً فى الدائرة ؟  
- كان هناك ٧ أو ٨ مرشحين لا أذكر منهم سوى حافظ محمود وصاحب سينما  
وهبى وزهير صبرى المحامى وحامدة الطرابلسى . .

● كلهم فطاحل ؟  
- نعم كلهم فطاحل . . ولكن أنا لم يهمنى وأنا أعتمد على أسلوبى فى الخطابة  
مع الأخوان وتقدمت وكنت أخطب وأشرح للناس ما أريد . . !

## ● من الذى نجح ؟

- نجح حمادة الطرابلسى ..

.. وأنا رشحت نفسى مرتين ولم أنجح .. ولهذا فقد أرسل لى ابراهيم عبد الهادى لأنه كان أميراً للحج .. فأرسل ليصالحنى لأن الانتخابات لم تكن واضحة .. وقد قال لى يومها أنا جاييك علشان أصالحك .. ووجدت أن أحسن حاجة أننا نتصالح أمام الكعبة وأنا رايح أميراً للحج فتذهب معى .. روح إلحق خد الحقنة بكره علشان نسافر مع بعض .

## اغتيال حسن البنا ..

وسافر الشيخ إلى الحج وكانت له هناك ندوات وجلسات والتف حوله الأمراء والناس ليستمعوا إلى إلقائه فى الشعر وتفسيره للقرآن وأدب النبوة ..

ولكن القاهرة كان هديرها قد علا وجوها قد غلى .. وامتألت المعتقلات بالإخوان المسلمين والذين خارج المعتقل منهم يروحون ويحيئون بين أسر المعتقلين يرفعون أبناءهم وآباءهم من الشيوخ والطاعين فى السن .. وبات فى كل بيت من بيوت مصر شاب أو رجل غير مطلق السراح .. وانكسر كثير من النفوس ولكن الذين كانوا بالخارج وضعوا أرواحهم فوق أكفهم ..

وكان صاحبنا مشغولاً مع إخوانه خارج السجون بتدبير أحوال أصدقائهم داخل السجون .. أما المرشد العام الشيخ الإمام حسن البنا فقد كان مطلق السراح .. ولكن كان لخبيثة أعدت له وليوم مصبوغ بالدم أحبك من أجله ..

وأردت أن أعرف كيف كان الرجل حينما قتل صاحبه وأنا أعلم مدى حبه وتعلقه به وإيمانه بقوة ما يحمل الشيخ المرشد من عبقرية وهضم لعلوم الدين .. وذلك الحب العجيب الذى جعل الشيخ الباقورى يبيع أغلى ما يملك وهى ساعة والده التى أعطاهها له وهو قادم للدراسة بالأزهر .. فقد باعها لأن شيخه زاره ذات ليلة وطلب أن يأكل سمكا فباع الشيخ ساعة أبيه لياقى لشيخه بالسملك الذى تمنى ..

أردت أن أستمع منه كيف سمع الخبر وكيف استوعبه وهو الذى سمع من شيخه المنام الذى رأى فيه نفسه يترك الدعوة .. قال وسحابة من الألم العظيم تظلل

وجهه الكريم النبيل :

- لقد توالى الأحداث وضاعت الأماكن بالإخوان المسلمين ومرشدهم الشيخ حسن البنا .. وامتلات بهم المعتقلات ولكنهم تركوا الشيخ الإمام مطلق السراح ليسهل اصطیاده .. كنت معه في دار الشبان المسلمين نتحدث حديثه المعتاد الذي يجعل القلق على الإخوان والبلد . وكان دائماً في تلك الأثناء يشعر باقتراب شيء لا يفهمه ولا يهابه أيضاً وكان الرجل أعد لهذا الاستشهاد .. وكنت معه على الباب ووقفنا في انتظار سيارة تاكسي ولكن تذكرت أنني لا أملك إلا سبعة قروش في جيبى وكنا في ذلك الوقت مضطرين لإعانة الكثيرين من عائلات الإخوان .. واستاذنت لأمشي حتى لا يخرج هو من أجر التاكسي وتوجهت لأركب القطار من محطة باب اللوق ..

وحينما وصلت إلى بيتي كان أستاذنا الشيخ دراز قد أنبأ زوجتي بخبر استشهاد السيد الإمام .. فوجدت زوجتي تجلس على سلم البيت وقد هزها الخبر وهدها هدأً وآثار البكاء تصبغ وجهها فسألتها :

ما بك ؟

ألم تعلم بالخبر ؟

أى خبر ؟

- الأستاذ المرشد في القصر العيني .. لقد أطلقوا عليه الرصاص .. وأنهرت بجانبها على السلم وأنا أردد : لقد نجحوا في اغتياله .

وقمت إلى التليفون وجعلت أسأل عنه وحينما مات حسن البنا بكيت كما لم أبك أحداً من قبل .. وسأطل ما حييت أبكى فيه العظمة والعبقريّة والتضحية والعلم الذي كان يعطيه للناس .. لقد كان حسن البنا أول دفعته في دار العلوم وكان مرشحاً لبعثة في إنجلترا . مثل كل الأوائل ولكنه لم يذهب حتى يبقى في مصر وبين أبنائها .

\*\*\*

وخرجت به من أعنف منعطفات حياته حيث فقد الأستاذ المعلم الأخ السند .

● قل لي يا مولانا ما هي علاقة الإخوان المسلمين بالضباط الأحرار ؟

- أعرف أن الأخ كمال الدين حسين والأخ حسين الشافعي والمرحوم أنور السادات . . كانوا على جهة اليقين متأثرين بالإخوان ويصرون على حضور دروس الثلاثاء ولكن القصة التي لا أنساها أبدا أنني حين وليت الوزارة في عام ١٩٥٢ زرت دار المرحوم جمال عبد الناصر وكانت زيارتي إياه في حجرة صغيرة على يسار الداخل إلى بيته ودعاني إلى الجلوس على كنبه صغيرة لا تحتمل أكثر من شخصين أو ثلاثة ثم قال لي :

هنا كان يجلس الامام الشهيد حسن البنا وأذكر أنني يومها قلت أرجو أن يكون مجلسي هذا مذكرا لك بما عسى أن تكون قد ضقت به يوماً من الإخوان المسلمين قال الرجل . لا وسترى يوماً أنني لم أكن عدوا للإخوان المسلمين .

● من من الضباط الأحرار كان على صلة بك قوية ؟  
- في الواقع أن الأخ الفاضل رشاد مهنا كان صديقاً لي وقد دعاني قبل الثورة لقضاء شهر رمضان في العريش . . ولكن لم أذهب . . وبعد قيام الثورة وعندما ذهبت لأحلف اليمين نظر كلانا إلى الآخر وكأننا نقول . . كل كان في طريقه وتلاقينا عند الثورة . .



الحوار السادس



الثائر في سلة الثوار  
شاهد على ثورة ٢٣ يوليو

في ثورة ٢٣ يوليو يقف الباقورى شاهدا عليها وعلى أحداثها التي عايشها وشارك فيها . . ويروى الباقورى بداية صلته بالثورة والثوار . . ويكشف أسراراً جديدة لنا . . ما هي صلة الإخوان بالثورة ؟ ولماذا وافق على الاشتراك في حكومة الثورة ؟ ولماذا اختلف جمال عبد الناصر ومحمد نجيب ؟ وما هو موقف أنور السادات في مجلس الثورة ؟ وكيف كانت علاقة عبد الناصر مع زملائه ؟

إن الشيخ الباقورى يفتح صفحات الذكريات عن ثورة يوليو - ويروى أن الهضيبي - المرشد العام - طلب منه أن يدعو للملك فاروق ليلة ٢٣ يوليو حتى لا تنكشف الثورة . . وأن الإخوان كادوا يضربونه لأنه قبل الوزارة . . وأن نجيب طلب من عبد الناصر أن يسميها «نهضة» بدلا من «ثورة» . . وكان رد عبد الناصر : لا يمكن أن أكون عضو مجلس قيادة النهضة . . هذه ثورة ونحن ثوار . .

## ليلة الثورة ..

في حياة الإنسان ليال كثيرة متشابهة تكاد تكون توائم .. ولكن في حياة كل منا أيضاً ليال يقف عندها الدهر وتترك بصمتها في الذاكرة .. وكلما استدعيت أحسست أنك تعيشها تماماً .. ومهما مر العمر فإنها تلح عليك وتجيء إليك وتمحو غيرها .. وليلة ٢٣ يوليو بالنسبة لليالي مصر كانت الليلة الساخنة الحاضرة .. تلك الليلة التي لوت عنق التاريخ في المنطقة كلها .

### ● .. والثائر دوماً .. ترى ماذا كان حاله ليلة الثورة .. ؟

وكان هذا سؤالاً إلى الأول لمولانا الشيخ الباقوري .. واعتدل الرجل في مجلسه وأزاح العمامة إلى الخلف .. تماماً كما كان يفعل في صدر شبابه .. وكأنها حركة تزامن الأحداث الهامة .. ثم قال :

- كنا في درس الثلاثاء .. وكان مولانا المرشد حسن البنّا قد لحق بالرفيق الأعلى وخلفه الأمام حسن الهضيبي .. وكنت مستولاً عن «السنة» .. فقد كانت لنا أقسام ولكل قسم منها رئيس والقسم الذي كنت أشرف عليه هو أدب رسول الله في الأحاديث النبوية .. واضطرت لمقاطعته حتى نطل على جماعة الإخوان ..

### ● وما هي الأقسام الأخرى ؟

القرآن .. التاريخ .. التصوف .. وكان لكل من هذه الأقسام رئيس أو مشرف يجد فيه صلة عاطفية وعلمية وثقافية بما يضم القسم .. واخترت أنا قسم السنة .. أي سنة رسول الله صلوات الله عليه .. وتصادف في تلك الليلة أن قام قائم يخطب في مناسبة زيارة زائر من باكستان .. وقد تحدث الشائر باللغة الانجليزية .. وقام أخ مسلم يترجم من اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية .. وكان هو الأخ الأستاذ محمد المعلم .. كان يترجم من قلبه ولسانه ..

ومازلت أذكر الجملة التي افتتح بها ترجمة حديث الأمام الباكستاني فقد بدأها بقوله :

.. إنني أستطيع أن أترجم الكلمات التي سمعتموها من الانجليزية إلى العربية .. ولكنني عاجز أبلغ العجز عن أن أترجم العاطفة التي اشتملت عليها في أثناء الحديث ..

وبعد أن انتهى كان المفروض أن أقوم وأعلق بحكم عملي . . وقبل أن أتهياً للكلمة ، ألقى في سمعي الأمام حسن الهضيبي أن أدعو للملك ولولى العهد . .

فعجبت . . لم يطلب مني هذا وهو المرشد وهو الأحق بهذه الكلمة . . لأنني لا أريد . . فأنا رجل من الذين لم يبلغوا مرحلة قوية في هذا الباب . . فقد كنت وقتها شيخاً لمعهد المنيا الديني . وبعد أن جلست قام هو فتكلم ثم جلس بجانبى وقال :

- العجيب أنني رفضت أن أقول ما دعوتك أن تقوله . . «يقصد الدعاء للملك» . .

واستنتجت ليلتها أنهم كانوا يعرفون في تلك اللحظات أن الثورة قد بدأت تتحرك طلائعها الأولى . .

. . كانوا يريدون إذن عمل تغطية على الثوار بالدعاء للملك في اجتماعهم هذا . . !

نعم . . وما أكثر التغطيات التي كنا نلجأ إليها لكي نستتر في ظلالها بعيداً عن أعين البوليس السياسى . .

\*\*\*

وقبل أن نناقش مع ثائرننا الشيخ علاقته بثورة يوليو تحسبنا طريقنا إلى موقعها في نفسه . .

- الحقيقة التي لا ينبغي إغفالها في هذا المقام . . إن المرحوم الرئيس على ماهر كان سياسياً داهية من الطراز الأول . . وكان صاحب الدولة محمد باشا محمود يخشاه ولا يطمئن إليه . . كما كان أيضاً الأمام الأكبر الشيخ مصطفى المراعى غير قوى الثقة فيه . . وحينما قامت الثورة واختاروا على ماهر رئيساً لأول وزارة توجسنا خيفة .

● هل استدعاك الضباط الأحرار ؟

- لا .. فقد فتحوا الباب لمن يريد .. فذهبت إليهم وفود من الإخوان المسلمين ولكنى لم أكن معهم ..

● كيف بدأت إذن العلاقة بينك وبين ثوار يوليو وثورتهم ؟  
- العلاقة بدأت حينما كنت أهاجم على ماهر باشا فى مقالات نشرت فى جريدة الأخبار .. وكان كامل الشناوى يقرأ بلغته الحلوة ونغمته الجميلة كلمات فى يتررب لها ويطرب الناس لها ..

● وماذا كان عنوان أول مقالة ؟  
- الأزهر ومنطق الثورة .. وكنت أتجول فى تاريخ الأزهر فى تلك المقالة ثم أتبعها بمقالة ثانية ثم ثالثة .. حتى أننى كتبت مقالا لم ينشر إلا بعد أن عينت وزيراً .. وكان الأدب الجم لأخى وصديقى الأستاذ مصطفى أمين جعله يسألنى هل ننشر المقال الذى عندنا أولاً ننشره فوافقت على النشر .

● هل أرسلوا يستدعونك بعد هذه المقالات ؟  
- لا .. !

● كيف التحمت إذن بثورة يوليو واستوزرت ؟  
- بعد نشر مقالانى ضد على ماهر .. وكان هذا بعد قيام الثورة بحوالى شهر .. أى فى خلال أغسطس وفى أوائل سبتمبر .. كنت ذاهباً إلى الإذاعة لأسجل حديثاً هناك كنت أعدده لأهاجم فيه استغلال الفلاحين .. وفوجئت بأن دار الإذاعة مازالت محاصرة .. فقلت للحرس الذين حول الباب : إن عندى حديثاً أريد تسجيله ولكن أحدهم قال لى : أنت حتنصب علينا وتدخل هنا تعمل الى أنت عاوزه روح يا عم شوف لك حنة ثانية بلاش لعب عيال ..

وكان صديقى بالاذاعة هو الشاعر محمود حسن إسماعيل .. ولم أجد أحداً يعرفنى فى الاذاعة .. فانصرفت عن التسجيل وكنت متعباً .. فجلست على قهوة «وبار الحرية» فى باب اللوق انتظاراً للقطار لأذهب إلى حلوان .. وبينما أنا جالس إذا بأحد أبناء الامام الأكبر الشيخ مصطفى المراعى يتحدث إلى قائلاً : إن الإمام يريد أن يتحدث إليك .. فطلبتة من تليفون قريب وقال لى .. نحن سعداء بك ..

وأحسست من الحديث أن هناك أمراً لم أعرفه تماماً ولكنه كان إحساس داخلى فقط ..

وألغيت فكرة الذهاب إلى حلوان وذهبت إلى صديقي المرحوم يوسف حسن عمر وهو صديق عزيز زاملنى فى قسم التخصص وتخرجنا معاً ثم تقدمنا لمدرسة الصيارف معاً ورفضنا فى يوم واحد أيضاً . . قلت أذهب إليه ونحدث أقعد معاه شوية . . وهناك تغذينا . . فقد كنت جوعان جداً وإذا بعربة «جيب» ومع من فيها الشيخ دراز يبحثون عنى فى كل مكان . . حتى أنهم ظنوا أننى سافرت إلى المنيا . . خاصة أننى كنت قد نهرت زوجتى لأنها طلبت منزل رشاد مهنا وطلبت منها أن تعرف خبراً عن ابن مصطفى المراغى لأن والدها طلب منها ذلك . . وكنت قد غضبت غضباً شديداً لهذا الأمر . . المهم أن العربة الجيب حينما ذهبت إلى البيت وسأل من فيها عنى وقالوا إنى غير موجود . . لم يصدقوا وعرفوا مكانى بطريقتهم الخاصة التى لا يعجزها شيء . . عرفوا أننى فى القلعة عند يوسف حسن عمر وقد علم وقتها الشيخ دراز أننى مرشح للوزارة من «أخبار اليوم» وكان هذا اليوم هو الأربعاء ٧ سبتمبر بعد قيام الثورة بشهر ونصف تقريباً . . واضطرت أن أقاطعه :

#### ● هل شعرت أن ثورة يوليو هى جزء مكمل لثورتك الدائمة ؟

- كنت أعلم فى نفسى أن هذه هى الغاية الثالثة التى كان يقصدها المرحوم الأمام المرشد حسن البنا لأنك تعرفين أن ثورة الإخوان وصلب عقيدتهم هى ثلاثة أشياء تغيير العرف والطريق الدستورى ثم طريق آخر أى الثورة . . فإذاً حينما تأتى الثورة إذن هذا هو الطريق الآخر . . وأنا عالم يومئذ أن هناك تشكيلات من الإخوان المسلمين فى الجيش . . وهناك تشكيل آخر منهم فى البوليس . . وإن مصر من أقصاها إلى أقصاها مجندة لفكرة الإخوان المسلمين . . ومادام الأمر هكذا فلا بد أن يشترك الإخوان المسلمون فى الحكم . .

#### ● أكمل لنا الطريق إلى الوزارة !

- وذهبت مع الشيخ دراز ومعى أخى الحبيب الذى لا أنساه موسى صبرى . . وقال لى موسى : مصطفى أمين وعلى أمين عاوزينك فى الأخبار . . فذهبنا إلى الأخبار . . وهناك قال لى أخى مصطفى أمين : الرئيس محمد نجيب كلف بتأليف الوزارة وهو يطلبك لمقابلته فى قصر عابدين الساعة ٦ .

وسألت مصطفى أمين : ما رأيك يا أخ مصطفى هل أقبل ؟

قال : طبعاً . . بالتأكيد بلذك تناديك !

● كيف رأيت محمد نجيب لأول مرة .. الانطباع الأول عنه ؟  
رأيت رجلاً طيباً .. وكنت أسمع عنه من قبل منذ معركة انتخابات نادي الضباط التي وقف فيها أمام القصر متحدياً .. وهو رجل ذو سمعة طيبة بين الناس ..

● ومن تذكر أيضاً من وزراء تلك الوزارة ؟  
- أذكر حسين أبو زيد .. وكان أحد رجال الحزب الوطني القديم وقد ولى وزارة المواصلات وسليمان حافظ وزيراً للداخلية ونائباً لرئيس الوزراء . وفتحي رضوان وزير للدولة ، ونور الدين طراف وزيراً للصحة ، وقد قال لي قبلها أنه ذكر إسمي بين الضباط الأحرار .

● ماذا حدث بعد أن حلفتم اليمين ؟  
- ذهبت إلى الأخ رشاد مهنا الذي هنأني .. ولذلك لم أنزل معهم لأخذ الصورة التذكارية .. وقد حجزني معه لنزور صديق متصوف يدعوني ويوصيني وفعلاً نزلنا ولكني قلت له : أرى من الأمانة أن نمر على المرشد العام حسن الهضيبي وأخبره بالذي حدث ..

● ماذا كانت علاقتك بالإخوان بدقة في ذلك الوقت ؟  
- كنت عضواً بمكتب الإرشاد .. وأنا أصلاً كنت نائباً لحسن البنا .. وكنت أمارس النيابة والإخوان في ذلك الحين وقبل مقتل حسن البنا أرسل يستدعيني عن طريق أحد الأصدقاء .. وذهبت إليه في داره في حارة سنجر بالحلمية الجديدة .. فإذا بالرجل رحمه الله يجلس أمام طبلية عليها بعض الأرخفة وعليها طبق من الفول المدمس وملاحة وبصل .. والفول ليس فيه زبد ولا سمن ولا زيت فلم أقبل لأننا تعودنا أن نأكل الفول المدمس إما بالسمن أو بالزبد أو الزيت .. فلما رآني غير مقبل على الطعام .. اتجه إلى الرجل منفعلاً متأثراً وقال .. الإخوان المسلمون في معتقلاتهم جوع ولا أحب أن أكل طعاماً سخياً للذيذا وهم جوع .  
وشكرت له حقيقة لأنني تذكرت أن أمير المؤمنين عمر حرم على نفسه في عام الرمادة أي دهن حتى أن لون جلده قد تغير من شدة التخشن .

ثم قال لي :  
- أحب أن أخبرك خبراً وأنت عليه أمين مأمون وهذه الكلمة تخصني دائماً ..  
فقد كان يطلق على الأمين المأمون .



قلت للإمام :

- أنا تحت أمرك .

قال أنا سأختفى . .

قلت : ماذا تعنى ؟

قال : أنا حاسس أننى سوف أختفى وأننى سوف أجد نفسى بعيداً عن مقامى هذا . قلت له : لا أكاد أفهم شيئاً . .

قال : أنا رجل أرى المنام ومن الله على بأن يحدث كما أراه . . لقد رأيت رسول الله ﷺ يركب ناقة ومعه أبو بكر على الناقة . . وآتاهم من زمامها . . وإذا هذا الزمام ينقطع من يدي فجأة ويأخذه من لا أعلم . . فأولت ذلك أننى لن أتابع الوصول إلى الغاية التى أريدها بالدعوة . . ولكننى أخذت على نفسى عهداً بأن نظل فى هذه الدعوة نتوارثها واحداً عن واحد حتى نلقى الله بحيث لا تنحل الدعوة . . فإذا أنا اختفيت فانت مكانى . . إراع الإخوان واصنع ما يرغبون مما يقيم حياتهم . . ولكن على أن يبقى لك هذا الوضع إلى أن يخرج الإخوان من معتقل الطور . . فإذا خرجوا فهم أحرار عند ذلك أن يختاروا لهم مرشداً عاماً ، وهذا هو القدر الذى أريد أن أصرح لك به وأمرك أن تنفذه . . فمن هنا بدأت منصب المرشد العام للإخوان وهذا ما أردت أن الفت إليه قبل الوصول إلى مكتب الإمام الهضبيى لأعلن له أننى قبلت الوزارة . . وقد أكون أحق الإخوان بعضوية المكتب بل وبالمرشد العام للإخوان المسلمين . . من ذلك أن حسن البنا أوصانى أن أعتنى بأسر الإخوان المعتقلين . . وهذه وصية كان لابد أن أنفذها وأى واحد بغالبى عليها لابد أن أغالبه . .

واستطرد يقول : نعود لرشاد مهنا ونحن خروج من قصر عابدين بعد حلف اليمين قال لى : تعالى معى . . عندى سيارة أوصلك بها . . ولكن بشرط أن أتركك على الباب لكن لا أصعد معك عند حسن الهضبيى . .

قلت : وهو كذلك !

وصعدت إلى حسن الهضبيى ودققت الباب وفتحوا لى . وإذا بعض الإخوان قد عرفوا وكانوا قد أرسلوا وفداً للاشتراك فى الوزارة ولم أكن من هذا الوفد . . وإذا بالضباط الأحرار يختارون الشخص الذى ظنوا أنهم سينتفعون به .

\*\*\*

● طبعاً مقالاتك التي هاجمت فيها على ماهر باشا مهدت لك .. وثورتك في الأزهر قبل ذلك أيضاً !

قال مفسراً :

- لقد كان أهم ما طالبت به في مقالاتي للشوار عدم استغلال الأغنياء للفلاحين :

● هذا يعنى قانون الإصلاح الزراعى ..

- تماماً ولكن من غير النص .. المهم أننى دخلت إلى الأستاذ الهضيبى وقلت له : سيدى لقد جئت الليلة لأبلغك أننى قبلت الوزارة قال : لماذا ؟

قلت : قبلت الوزارة لأننى قرأت عن الإمام حسن البنا كلمة لا أنساها .. كان يقول الحكمة ويضرب بالمثل ..

قال : وما هى الحكمة ؟

قلت : إن الله يصلح بالسلطان ما لا يصلح بالقرآن .. فإذا اجتمعت القوة التنفيذية للآية الكريمة من كتاب الله أو الحديث من أحاديث رسول الله كان ذلك أمضى بما نريد أن نصلح به .. هذا واحد ..

الأمر الثانى .. أنه كان يضرب المثل دائماً بواحد كان فى رمضان يولع السيجارة ويفطر .. فلما جاء وزير يأمر بالصيام صام .. فالقوة لا بد منها ليس بالضرب على الأيدى ولكن للارهاب والتخويف .. هذا والإمام حسن البنا وضع فىما وضع «وطريقة أخرى معروفة» وإنما فهمت من الطريقة الأخرى أنها ثورة وبما أن الذين قاموا بها ضباط أحرار مقدورون أنا رأيتهم ولعلك أن تكون قد رأيتهم فيكون فى هذه الحال من الخيانة للوطن أن أتخلى عنهم ولا أستجيب لدعوتهم .. وقد سألت صديقاً عزيزاً على فنصحنى أن أقبل الوزارة فقبلتها ..

وأردت أن أستوضح بعد هذا الشرح الوافى نقطة هامة للتاريخ ..

● هل كان هناك صراع بينكم وبين الهضيبى ؟

قال ينفى بشدة :

- لا .. الرجل كان راضياً غاية الرضا لأننى بعد أن أسمعته هذا الحديث قال لى : اسمع يا شيخ باقورى .. أنت تعرف أنى أقدرك وأحبك وهذا واقع لا ريب فيه ..

وأردت زيادة في الإيضاح أن أسأل : وباقى أعضاء مكتب الإرشاد .. ماذا كان موقفهم ؟

قال الذى يرسم حياته باللوحات :

— كانت صورتهم هكذا .. بعضهم نائم وواضع رجل على رجل وبعضهم مبوز وبعضهم كاد يشتمنى وبعضهم يكاد ينهال على ضربا ..

● من تذكر منهم ؟

— حسن العشماوى رحمه الله ومنير الدله وغيرهما .. ثم قال حسن الهضيبي :  
يا أخ أحمد .. أكتب لنا ورقة تستقيل فيها من الإخوان المسلمين حتى لا نحمل أوزارنا ولا نحمل أوزارك .

● ولكن هذا تعسف منهم ..

قال صاحب السماح الدائم :

— لا .. هو له وجهة نظر مع الإخوان وأنا لا أتهمه بالتعسف أبدا ..

● أنت تققدس الحرية !

قال موافقا :

— نعم .. أنا أعطى له حريته .. سألته بعد ذلك : ماذا أكتب ؟ قال الإمام الهضيبي : أكتب الذى تكتبه !

قلت : لا .. أكتب ما تمليه على وأرجو ألا نكون مثل تلميذ الجاحظ . فظن أنها سخريه .. وقال : ماذا تريد بتلميذ الجاحظ ؟

قلت : الجاحظ أديب العربية الأكبر كان يقول : لى تلميذ أملى عليه فيسمع غير ما أملى ويكتب غير ما يسمع ويقرأ غير ما يكتب .. فضحك رحمه الله عليه وقال :  
أكتب أنت وأرحنا حتى لا يكون هناك جاحظ ولا تلميذ جاحظ ..  
فكتبت هكذا :

السيد/المستشار حسن الهضيبي

المرشد العام للإخوان المسلمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فإننى أرجو أن تقبل استقالتي من مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين ،

قاطعنى الهضيبي وقال قبل أن أوقع : لا مش بس كده ؟

قلت : وماذا تريد إذن ؟

قال : أضف إلى الاستقالة هذه الجملة :

« ومن جميع تشكيلات الإخوان المسلمين في الشعب والأقاليم »  
قلت : حاضر وأضفت هذه الجملة :  
« ومن جميع مؤسسات الإخوان المسلمين في مختلف الشعب وسائر المؤسسات  
التي فيها مراكز للإخوان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

المخلص  
أحمد حسن الباقوري  
عضو مكتب الإرشاد سابقا

وأغلقت معه صفحة الإخوان . . الصفحة فقط ولكن روح الدعوة تعيش مع  
الرجل الثائر منذ لقائه الأول مع الشيخ حسن البنا . . أغلقت معه فقط الصفحة  
حتى نصل حديثا انقطع عن اللقاء مع الثورة والثوار .

● هل يمكن أن نقيم لنا شخصية محمد نجيب بعد أن رأيت ؟

قال وهو يعبر عن شخصية الرجل رغم اختلاف نوع الثورة تماما :  
— الحقيقة أن الرئيس محمد نجيب كما قلت رجل طيب القلب . . والرجل  
الطيب القلب لا يستطيع أن يقود ضباط أحرارا لهم أهداف بعيدة قد لا يوافقهم  
عليها . . إنه يستند إلى عسكرية قديمة تقوم على السمع والطاعة جنديا وقائدا . . أما  
إخوانه فهم ليسوا كذلك . . فهم قوم من الناس يريدون أن يأمرؤا فيطاعوا والعيب  
في هذه المرة أنها جاءت من فوق ولم تحيىء نتيجة تربية وإعداد كما يقول المرحوم عبد  
الناصر نفسه . . ولكنهم ثوار فرضوا ثورتهم على الشعب وفرق بين أن تتبع الثورة من  
الشعب وبين أن تفرض الثورة على الشعب .

\*\*\*

وكان كلام الرجل تحليلا جديدا لمفهوم ثورة يوليو . . هذا التحليل جعل سؤال  
يفرض نفسه :

● هل أحسست أن هناك فجوة بين محمد نجيب وبينهم ؟

قال الذي عاش الثوار وهم يبحثون عن أرض صلبة يقفون عليها :  
— نعم . . كانت هناك فجوة بينه وبينهم وهذه الفجوة كانت وليدة الفارق

الكبير فى معنى الثورة .. على سبيل المثال .. قال اللواء محمد نجيب : لنترك كلمة ثورة ونستبدل بها كلمة نهضة .. وهنا ثار جمال عبد الناصر بحدة شديدة وقال : « أنا لا يمكن أن أكون عضو مجلس قيادة النهضة .. إحدنا أعضاء مجلس قيادة الثورة .. يسيادة الرئيس .. هذه ثورة ليست نهضة إذا كنت تريد نهضة شوف لك ناس تانيين غيرنا » .

وهذه كانت كلمة جمال عبد الناصر التى لا شك فى أنها كانت نابعة من قلبه .. وكانت تعبر عن طبيعته وتصرفاته أقوى تعبير .. وبرز سؤال آخر حتى نكون منصفين فى حوارنا لكل الثوار :

● هل كان معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة مختلفين مع الرئيس نجيب أم عبد الناصر فقط ؟

قال وهو يصير على الدقة فى القول :  
— عبد الناصر كان أبرزهم عنادا له وحرصا على تقويمه لأنه كان فاهما أن محمد نجيب يتبنى ولو باطلا لمؤسسة قد ينتفع بها وقد تنتفع به على حساب الثورة ..



● متى أحسست بانكسار العلاقة بين نجيب والثوار ؟  
إنظر قليلا قبل أن يسترسل قائلا :

— ليس من السهل أن تظل المودة والوثام بين مختلفين على هذه الصورة الأساسية .. صورة تعبر عن الإصلاح بنهضة .. وهى أخف صور العمل على الإصلاح .. وقل أن يجتمع أقوى الصور مع أضعف الصور .. ولذلك لم يكن بد من أن يجيء يوم يختلف فيه الرئيس محمد نجيب مع زملائه الضباط بقيادة جمال عبد الناصر .. وقد حدث هذا حينما أخرج الرئيس محمد نجيب كتيبا شهيرا بعنوان « مصير مصر » !

وهذا الكتاب يكاد يكون هجوما على الضباط الاحرار وكان مكتوبا بلغة أعتقد أنها ليست لغة اللواء محمد نجيب ..  
● من تظن إذن كاتب الكتاب ؟

قال وهو لا يريد أن يدخل فى متاهات ربما أضاعت منه الخيط :  
— والله الظن هنا سوف يؤذى بعض الناس ولذلك سوف أتركها للتاريخ ..

وهذا الكتاب عندي وأنا حريص على أن يظل في مأمن عن أيدي الآخرين والمتربصين والسارقين ..

\* \* \*

هل كانت الوزارة هي آخر طموحات الشيخ الثائر؟

هل كانت الوزارة هي الطريق السريع لتحقيق أحلامه في التغيير؟ .. لقد استطاع أن يربط بين ثورة يوليو والطريق الثالث لدعوة الإخوان المسلمين ولكن كان لابد من هذا السؤال :

● هل الوزارة في رأيك هي جزء تنفيذي لثورتك؟

قال وقوله يوثقه فلسفته :

— لابد من الإيمان الوثيق بأن القوة التنفيذية قوة السلطان في اليد إلى قوة القرآن في الوجدان هي أقوى ما يمكن أن يعتمد عليه المصلح لاصلاح المجتمع الذي يريد إصلاحه وقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاما في مكة يدعو إلى الإصلاح دعوة بينة المعالم خفاقة الأعلام .. يتبدى الخير العميم فيها للذين يأخذون بها والذين يعرضون عنها من قريش ومع ذلك لم يصل إلا إلى القليل مما أراد صلى الله عليه وسلم .. فلما هاجر من مكة إلى المدينة وأقام دولة المتقين في المدينة المنورة تغيرت الحال وبدأت الدعوة الإصلاحية تمشي بخطى وثيدة ثابتة حتى أوشكت أن تعم العالم .. فلا ريب في أنه إذا ظهرت الثورة المادية أو قوة السلطان قوة القرآن في الدعوة فتلك هي غاية الغايات في الإصلاح ..

وكانت هذه هي الغاية العليا التي كان يتحراها قائد دعوة الإخوان المسلمين وإمامها ومرشدها الشيخ حسن البنا .. ومن أجل ذلك كنت حريصا على أن أتقلد منصب الوزارة لا لأمل فيها — لأن لها بريقا يقينا — لكنني لم أقصد إطلاقا إلا أن أكون وفيًا للدعوة التي نشأت في أحضانها ..

## منصب شيخ الأزهر

ولا أعتقد أن طموحات الشيخ الثائر لم تطف يوما — قبل أن يصول ويجول في الحقل السياسي — حول مشيخة الأزهر وكان هذا قلب سؤالي :

● هل كانت الوزارة منصبا لتحقيق خططك في الإصلاح أكثر من منصب شيخ الأزهر مثلا ؟

— لا ريب أن النظر إلى الوزارة بما فيها من سلطان وإن كان سلطانا أدبيا أو إرشاديا عن طريق المساجد أو سلطانا عن طريق رفع الضيم عن الفلاحين ورفع الضيم عن مستحقى الوقف الأهل . . كانت وزارة الأوقاف بهذه الإعتبارات شيئا عظيما بلا ريب وأمكن للإنسان أن يفعل ما يريد ولكن مشيخة الأزهر من الصعوبة بمكان . . لماذا ؟

. . لمنطق التجربة . . فإن شيخا من شيوخ الأزهر لم يهدأ له بال ولم يستقر له قرار لشدة ما حيكت حوله من متاعب ودسائس ومؤامرات . . وقد تمثل لي حينما اقترح المرحوم اسماعيل القباني على من أخى عباس عمار والأخ فؤاد جلال رحمة الله عليهم أن أخذ منصب مشيخة الأزهر تمثلت شيوخ الأزهر الذين ضاق بهم الأزهريون وضاقوا هم بالأزهريين فلم ينفعوا أنفسهم ولم ينفعوا المسلمين . .  
ولذلك زهدت في مشيخة الأزهر رغم أنها عرضت على أكثر من مرة وآثرت عليها وزارة الأوقاف . .

\*\*\*

كانت العمامة وصاحبها أمرا عجيبا بين « كابات » الضباط . . كانت كما المطوقة بين الألوان الكاكي . . كان ثائرا ولكنه تحت العمامة . . وكانوا هم ثوارا من تحت السلاح . . وصاحبنا دائما يقظ يتأمل ويعطى رأيا فيما يرى . . وبعد مرور واحد وثلاثين عاما أسأله عن رأيه في هؤلاء الأحرار الذين ثاروا . .

● كيف سارت العلاقة بينك وبين أعضاء مجلس قيادة الثورة ؟ . . أنور السادات مثلا قابلته معتقلا ثم قابلته حاصدا نتيجة كفاحه . كيف رأيت ثائرا وعضوا في مجلس قيادة الثورة ؟

وتأملوا معي كلماته جيدا فهو يرسم صورة عمرها ٣١ عاما :

— أنور لم يتغير كثيرا بالنسبة لي لأنه يعلم أنني كنت أحبه لدماثة أخلاقه ولحبه الشديد للقراءة ولحرصه الشديد على المعرفة . . ولأنه رجل يحترم الواقعية . . إلى جانب ذلك كله كان العيب الوحيد فيه أنه كان يجب أن يرى نفسه فوق الذين يصادقهم دائما . . وهذه مسألة قد تضيق بها صدور بعض عارفيه فإن التواضع خيرا ما يتحلى به الرجل الكبير . . أنور كانت فيه فضائل كثيرة ولكن المعنى المتعب فيه أنه

كان دائما يجب أن تكون كلمته هي الكلمة المسموعة . .

### ● وخالد محيى الدين . . ماذا عنه ؟

— الحقيقة أن كثيرا من الناس لا يعرفون أن خالد محيى الدين له جد صوفي ولعل فيه نزعة صوفية . . لست على وجه اليقين ولكن أنا مؤمن بنظرية الوراثة . .  
إن جده لأمه كان إسمه محمد العاشق وكان له ضريح في التكية التي كانت موجودة في شارع الخليج . . وحينما أردنا أن نهدم التكايا جاء لى في وزارة الأوقاف وقال لى : جدى مدفون هنا وأرجوك بلاش تهدم التكية وتبنى عمارة !

فقلت له : اهدمها وابنى عمارة وأقيم لجذك ضريحا ومسجدا صغيرا في أسفل العمارة . . والشيخ محمد العاشق جد خالد محيى الدين لأمه هو رجل من المتصوفين الأتقياء . . خالد مهما قال الناس فيه أن له صداقات في الاتحاد السوفيتى أو فى الصين فإن فيه جانبا إنسانيا رائعا وعظيما . .

### ● وما رأيك فى عبد اللطيف بغدادى ؟

— عبد اللطيف بغدادى رجل مهذب شديد الأدب . . لولا أنى أذكر ذات يوم فى مناقشة فى مجلس الوزراء حول إلغاء الترام وإلغاء قطار الدلتا . . فقلت له : إن إستبدال الترام بالأتوبيس سيحرم الفلاحين الغلبة الذين يركبون ومعهم جبن وزبد وفرخ . . إن هذا الإلغاء لا يتفق مع غايات الثورة التى من شأنها أن ترفع بالشعب . .

فقال لى : أنا أستطيع أن أعمل قانونا أمنع به دخول الحاجات دى إلى القاهرة سواء كان بالترام أو بالأتوبيس كان يقول كلماته عن رأى ولكن فى ذات الوقت مؤدب مهذب . . أخذ عليه أيضا أنه هدم بليل كثيرا من الزوايا لكى يفسح مجالا للشوارع ينتفع بها فى القاهرة . . وقد كان لهذه الزوايا خيرات وكانت عليها أوقاف فزالت وكان من الممكن أن ينتفع بها الناس . .

### ● وما رأيك فى زكريا محيى الدين ؟

— زكريا رجل دقيق لين الملمس ولكنه بعيد النظر يجب أن يصل إلى أغوار الأمور . . ومثل هذا قد يضيق كثيرا من الذين يزاملونه فى عمل من الأعمال . .

### ● وكمال الدين حسين ماذا تقول فيه ؟

— كمال الدين حسين . . الجانب العسكرى فيه أقوى من الجانب المدنى . .



ولكنه رجل مؤمن يخشى الله وفيه تقوى وحرص على الإسلام ..  
● وحسن ابراهيم ؟

— حسن ابراهيم رجل لطيف المعشر دقيق الحاشية مهذب الكلمات !  
وأنا أؤكد للتاريخ أن كل أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا مجموعة قل أن يوجد ما يفضلها . من خيرة الرجال عبر تاريخ مصر .. وهنا يحضرني ما قالته امرأة عربية حينما سئلت : من كان أكثر أبنائك فضلا ؟ فقالت المرأة : كان أبنائي كلهم فضلاء .. يتسابقون إلى الفضائل الاجتماعية فلا يسبق أحد أحدا منهم .. مشكلتهم إن قلت أنهم أفضل . ثم قالت : هم كالحلقة المفرغة من الحديد أطرافها اتصلت ببعضها وليس لها أول من آخر ..

\* \* \* \*

● وصلاح سالم ؟

— صلاح سالم صحبته في رحلة السودان ولكنه لم يعجبني في التعامل مع الناس !

● هل كان عصبي المزاج

— .. نعم .. كان عصبيا .. وكان يحرص على أن يرى نفسه فوق المدنيين شديد الاعتزاز بالعسكريين .. ويرى أنهم أصحاب الفضل الأول في الثورة مع أن جمال عبد الناصر رحمه الله لم يكن يرى هذا .. وكان يقول إن المدنيين مكملون للعسكريين لأن المدنيين يتكلمون باسم الشعب والعسكريين يتكلمون باسم الجيش .. وقوة الجيش وحدها بغير مساندة قوة الشعب لا تعنى قليلا ولا كثيرا .  
صلاح سالم كان يحرص على أن يكون دائما معترزا بالقوة العسكرية ..

● وجمال سالم ؟

— كان جمال رحمة الله شديد التعصب لرأيه لا يبالى أن كان حقا أو باطلا . مثلا كان هناك رجل يعمل في التليفونات إسمه متولى .. وكانت له آراء شاذة الفقه فكان جمال سالم يأخذ هذه الآراء الشاذة فإذا لفت نظره إلى ذلك لم يلتفت . ولكن كانت فيه فضيلة .. كان إحساسه بالشعب عميقاً جداً ..

● والمشير عبد الحكيم عامر كيف كانت شخصيته ؟

— عبد الحكيم عامر .. إنسان نشأ في أسرة غنية جدا .. وأولاد الأغنياء عادة يحرصون على أن ينتفعوا بأمثالهم .. ولذلك كان يحرص عبد الحكيم عامر دائما على أن يوثق صلاته بمن يرى أنه قادر على الانتفاع به ..

### ● كيف ؟

— كل إنسان له جاه وله أسرة يحاول عبد الحكيم عامر أن ينتفع به ولا يفرق بين اتصاله بالثورة وعدم اتصاله بها وإيمانه بها أو عدم إيمانه بها .. لا ينظر إلا إلى نفسه فقط .. كذلك كانت له نظرية خاطئة .. فإنه يرى أنه بالجيش أقوى من جمال عبد الناصر بالشعب .. وهذا كان أقوى خطأ وهو الذي جعل الموقف ينفجر انفجارا هز الثورة ..

### ● وحسين الشافعي كيف تراه ؟

— حسين الشافعي كان رجلا طيبا .. الروح المدني فيه أبرز من الروح العسكري ..



### ● ماذا أخذت ياسيدي من الثوار وماذا أخذوا منك ؟

وقال وكأنه يحتفل بعيد من أعياد الحصاد :

— أعتقد أنني أخذت منهم أشياء لا أستطيع إحصاءها .. ولا بد أن أكون قد أخذت لأن تبادل المنافع صورة من أعز الحياة وأصدقها .. لكنني أعطيتهم نتيجة تجاربي حين كنت زعيما لثورة الأزهر وحينما كنت داعية للإخوان المسلمين .. وكنت أقدم دائما أمام المتحدثين من رجال الثورة وشعبنا شعب عاطفي يؤمن بالدين ويعشقه ويحبه ويأنس للمتحدثين به .. فكانت مهمتي أن أخطب قبل أن يخطب جمال عبد الناصر .. فتلين القلوب وتستعد النفوس لقبول الكلام .. فإذا جاء بعد ذلك عبد الناصر يخطب وجد الأرض ممهدة والطريق مسلوكا .. فاستطيع بغير أن أظلم في الحق والتاريخ أن أقول إنني أعطيت الثورة أعز وكل ما أملك من تجاربي وقدراتي وإن أخذت فقد أخذت تجاربهم واتعظت بمواقفهم الماضية فتجنبت الأخطاء التي وقعوا فيها .. وتجنبوا هم الأخطاء التي وقعت فيها .

## الحوار السابع



أزمة الوزراء المدنيين مع ضباط الثورة  
.. ولماذا قدموا الاستقالة الجماعية ؟

وتمضى ذكريات الباقورى .. عن الثورة والثوار ..

وتروى تفاصيل أحداث مثيرة .. تروى قصة ثورة الوزراء المدنيين فى أول  
وزارة برئاسة محمد نجيب .. وكيف قدموا استقالة جماعية .. وكيف غضب عبد  
الناصر لا شترأكى معهم ؟ وتمضى الذكريات إلى رحلاته العديدة مع قادة الثورة فى  
الداخل .. وكيف فوجئ عبد الناصر بهتافات الإخوان المسلمين وهم يحملون  
المصاحف .. ثم تنتقل الذكريات لتروى تفاصيل لقاءاته مع الملك عبد العزيز  
والأمير فيصل وماوتسى تونج .. وتمضى الأيام بصحبة قائد الثورة .. وتعدد  
الأحداث .. وتمتلىء المساحة بين الشيخ وعبد الناصر .. بالسحب الداكنة ..  
ويتهى بلقاء حزين .. كان من أصعب اللقاءات فى تاريخ الرجلين معاً ..

قبل أن ندخل في دائرة الفراق بينك وبين عبد الناصر لنراقب ما انقطع من صلتكما . . وقبل أن ندخل في دائرة الانفصال عن الثوار لإبد أن نأخذ منك ملامح الثوار الأخيرة التي اختزنتها وعن زعامة محمد نجيب . . ماذا عن هذا الرجل الذي حكم مصر مع بدء الثورة ؟ . . وعن علاقة الناس به ؟  
وقال الشيخ الباقوري :

— لأجّد أصدق مما قاله أحد الصحفيين الأمريكيين في وصف علاقة الناس بمحمد نجيب . . قال :  
إن جماهير الشعب المصري كانت قلوبهم متعلقة بقبعة محمد نجيب وأصبح بينها اتصال كهربائي . . كلما حركها لهم ازدادوا هتافا له . .  
وكان تعبيرا عجبيا إلى حد كبير ولكنه صادق . .  
وخطر لي سؤال طغى على عقلي عن خلاف عبد الناصر ونجيب وأزمة مارس المشهورة في عام ٥٤ .

○ هل كان يباشر محمد نجيب مهام منصبه كرئيس مثلا . . وكيف كان يتزع السلطة من بين مخالف الثوار ؟

— كان يباشر مهام منصبه مع زملائه من رجال الثورة وذلك أمر طبيعي لأن هؤلاء الثوار اشتركوا في الثورة ولا يستطيع الرئيس نجيب أن يتصرف وحده . . كانوا يحاسبونه في أحيان كثيرة على بعض تصريحاته وكان كما أبلغنا في أكثر من مناسبة يجلس على كرسى أسماه ( كرسى الاعتراف ) ويقول عن نفسه أنه أخطأ في كذا وكذا وأنهم يجب أن يحاسبوه في هذا بغاية الصراحة والصرامة والصدق . . هذا ما سمعته بنفسى من الرئيس محمد نجيب . .

● هناك وقفات هامة في حياتك وزيرا . . منها أنك حملت استقالة الوزراء المدنيين إلى محمد نجيب . . كيف ولماذا ؟  
قال الباقوري :

— قصة الاستقالة أن الوزراء المدنيين كانت تحكمهم غلظة في رموس بعض إخواننا العسكريين الذين كانوا يفرقون بين المدنيين والعسكريين وكأنهم هم أصحاب السيادة بحكم أنهم ثوار وكان المدنيون لا يرون أنفسهم أقل نصيبا في مناصرة الثورة سواء قبل قيامها أم بعد قيامها من الضباط الأحرار . . فهذه الحساسية الشديدة جعلت في كثير من الأحيان الأعصاب مشدودة . . وفي ذات يوم التقينا في

دار الدكتور نور الدين طراف وتداولنا الحديث فيما بيننا فأجمعنا على أن نقدم استقالة جماعية من الوزارة .

واقترح بعض الأخوة في هذا الاجتماع أن يكون حامل هذه الاستقالة إلى الرئيس محمد نجيب هو وزير الأوقاف ..

وأخذنا الاستقالة وذهبنا إلى الرئيس نجيب وكان ينزل في ذلك الوقت في مينا هاوس لأنه كان هناك بعض الضيوف الأجانب وكان ينزل معهم في هذا الفندق ورحنا نسابقه ونلاحقه ولكن قبل أن أسلم الاستقالة للرئيس نجيب رأيت أن أتصل بالمرحوم الرئيس جمال عبد الناصر بالتليفون واتصلت به فعلا وكان مستكرا هذا استنكارا شديدا وقال لي بلهجة العاتب :

— نحن نعتبرك واحدا منا فلماذا تشارك الآخرين في مثل هذا العمل ؟  
فالحقيقة أنني تأثرت لهذا تأثرا شديدا ومع ذلك فإنني ذهبت إلى الرئيس نجيب وسلمته الاستقالة ولكننا أمرنا من قبل الرئيس عبد الناصر بأن نعود وأن ننبه على كل الذين وقعوا على الاستقالة أن يعودوا غدا إلى مناصبهم كما كانوا لأنه لا معنى لهذه الاستقالة .. وهكذا إنتهت الأزمة وعدنا كما كنا إخوة متعاونين لما فيه خير مصر ..

\*\*\*

ولم تكن جولات الشيخ الباقورى مع الضباط الثوار تمر عادية على الأحداث بل كان لها وضع في إطار النظرة العالمية للثورة وكان المراقبون الدوليون يدرسون إستقبال الناس في الأقاليم لثوار يوليو ويقول الشيخ الباقورى :

— قطعاً كانت زيارات عبد الناصر وضباط الثورة للشعب في الأقاليم تعطى إنطبعا للذين يراقبون الأحداث من قريب أو بعيد وهذا الانطباع كان يتكون قلة وضعفا وقلة وكثرة وإقبالا وإدبارا بمقدار صورة الاستقبال الشعبى للزعيم أو لوقت الثورة سواء كانوا عسكريين أم مدنيين .

وكنا كلما وصلنا لمكان تستقبلنا الوفود مهلة مرحبة ونتوقف لنخطب ونتحدث ونناقش ونبشر بأفكار الثورة .. إلا مرة واحدة كانت غير مقبولة حيث استقبل الإخوان المسلمون ركب التحرير في إحدى المحطات وهم يرفعون المصحف وكأنهم يقولون نحن أحق بهذه الثورة منكم . وكانت هذه الصورة قد أثارت الثوار وخصوصا الذين لا يحبون مثل هذه الأساليب وأنا منهم لأنه لا ضرورة لإطلاقا في مبلغ علمى لمقاومة الحكم والوقوف في وجهه خاصة إذا جاء بالحق تأثرا على وضع

خاطيء وخصوصا أن ثورة يوليو قامت فى ظل وافر من تأييد شعبى ومن إعتراف صادق بقوة الجيش حتى أن الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله ثار ولم يستقبل وفود الإخوان المسلمين بالصورة التى كان ينبغى أن يستقبلوا بها ولكنه كان ثائرا فصنعنا كل ما نستطيع فى هذا السبيل لكى نهديء من الغضبة سواء تهدئتها فى نفس إخواننا الذين يعتزون بالثورة أو فى نفس الإخوان المسلمين الذين كانوا يحبون أن يستولوا عليها ..

\* \* \*

وكما سار الشيخ مصر كلها من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب فإنه قد وسع الخطى أيضا إلى خارج مصر .. لقد كانت رحلات الشيخ رحلات عجيبة جمع فيها بعينين وأذنين أكثر عما قرأ ألف قارئ .. لقد كانت رحلات الشيخ خلال الناس أيضا ولنبدا سؤلنا بالناس .

● رحلت خلال شخصيات كثيرة للموك ورؤساء وعلماء نريد أن تلقى لنا بعض الضوء على بعض الشخصيات التى لقيتها وتركت أثرا فى نفسك ؟ .. عاهل السعودية الراحل الملك فيصل ماذا رأيت عنه وفيه ؟

— لقيت الملك فيصل قبل أن يلى الملك .. لقيته أميرا للحج عام ١٩٥٢ وأذكر أول مقابلة جيدا فقد ذهبت مع أعضاء بعثة الشرف وأنا أحمل الخطاب التقليدى لأعطيه للملك عبد العزيز وكان من رئيس الجمهورية الرئيس محمد نجيب وكان الملك يقطن بيتا متواضعا فى الرياض وكان قد مرض مرضا لا يتمكن معه من القيام على قدميه وقبل أن ندخل رأيت شابا يقف بالقرب من الباب .. كان شابا خجولا سمحا وأعجبت ببساطته وحينما اقتربنا منه تقدم إلينا وقال :

— تسمح دقيقة ؟

— تفضل ..

فقال بصوت خفيف يوجه الكلام إلى :  
والدى مريض ولا يقوم لأحد لأنه لا يستطيع القيام فإذا دخلت عليه وصافحته وأعطيته الخطاب ولم يقم لك فلا يكن فى صدرك حرج ..  
أمام هذه الكلمة النبيلة من أمير جليل يروعك منظره ويعجبك أدبه يؤثر فىك صوته المنفعل للإشفاق على والده حتى لا تتأثر بأى موقف آخر .



ودخلت الدار وإذا بالرجل يجلس على كرسى ومن حوله يجلس العلماء ورجل في يده كتاب ويقرأ بالطريقة السعودية ما في هذا الكتاب . « قال رسول الله . . . وهكذا حتى قضى الوقت المضروب له . فقال وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . . وذلك يكون إعلانا بانتهاء الزيارة وحينها دخلت بهذه العاطفة التي لقيني بها الأمير فيصل انحنيت وسلمت على الرجل وقبلت يده ثم أعطيته الخطاب فسلمه للرجل الواقف خلفه .

وعند الباب إذا عينا الأمير فيصل قد امتلأنا بالدموع ثم تقدم إلى يقول : شكرا لك يا أخ باقورى على هذا التصرف الكريم وقد أثر فيه الموقف أعظم تأثير وكان الرجل بلا ريب رجلا شريف النفس كريم الأخلاق . .  
● والملك عبد العزيز كيف رحلت إلى شخصيته ؟

— الملك عبد العزيز كان رجلا بدويا لم يتأثر بالحضارة يحسن لقاء الناس ويحسن الانصات إلى ما قال الله وقال الرسول ويجمع حوله أهل العلم . . وهذه كلها معان تدل بلا ريب على عظمة هذا الرجل الذى أسس المملكة العربية السعودية صانها الله وحفظها .

\* \* \*

● هل هناك مواقف حضرتها تدل على عقلية سياسية للملك فيصل وهذا ما عرف عنه بالفعل ؟

— طبعا هناك مواقف كثيرة للفيصل سواء في السعودية أم خارجها ولكن الموقف الذى لا أنساه هو ثانى مرة أقابله فيها وكنا فى الطريق إلى باندونج عام ١٩٥٥ وكان هو رئيسا لوفد بلاده إلى المؤتمر وكان قد جاءنى وزير الشؤون الدينية فى باندونج وقال لى أقدم لك دعوة من الوزارة لتخطب الجمعة فى المسجد الكبير بمدينة باندونج وأرجوك ألا تعتذر فإنك أزهري وعنوان على الأزهر والناس هنا يستمعون إلى خطبتك كل أسبوع عن طريق الاذاعة .

ولم يكن بد لثلى من أن يستجيب لهذه الدعوة الكريمة فقبلت . . . والذى دعانى إلى القبول أيضا أن صاحب هذه الفكرة قال لى إن رجلا عسكريا جاء إلى هنا وخطب الجمعة بملابسه العسكرية وهو الضابط محمد أنور السادات فإذا خطب ضابط بالبدلة العسكرية وأنت تعتذر عن الخطبة فهذا يكون عيبا علينا جميعا نحن المسلمين فى هذا البلد وأنت إذا خطبت فسوف ترى أن مدينة باندونج وما حولها سوف يضيق بها

المسجد وما حول المسجد . .

وكان أعضاء البعثات يدعون كل يوم في حفل سفارة من السفارات المختلفة في باندونج وقد دعاني سفير المملكة العربية السعودية إلى حفل استقبال رئيس الوفد السعودي في باندونج وكان هو الأمير فيصل .

وهناك قابلني على طريقته البسيطة المرحبة ووجدته قد انتحى بى جانباً وقال :

— يا أخ باقورى . . تسمح أقول لك كلمة ؟

نعم . .

قال :

— بلغنى أنك ستخطب الجمعة في المسجد الكبير في باندونج وبى إليك حاجة في

هذا الموقف بالذات . .

قلت : ما هى ؟

قال :

— أنت تعرف أن بين الوفود الحاج أمين الحسينى رئيس وفد فلسطين وأهل هذه البلاد يقدسون فلسطين ويقدسون كل من يقوم مقاماً دينياً في فلسطين فإذا كنت تقبل نصيحتى بعد أن تستأذن رئيسك فالأمر إليك . . نخطب فى الناس . . وأنا سمعت خطبك وكلها طيب وسمعتك تقول أن الإسلام دين الحرية والعدالة والسلام . . فإذا قلت هذه الكلمات فى مدى ربع ساعة ونزلت عن المنبر لتؤم المسلمين فى الصلاة وأنت فى المحراب أدع بصوت مرتفع الحاج أمين الحسينى يؤم المصلين تكريماً لفلسطين فى شخص الحاج أمين الحسينى وبهذا تؤدى حقاً لا بد من أدائه وترضى هذا الشعب المسلم الذى لا يرضيه شئ أحسن من هذا .

\* \* \*

• ونحن فى الطريق داخل المسجد إذا بى المح مدفعين على المنبر ! . . لقد خشيت هذه الصورة فعلاً . . مدفعان منصوبان وبينهما أنا خطيماً ؟ ماذا يعنى ذلك هل فى قدرة المدفعين المنصوبين أن يحمياني من فدائى يتسلل إلى جوار المنبر وعن طريق المدفع أيضاً . . الحقيقة أننى خشيت على نفسى لكن قلت الذى يعزىنى فى هذا الموقف أننى إن قتلت فسوف أقتل وأنا فى الطريق إلى الله وإلى أداء خطبة الجمعة والصلاة . .

ورغم اهتزازى داخليا من وجود المدفعين إلا أن هذا لم يمنعنى من تنفيذ الخطة كاملة استعنت بالله فأعاننى وقمت فقلت أن الإسلام الذى جاء به محمد رسول الله يقوم على أصول ثلاثة لا يكون مسلما من يجحدها ويتنكر لها أو يخرج على نطاقها وهى الحرية والعدالة والسلام فإذا أحببتم أن تكونوا مسلمين بحق فهذه هى الطريقة ولا يوجد مجتمع فى الدنيا يمكن أن يقوم مع الإسلام فى هذا المجال . . حرية تقوم على لا إله إلا الله وعدالة يتكافل فيها المسلمون بحيث إذا مات مسلم فى القرية من الجوع فكل من فى هذه القرية آثم عاص الله ورسوله . . وسلام الإسلام مأخوذ من الإسلام . وبعد أن أتممت حديثى قلت فى الميكروفون : تكريما لشعب مجاهد ذاق من ويلات الحياة ما ذاق ولى فيه أخوة أعزاء هو شعب فلسطين . . تكريما لهذا الشعب فى شخص رئيس وفده الحاج أمين الحسينى أستاذكم فى أن أدعوه إلى أن يؤمنا فى الصلاة الحاج أمين الحسينى .

فقام الناس وهللا : الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . . وتقدم الحاج أمين الحسينى وصلى . . وبعد أن فرغنا من الصلاة جاء الأمير فيصل - فلم يكن قد تولى العرش بعد - جاء إلى وقال لى : إننى دائما لا أرى بدا من شكرك لأنك تستجيب دائما لكل نصيحة توجه إليك فقلت . . أنا استجيب دائما لكل تصرف يضيف قيمة لمعنى الحياة .

\*\*\*

ولكن هناك رحلة هى على ما أعلم درة رحلاته والزهرة التى يعلقها فى ذاكرته دائما . . تلك كانت رحلته إلى الصين . . وكانت الصين كما الحلم لنا . . حلم سياسى وحلم تاريخى . . كانت رحلة الشيخ هى أول إطلالة لنا على الصين وأول مرحلة فى العلاقات الرسمية أيضا . . ما قصة الرحلة . . كيف ذهب ولماذا دعى هو بالذات ؟

● الصين يامولانا هى روح أسيا وعقلها . . الصين هى الأنامل التى تطرز وبنفس النمنمات يفكر العقل . . الصين هى أعظم تجربة لإثبات أن تحديد النسل ليس سبيلا إلى التقدم بل هى الكثرة لو أحسن أستغلالها لأصبحت خيرا كثيرا . . الصين الديانات . . التراث . . الفكر والفلسفة الصينية . . صن يات صن . . ماوتسى تونج . . شواين لاي . . الصين التى جعلت من السور الذى أغلق عليها طولا لمسيرتها العظيمة . . كيف رأيت ياسيدى تلك العيون الصغيرة المبتسمة دوما ؟

— لكي نتحدث عن رحلتى إلى الصين يجب أن نبدأ من برنامج باندونج . .  
أول مؤتمر لعدم الانحياز لدول آسيا وأفريقيا والذين كانوا يطلقون عليه المؤتمر  
« الأفرو آسيوى » . . ففى آخر جلسة من جلساته فى مدينة باندونج خطب الرئيس  
شواين لاي رئيس حكومة الصين وقال فى نهاية خطبته أنه يدعو الوفود المشتركة فى  
المؤتمر إلى زيارة الصين على حساب الحكومة ليروا أن الصين مع أنها حكومة علمانية  
لا صلة لها بالدين فإنها مع ذلك تحترم عقائد الدينيين وتعطيهم حرية الاعتقاد ، كنا  
فى ذلك الوقت بعضنا ينزل فى فنادق فى مدينة باندونج أما عبد الناصر فكانوا ينزلونه  
فى قصر صغير فى ضواحي باندونج فكنا ننتهز الفرصة دائما مساء لكى نذهب لزيارته  
فى داره التى كان ينزل فيها وكانت الوفود من آسيا وأفريقيا تأتى لزيارة جمال عبد  
الناصر وكثيرا ما كان يدعو إلى العشاء كثيرا من هذه الوفود على مائدته التى كان أشهر  
ما عليها الجبن المصرى الدمياطى الذى كان يعجب به كل زعماء آسيا وأفريقيا برغم  
إمتلاء السوق هناك بكل منتجات الألبان من هولندا التى كان لها سلطان على جمهورية  
أندونيسيا . .

وفى نهاية الرحلة كنا فى جلسة عند عبد الناصر وننتظر بعض الوفود التى كانت  
تزوره . . وجاءت بعض الوفود وأخبرونا بما قاله شواين لاي فى خطبته عن دعوة من  
يشاء من الوفود المشتركة فى المؤتمر . . وقال عبد الناصر :

— رأى أن تذهب لزيارة المسلمين فى الصين ، وكان بجانبى المرحوم صلاح  
سالم فقال :

— فعلا . . وأنا أذهب معه . .

فقال عبد الناصر :

أنا أقول للشيخ أحمد أنه يذهب لزيارة المسلمين فى الصين وهو حين يذهب  
لزيارة المسلمين فى الصين يذهب لزيارتهم بوصفه رجلا من رجال الاسلام ورجلا من  
رجال الأزهر الشريف وأنا قررت ذلك فى كل خطبة وفى كل رحلة رحلتها وأنت يا أخ  
صلاح ما تسافرش !

وسافرت إلى الصين . .

وقبل أن يستغرق الرجل فى وصف الرحلة العظيمة الأثر العميقة التأثير سألته  
ما يريد أن يسأله القارىء أيضا :

● كيف رأيت الزعيم ماوتسى تونج ؟

— إن شخصية هذا الرجل وفلسفته وذكائه ظهرت في حفل إستقبال للقاءه  
ولست أنسى أبدا الحكمة التي بدت من تصرف الزعيم ماوتسى تونج في تلك  
الليلة . . لقد وقفنا صفّا واحدا نحن رؤساء بعثات الدول ننتظر قدوم الزعيم  
« ماو » وكنت في مكانى بعيدا عن الباب وتقريبا في نهاية الصف ودخل الزعيم ومن  
ورائه وزراءه ومعاونوه ولم يشأ أن يقف لكى يصافح الناس الذين يتقدمون إليه ولكنه  
ترك كل هؤلاء الناس وجاء إلى أنا وصافحنى يدا بيد وقال لى زملاؤه . .

لقد صنع هذا لأنه علم أنك رجل من الأزهر الشريف فلما رأى العمامة واضحة  
بين الرؤوس العارية قصد إليك يحييك تحية خاصة . والرجل والحق يقال رجل  
زعيم يستحق كلمة زعيم وقد أهدانى كتابه الذى أسماه « أكبر مسيرة في التاريخ »  
ذلك لأنه مشى مع زملائه الثوار على قدميه كارا وفارا مسافة إثني عشر ألف ميل وهذا  
شئ عجيب يضاف لعجائب الصين .

### ● وأعجب ما رأيته في الصين بشكل خاص ؟

— كان مما يثير الإعجاب فى أنفسنا ونحن نصاحب الذين يرافقوننا في زيارة  
الأثار . . كنا نرى ما يخص الإمبراطور والإمبراطورة موضوعا في مكانه وكأنه لم  
تحدث ثورة مع أن ثورتهم على الأباطرة عمرها طويل . . ومع ذلك ظلت آثار  
الإمبراطورة موجودة كما هى حتى أنه يقال إن الحذاء الذى كانت تلبسه موضوعا في  
مكانه لم يمس وهذا أعجب من العجب . .

### ● وشئ عجيب آخر لا تنساه ؟

— من الأعاجيب التى رأيناها شجرة فروعها وغصونها والطير الذى على غصونها  
كله مصنوع من حجر الجاد الأخضر الجميل . . هذه الشجرة سألت عنها فقالوا إنهم  
استقدموا أمهر الاخصائيين في العالم ليقوموها فأخبروا جميعا على وجه اليقين أن هذه  
شجرة لا يمكن أن تصل لتقويم لأنها فوق كل مال : هذا أيضا شئ عجيب .

### ● الانسان أعظم مخلوقات الله . . الانسان يزرع . . الانسان يحصد . .

الانسان لسان ناطق بالحكمة . . قل لى يا شيخنا ما هو إنسان الصين ؟ . .

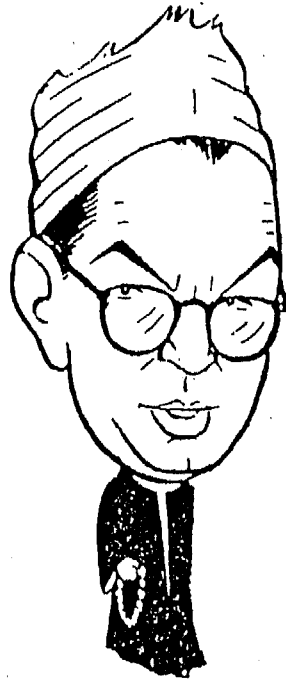
— يثير الإعجاب فى تلك البلاد أن الانسان من أكبر كبير لأصغر صغير يرتدى  
بدلة واحدة هى البدلة التى يطلقون عليها بدلة « صن يات صن » والتى رأوا تخليدا  
لذكراه أن يأخذوا بدلته وأن يجعلوها بدلة شعبية عامة ذات لونين أزرق للطبقة

العاملة ولون أقرب إلى البياض هو للزعامات أول من هم أقرب للزعامات . .  
والشعب الصينى شعب عظيم بالإنسان الصينى ذاته وهو ملتزم صادق كل الصدق  
راق فى تدقيقاته مولع بالموسيقى والشاى . . الناس هناك لا يكفون عن شرب  
الشاى ، كوب ذاهب وكوب قادم والموسيقى فى القطار وفى كل مكان . . وشىء  
آخر يستلفت الاعجاب وهو أنهم جميعا فى المقاهى والمحطات وفى كل مجالات الخدمة  
التي يقدم فيها تحية للضيوف يلبسون « الكمامة » حتى لا يتنفسوا تنفسا يبلغ منطقة  
الكوب الذى يحمل سائلا أو الحلوى أو الطعام وهذا فى الحقيقة أدب شديد وتصرف  
كريم يقى الناس شر العدوى . .

#### ● والمسلمون فى الصين ؟

— حسن إسلامهم وتعلموا لغة القرآن بفروض الله وقد تعلم بعضهم فى  
باكستان وبعضهم فى الهند وبعضهم فى الأزهر الشريف . . ومن اللطائف التى  
لا أنساها أن مرافقى ومترجمى فى الرحلة كان أحد تلاميذى فى مصر الذين تعلموا فى  
الأزهر أيضا وقد إحتفى بى المسلمون هناك إحتفاء كبيرا سر النفس وجعلنى أشعر  
بعظمة ذلك الدين الذى وصل إلى آخر الدنيا وسوف يعود ثانيا يسطع بنوره من  
جديد . . وحينما زرت مع علماء المسلمين سور الصين العظيم وجدتهم يزعمون أن  
هذا السد هو سد ذى القرنين وكنت قد قرأت فى الهند قبل أن أبلغ الصين بحثا لمولانا  
أبو الكلام أزيد حول سد ذى القرنين وأن هناك فرقا هائلا بين السد الذى أقامه ذو  
القرنين وبين سد الصين العظيم .

## الحوار الثامن



عندما استقال المدنيون



ارتفعت حرارة الحديث مع الشيخ الباقورى عن ذكرياته حينما حملتنا رياح يوليو وأعادتنا إلى أيامها الأولى . . وامتلأت أحرف الشيخ شبابا وثورة . . لم يعد ذلك الثائر الحالم بالثورة منذ أن كان صغيرا أخضر العود غض الصبا تطأ قدماه الحقول ويحلم أحلاما خضرا بالتغيير . . لم يعد ابن باقور الذى يحلم بأسىوط . . ولا بالشباب الشاعر الذى ملأ معهد أسىوط الدينى بأشعاره فى الدين والثورة . . الذى يحلم بالقاهرة . . ولا بابن الأزهر الذى ثار ثورته فى عام الأزهر رغبة جامحة فى الإصلاح . . وصلنا إلى يوليو وعطرت حوارنا إنجازاته . . وصلنا إلى يوليو وحامت حولنا أرواح من رحلوا من رجاله العظام . . وصلنا إلى يوليو وأزاح شيخنا العمامة وكأنا يستوحىها الذكريات الأولى . . والتحم الشيخ مع الثوار حاملا كل ما أخذ من معلمه وأستاذه وشيخه حسن البنا من تعاليم هى روح الاسلام وبنائه . . تكلم الشيخ فى إيجاز عن أبطال يوليو الذين قال عنهم إنهم كانوا مجموعة من فضائل الرجال قل أن تجتمع فى مكان واحد . .

ونغمضى مع الشيخ الباقورى فى حواراته الحاره .

ذلك الشهاب الذى لمع فى حياتنا مهبا أحرق فقد أضاء ومهبنا عشنا فنحن نكتشف مع عبد الناصر أنه لم يحقق معظم أحلامه فقد كان يصطدم الثائر « بالأنار » تقف أمامه سواء من محترفى السياسة أو متملقى الزعماء . . والاقتراب من الشهب دائما خطر . . الضوء الساطع يعمى العين والنار ربما تحرق . . ولكن شيخنا الثائر استطاع أن يقترب من الزعيم . . واستطاع فى فترة قصيرة جدا أن يكون من المقربين إليه والذين يستريح إليهم . . نادرا ما كان عبد الناصر - ذلك الذى حطمه موت أمه - نادرا ما كان يأنس إلى أحد فى شكواه الخاصة ولكنه أنس إلى الشيخ النازح من أعماق الصعيد مثله . . الشيخ من « باقور » وعبد الناصر من « بنى مر » وكلاهما ابتلعتهم مصر وتمنى لها أمنيات عظيمة عامة . . والتقى الاثنان على باب الأمل . . كان عبد الناصر يحب الشيخ أحمد حبا جما ويحكى له كلما سنحت الفرص كيف واجه اليتيم وحده . . وكيف أخفى عنه أبوه وفاة أمه . . ولكن كيف اقترب الشيخ من الشهاب المنير كثيرا المحرق قليلا . .

#### ● كيف رأيت عبد الناصر لأول مرة . . ؟

تمثل الشيخ ما حدث تماما واستعاد ما حدث وبدأ يحكى وكأنه يخاطب نفسه :

— رأيت جمال عبد الناصر فى مجلس قيادة الثورة وكان فى هذه الليلة معنا أيضا وجيه اباطة . . كان مستمعا . . ينظر بعينيه الشديدي الذكاء لكل متكلم وكان يرد بكلمات قليلة واضحة معبرة . . وكان النقاش يدور حول وصول الثورة إلى الناس . . كان عبد الناصر شديد الاهتمام بالشعب . . كان عجولا بالنسبة لتجاوب الناس مع الثورة . . وفجأة قال عبد الناصر : عاوزين نعمل قسم للثورة . . ثم نظرتلى وقال : الشيخ الباقورى هو الذى يستطيع أن يكتب لنا . . ما رأيك ياشيخ أحمد . . وأحسست بذكاء الرجل . . إنه يريد أن يجمع الناس حول كلمة وقسم وهو بهذا يعرف قيمة هذا الشعب وحبه لما يجمعه ، وكتبت القسم . . وكان هكذا :

« اللهم إنك تحب الأقوياء وتكره المستضعفين وتنشر رحمتك على الذين يلجأون إليك ويستعينون بك »

وكان هذا فى نهاية عام ٥٢ وفى مطلع ١٩٥٣ قام محمد نجيب بتلاوة القسم

ورده وراءه الآلاف في ميدان عابدين .

أحسست من هذا المطلب أن عبد الناصر يريد أن يثبت علاقة الجيش بالشعب في قسم يجمع الجميع . . أحسست أن هذا الاقتراح ليس وليدة فكرة سريعة ولكنه نتيجة لاحتساس بأهمية توثيق علاقة الشعب بالجيش . .

واستوقفت الرجل لا لتغيير مجرى الحوار ولكن لفتح قنوات أكثر على شخصية الرئيس عبد الناصر ذلك القائد الذي لا بد أن يعرف عنه شباب اليوم ما فاتهم معرفته . .

● ماذا لفت نظرك في شخصية عبد الناصر . . ما هو المفتاح المادى لزعامته ؟

— أول ما لقيت جمال عبد الناصر وجذبت رجلا تتوافر فيه صفات الزعيم . .  
وحيثما نقرأ في سورة البقرة « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم » . . قامه الرجل المديدة وعينه العميقتان وحرصه على أن يعرف . . كانت هذه هى خصائصه التى يؤثر بها فى الجماهير . .

طويل القامة مؤمن بما يقول عميق النظرات يحب شعبه . . إذا رضى عنك أرضاك وإذا غضب عليك أغضبك . .

● وماذا رأيت منه أيضا ؟

— سمعته متحدثا فى نادى الضباط بالزمالك بعد الثورة بفترة غير قصيرة وكنا آنئذ نشترك فى إقامة حفل لتكريم على ماهر باشا بعد أن خرج من الحكم وحل محله الرئيس محمد نجيب . .

وجدته حريصا على الوفاء لكل الذين عرفهم مجاهدين فى سبيل هذا البلد ثم قال فى بعض مجالسه إن كل ثورة يجب أن تقوم عن تدبير وتخطيط ولكن ثورتنا جاءت على عكس هذا جاءت نتيجة ثوار ثاروا ثم وصلت ثورتهم إلى الشعب وكانت هذه أولى الحقائق التى يعترف بها جمال عبد الناصر والاعتراف بالحق بلا ريب فضيلة وقد كان من الممكن أن يتجاوز هذا .

● بعد أن دخلت شاهدا على التاريخ فى حكومة الثورة . . من هى الشخصية التى أحسست أنها تنازع عبد الناصر الزعامة ؟

— لا أستطيع أن أقول إنه كان هناك من ينازع عبد الناصر الزعامة لأن شخصية الزعيم الإنسان هى جزء من تأثيره على الشعب . . إن الإنشقاق الذى

حدث بينه وبين محمد نجيب لم يستغرق وقتاً لإثبات زعامة عبد الناصر واضطروا أن ينحوا نجيب عن الجيش وأن يعين مكانه عبد الحكيم عامر في تنفيذ هذا القرار غير أن الأخير أضرب بثورة يوليو لأنه أراد أن يتقرب إلى الجيش ليعتز به فأعطى الضباط ما يحبون ولكن عبد الناصر كان صاحب الزعامة الحق فاعطى الشعب ما جاءت من أجله الثورة بتحديد الملكية الزراعية ، ثم التأميمات بعد ذلك .

واستنتجت فقلت :

● أى أن عبد الناصر كان زعيماً بلا منازع !

— أى نعم . . كان زعيماً بلا منازع وكان هناك قلة من المنازعين الذين كانوا يلجأون لبعض الحاقدين في الداخل أو لبعض المتربصين في الخارج . . وهذه طبعا منازعة غير مشروعة . . لقد اتضح لى من أول الأمر أنه قائد ثورة يوليو وتأكد لى بعد ذلك بعد أن شاهدت بنفسى عناية أجهزة الإعلام العالمية بتقديم عبد الناصر . . كانت متكاملة على أخذ صوره فى جميع مناسبات الثورة . . أذكر مرة أنه جاءت وفود إعلامية من عدد كبير من دول العالم وأقيم مؤتمر صحفى كبير للثوار فى فندق سميراميس وذهبنا إلى هناك وإذا كل عدسات المصورين مركزة على جمال عبد الناصر وذلك يعنى أن هذا هو الرجل القادر أن يسوس ثورة يوليو .

\*\*\*

حينما قامت ثورة يوليو لم تكن وسائل الإعلام فى مصر على درجة من القدرة الكافية على التوصيل - توصيل الثوار بالطبع - لا عن قصور فى الأجهزة ولكن لأن الكهرباء لم تكن قد وصلت إلى النجوع والقرى بل وبعض المراكز أيضا وكذلك لم يكن الترانزستور قد وصل بعد . . وكان على الثوار أن يصلوا بأنفسهم إلى الناس وكان لشيخنا خبرة فى الوصول إلى الناس حيث كانت رحلات الإخوان وشيوخهم حسن البناء قد جعلت أقدامهم توسع الخطى بطول مصر وعرضها .

● من صاحب اقتراح فكرة « ركب التحرير » الذى طاف مصر ؟ أنت وأعضاء مجلس قيادة ثورة يوليو . . لماذا بدأت المسيرة ؟

— كان لهذه الرحلات أساس هام جدا . . هو أن الشعب يجب أن يثق بأن هذه الثورة ليس كما يصورها بعض خصومها فيقررون فى خطبهم العامة ومحاسنهم الخاصة وسرايرهم وعلايتهم أن جمال عبد الناصر فى مصر هو كمال اتاتورك فى تركيا أى أنه فاعل بالإسلام فى مصر ما فعل اتاتورك بالإسلام فى تركيا . . كان هذا يجب

أن يغيب عن أذهان الناس ..

● وكيف استثمرت الثورة مولانا الشيخ الباقورى ؟

— الشيخ الباقورى ياسيدتى لم يترك قرية فى مصر من الاسكندرية إلى أسوان لم يزرها متحدثا إلى الناس عن الإسلام الذى ينتظم بالإصلاح الإقتصادى والاجتماعى والعقائدى .

● ماذا عن حواراتك مع الثوار فى هذه الرحلات ؟

— بنفس هذه الكلمات وأن الثورة لم يكن لها بد أن تعتنق الإسلام وتعلنه إلى الناس حتى يثقوا بها ولا يأخذوا بما شاع عنهم بالخطأ من أنهم لا يهتمون بأمر دينهم . ولذلك حينما أخرج معهم فى ركب التحرير كنت أطرق معهم نفس الأحاديث التى كنا نطرقها ونتحدث بها مع الإمام المرحوم حسن البنا والإمام حسن الهضيبى .

\*\*\*

ودائما وليس عيبا أن يستعين الزعماء بمن يضع لهم أفكارهم فى قوالب مكتوبة أو جهل تقرب هذه الأفكار أو تفتح العقول لفكرهم وكان من الأشياء التى عرفت فى سنوات الثورة الأولى أن الشيخ حسن الباقورى كان يكتب لعبد الناصر خطبة وليس أمامنا مصدر صدق أكثر من مولانا نفسه وكان لنا سؤال له وعنه :

● هل كنت تكتب وتتدخل فى تشكيل فكر أو خطب عبد الناصر ؟

قال بلا تردد وكأنه ينفى تهمة :

— إطلاقا .. لا أبدا .. إلا تهينة بعيد الفطر ونحن فى اندونيسيا أو خطبة جمعة أقولها فى مجلسه فيستعيدها وتعجبه الفكرة فيأخذها لا ليقولها ولكن ليقراها لنفسه .. وأذكر فى بعض الأحيان وهذا من اللطائف أننى كنت ذات يوم أخطب فى رحلة من رحلات توزيع أراضى الإصلاح الزراعى فتحدثت حديثى وبعد أن فرغت أنحنى جمال عبد الناصر وقال لى هامسا :

— كل ما أجمعت أن أقوله فى ذهنى أخذته منى .. الفكرة الوحيدة التى كنت سأتكلم عنها إنت لطشتها منى فى آخر لحظة ..

قلت : على العموم ربنا يزررك واعتمد على الله وقم وتكلم . وتكلم عبد الناصر وكان حينها يواجه الناس يجد ما يقوله ببساطة شديدة ويجد الناس فى إصغاء لما يقول أيضا .

كان الرجل يلقي الشعب والشعب يتكاثر عليه تكاثراً في غير رحمة وكان الذين يزاملونه في هذه الرحلات يقاسون من الضغط أعنى المتاعب وكان من أدب الرجل أن يأذن أو يأمر أو يطلب من الذين يزاملونه في السيارة أن يحبوا كما يحبى هو الشعب وكان يطلب منهم في حدة ألا يتركوه يحبى الناس وحده بل يطلب منهم أن يحبوا معه الجماهير التي تستقبله ..

● كيف كان يقدمك عبد الناصر إلى كبار ضيوف مصر ورؤساء الدول ؟  
— كان يقدرنى أعلى قدر وأذكر على سبيل المثال ذلك الأسلوب الذى ذكرنى به فى الحفل العالمى الذى أقامه له غلام محمد رئيس جمهورية باكستان عام ١٩٥٥ ونحن فى الطريق إلى باندونج فقد قال الرجل لعبد الناصر : إننا سعدنا بك ياسيادة الرئيس لخطواتك العاقلة التى تدل على زعامة أصيلة فى المعاهدة التى عقدتموها مع بريطانيا ثم سعدنا بك ياسيادة الرئيس فى أنك معتر بالاسلام لا تفرط فيه .

فرد عبد الناصر على غلام محمد قائلاً :  
— إن الذى نفتخر به أن من بين الوفد صديقنا الشيخ الباقورى وهو عالم من علماء الأزهر وهو وزير للأوقاف فى عهد الثورة .

## محاولة اغتيال عبد الناصر

فى عام ١٩٥٤ اهتزت الثورة .. اهتزت لمحاولة الرئيس نجيب أن يلوى عنق الثوار واهتزت لمحاولة اغتيال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالاسكندرية وكان الشيخ الباقورى موجوداً يوم الاعتداء على عبد الناصر وكان فى نفس المكان ووجدت السؤال يقفز من بين حنايا الحوار :

● هناك من قالوا إن محاولة اغتيال عبد الناصر فى ميدان المنشية كانت تمثيلية والخصوم هنا لا تعيهم الحيل فى بث شرورهم .. ما رأى مولانا ؟  
ولم يتردد الشيخ لحظة وقال :

— كنت أجلس فى الشرفة بجوار الأخ الفاضل ميرغنى وزير الزراعة السودانى وإذا يداه مخضبتان بالدم وإذا بالرئيس جمال عبد الناصر منفعلاً انفعالاً شديداً والذى يصغى إلى انفعالاته لا يمكن أن يقول أن هذه تمثيلية أبداً .. إطلاقاً لا يمكن أن يسلم أى إنسان أنها تمثيلية .. لقد أساء بعضهم الفهم وانزلقوا خلف المغرضين حتى أنهم قالوا إن الشيخ الباقورى خطب خطبة لا يقولها إلا إنسان يريد أن يقول ما قال وقد

وقد حضر الخطبة وحفظها . . هؤلاء الناس لا يعرفون أن الخطبة التي قلتها في فندق سيسيل بعد ذلك من محفوظاتي وأنا في القسم الثانوي في الأزهر عام ١٩٢٧ قلت فيها يومئذ؟ :

تمنان ليلقاني أبى                      ووددت وأينما منى ودادى  
أريد حياته ويريد قتلى              عذيرك من خليلك من مرادى

● نفهم من هذا أنك تعتبر أن محاولة اغتيال عبد الناصر كانت من منعطفات الثورة الهامة ؟

— بلا شك لقد كادت تعصف بالثورة . . إن إطلاق الرصاص على عبد الناصر في المنشية لم يكن خيراً أبداً . .

● وكيف رأيت خلافات الثوار في مسيرتهم ؟

— هذه الخلافات لم تعد دائرة الرأي فلم ألاحظ أن أحدا منهم خرج عن طور الأدب أو الهدوء ، قد يخرج عن طور الهدوء أحيانا أحدهم فيصرخ صرخات فيها قوة كما صنع ذات يوم المرحوم جمال سالم وكاد يلجأ إلى المسدس !

● لمن ؟

— لكى يضرب الرئيس محمد نجيب !

● متى ؟

— حدث ذلك في أزمة مارس عام ١٩٥٤ . . وخشيت في الواقع من حدوث مكروه ومعرفتى لجمال سالم تجعلنى لا أستكثر عليه شيئا فقلت له يأخ جمال تسمح . كان رسول الله ﷺ إذا وصى غاضبا قال له توضحاً ونحن هنا في هذا المكان بيننا وبين دورة المياه خطوات تعال معنا وإلا اضطرت أن أسحبك سحباً فتبسم وقام معى يتوضأ . . وبهذا تخطينا منطقة الخطر حتى لا تنجل المعركة عن شهيد بمسدس جمال سالم .

● بالنسبة لخلافات الثوار قلت أنها كانت بسيطة . . ولكن كيف وصلت بهم

الحالة إلى الانفصال عن القائد ؟

— العاصفة تبدأ أول ما تبدأ نسياً عالياً قد يتمتع الانسان به كلما تمادى النهار واحمرت الشمس بدأت تأخذ طريقها إلى الحرارة حتى تنقلب عاصفة أما لماذا فهذا مالا أعلمه وسره عند الله .

● قبل أن نترك الحديث الساخن المغلف بطقس يوليو قُل لي يامولانا . . ما هي في رأيك أهم أنجازات يوليو المعنوية وليس المادية ؟ .

— في رأيي أن تأميم قناة السويس هو هذا الذي تسألين عنه وذلك لأنها كانت آية ذل في عنق كل مصري وما كان يمكن التخلص من هذه المذلة إلا بتأميم قناة السويس فهذا عمل إن لم يكن أجل أعمال الثورة فهو من أجلها .

\* \* \*

وحينما تولى الشيخ وزارة الأوقاف كانت في ذهنه أشياء منذ أن كان صبيا يمشى حافيا على حقول باقور . . ثم لحقتها أمانى أخرى وهو في معهد أسيوط الديني وتكاثرت الأمانى التي يمكن تحقيقها عن طريق هذا المنصب بعد ثورة الأزهر .

● ماذا غيرت في وزارة الأوقاف لتكون قطارا لركب الأمانى ؟

— أول شيء غيرته حل الوقف الأهلي وكان لابد أن يحل لأن ضرره أكثر من نفعه ولكني لم أستطع أن أصنع به كل ما أحببت لأن بعض الوزراء كانت لهم رغبات خاصة كانت تصطدم بما أريد أن أعدل به القانون فلم أستطع أن أمضى إلى الغاية التي أريدها . . هذه واحدة . . ثانيا كان هناك وقف في وزارة الأوقاف أوقفته زينب هانم بقرية شاة بالمنصورة . . كان هذا الوقف كبيرا وكان موقوفا على الأحناف أى الذين يعتنقون المذهب الحنفى . . ولعلها فعلت ذلك لأن مذهب الأحناف هو مذهب الدولة العلية التى هى تركيا وإن كان كثير من الناس يقولون إنها كانت لها رغبة في بعض سلاسل محمد على . . المهم أن هذا الوقف كان يغل على كل حنفى ما لا يقل عن مائة وخمسين جنيها كل عام .

وكان المالكية أيضا يتقاضون مبلغا كل عام ولكن هذا المبلغ يدفع لهم لأن رواق الشام تقاتل مع رواق الصعايدة فاحتدمت المعركة حتى قتل الشوام رجلا من الصعايدة وخشية أن تستطيل الفتنة وتمتد رثى أن يدفع رواق الشوام إلى رواق الصعايدة دية القتيل في كل عام قدرا من المال هذا القدر يوزع على علماء المالكية لأن معظم الصعايدة من المالكية وأنا منهم فكنت اتقاضى عشرين قرشا في كل عام كان هذا يؤثر في أنفسنا بما يترتب عليه من فتوى أصدرها بعض آل العلم في إدارة الأزهر . . الفتوى تقول إن العبرة في الصرف هو وقت الصرف وليس وقت الاستحقاق فالذى يوجد وقت الصرف يصرف مادام يتبع نفس المذهب فكان كلما



لاستثمار التكايا التي بنينا في أماكنها عمارات ينتفع بها الناس وبإيرادها ناس آخرون .

\*\*\*

والعلاقات بين الناس كائن حتى مثل كل الأحياء تولد غير مكتملة طفلة ثم تنميها حرارة العلاقة ثم تمر بفترة مراهقة فيها الرفض وفيها القبول ثم فترة شباب وازدهار وعطاء وإزهار وإثمار . . ثم كهولة . . ثم نهايات أحيانا سعيدة وأحيانا إلى فراق . . وعلاقة صاحبنا بعبد الناصر بدأت عفوية كما قلنا . . نأثر تحت العمامة يحدد فكر منطلقات الاسلام ونأثر تحت الثوب العسكري يطوع المدفع إلى غصن زيتون ويلوح به إلى العدو ويرغمى في أحضان مشاعر الناس نحو الزعيم ويصبح المدنيين عتاده وعدته يقف بهم في وجه الدنيا والتاريخ . . ولا اختلاف بداية الرجلين كان لا بد أن تنبت زهور لها شكل آخر وثمار لها طعم آخر . . وأردت أن ألتقي ببداية الخلاف . .

● اختلفت حتما مع عبد الناصر . . متى بدأت بذور الخلاف وكيف ؟  
— لم يكن خلافا بالمعنى الواضح الجلى ولكنه كان قليل من الاقتناع ببعض ما أفعل . . وبداية الخلاف تأتى قبل لقائى به حينما كنت في عهد ابراهيم عبد الهادى أعين أسر الأخوان المسلمين المسجونين ببعض المال وكنت أجمع لهم وكنت آخذ بعض هذا المال من سورية وعن طريق المرحوم مصطفى السباعى رضى الله عنه كنت آخذ بعضه من أغنياء في سوريا لعلى لو أذكر أسماءهم لتعذروا بهذا ولكن فيهم خير كثير . . وحينما أنتهى الأمر إلى في وزارة الأوقاف وكان تحت يدي مال الأوقاف هل أستطيع أن أدع هذه الأسر وقد أوصانى بها الامام الشهيد حسن البنا قبل أن يموت ؟ وهل أستطيع أن أعينها وأنا في عهد ابراهيم عبد الهادى وأمنع عنها المعونة في عهد الثورة ؟

هنا والحق يقال والله على ما أقول شهيد . . بدأ بعض الحقدة أو الحسدة والذين يحبون الأضطهاد في الماء العكر يصورون للرئيس عبد الناصر أننى أضع بذرة لحرب أو لتكتل يقوم فيه الاخوان المسلمون مناهضين للثورة .

● في أى أعوام الثورة بدأ هذا الخلاف . . ؟  
— في أواخر عام ١٩٥٧ . . وزاد الأمر حدة بعد الوحدة مع سوريا عام ٥٨

الاستحقاق فالذى يوجد وقت الصرف يصرف مادام يتبع نفس المذهب فكان كلما أهل الشهر الذى يوزع فيه ريع الوقف ندب من الاسكندرية أو من أسيوط ومن بعض الوزارات وبعض العلماء للتدريس فى الأزهر ليأخذوا نصيبهم فى وقف زينب هانم . . كانوا يندبون على الورق فقط بحيث إذا أخذوا ما يأخذوا تشطب أسماؤهم ويعودون إلى ما كانوا عليه فكانت هذه حيلة ثقيلة فلما انتهى الأمر إلى فى وزارة الأوقاف دعوت عالما فاضلا هو فضيلة المرحوم الشيخ أبوزهرة .

\*\*\*

قلت للشيخ أب زهرة :

ما رأيك فى وقف زينب هانم ؟

فقال بروحه الفكهة الطريفة :

— هذه الولية كانت قليلة أدب . . لأنه يعنى اشمعنى الأحناف ؟

قلت : على كل حال رحمها الله . . أهو نصيب وخلاص ؟

قال :

ماليش دعوة إن كانت ماتت ولا حية هى لم تكن موفقة فى هذا الوقف .

قلت : هل عندك من حيلة ؟

قال : فيه يأخى كثير . نغير غرض الوقف من جهة بر إلى جهة بر أولى وهذا

نص فى الفقه الاسلامى .

فقلت : يأخى ما تعمل معروف تعمل لنا مذكرة .

فعمل الشيخ أبوزهرة المذكرة وقال فيها يغير هذا الوقف من جهة البر التى تعطى للأحناف إلى جهة بر آخر أولى وهى الانفاق منه على من يموت من الأحناف ولا يدع لورثته ما يكفيهم من المال وهذا حق ، هنا رفع العلماء الأحناف على قضية فى المحكمة لأنهم يريدون أن يأخذوا النقود فى حياتهم ولا يتركون لأولادهم وكانوا ثلاثة بعضهم كان لهم أكثر من خمسة أولاد وكلهم فقراء ولكنى ربحت القضية ثم استأنفوا . . هل تتصورى أن هؤلاء الثلاثة قد ماتوا ولم يتركوا لأولادهم شيئا .

وكان أولادهم من استحق من هذا الوقف بعد تغيير أغراض الوقف وهذا مما

أعتر به أمام الله وأمام المؤمنين .

كذلك عنيت فى أثناء توليتى الوزارة برفع الضيم عن الكثيرين وطبقت على الذين فقدوا أموالهم : ارحموا عزيز قوم ذل . . وكان اهتمامى بمستشفيات الأوقاف كبيرا من أجل الطبقة الفقيرة التى لا تملك حق العلاج وكذلك كان اهتمامى موجهها

والاتحاد مع اليمن لأن في ذلك الوقت كنت وزيرا مركزيا وقوق أبرز وأنا وزير مركزي في مصر وبدأت أتلقى معونات وأعطى معونات وبدأت آخذ أموالا من وزارة الأوقاف وأعطى لبعض الأخوة هناك في سوريا وفي اليمن لكى يبعثوا بها إلى أسر الإخوان . . وبلغت هذه الأمور جمال عبد الناصر . . ونحن بشر . . إن جمال عبد الناصر كإنسان حريص على مبادئه لا بد أن يغضب وأنا كرجل حريص على وصية الأستاذ الامام لا بد أن أفعل !

وفطنت إلى نقطة هامة فرضت نفسها طوال حوارى مع الشيخ وعند دخولنا أمواج ثوار يوليو .

● أى أن الذى كان بينك وبين عبد الناصر كان دائما حسن البنا !  
قال وهو يؤكد كلماته :

— نعم . . كان بيننا دائما حسن البنا فكلما يتخيل خصوم الثورة خطرا يقع للثورة كانوا يتمثلوننى خصما لعبد الناصر وإذا أفلحوا في هذا فقد أفلحوا في أن يحطموا الثورة وأن يتخلصوا منها ولكنهم ظلوا كالمتربص فقط .

● قيل وقتها يامولانا أن بعض الأجهزة أوقعت بينكما وأنها اختلفت عليك أشياء كثيرة وزعمت بك أشياء أخرى لكى ترضى عبد الناصر وتوهم بأنها تعمل بصدق وجدية فهل هذا حقيقى ؟

— يجوز والله أعلم لا أستطيع أن أجزم ولكن أستطيع أن أقول إن هذا القدر بذاته كان يمكن أن يستغل . . تستغله المخابرات أو غيرها ويستغله الذين يخاصموننى حتى داخل الوزارة نفسها .

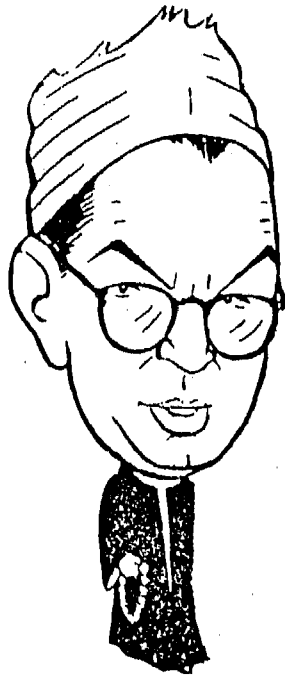
● لكى نغلق ملف الإخوان لا بدلى من سؤال آخر . . هل انقطعت صلتك بهم بعد أن كتبت استقالتك للمرشد العام حسن الهضبي ؟

قال وكأنه يفتح باب بيته القديم فى باقور :

— لا . . بل على العكس كنت ألقاهم فقد كنت قد أستأجرت دارا فى رقم ١٠ شارع فاروق . . كانت حجرة واحدة أخذتها منذ اعتقال الإخوان وكنا نلتقى بها ونساعد الذين يدخلون الانتخابات مثل سيد جلال فقد كان من أفضل الناس الذين يقدمون مساعدات مالية لأسر الإخوان المسلمين المعتقلين وهذا رجل لا أجد فضله إلا إذا كنت جاحدا .

- هل ظللت على علاقة وثيقة بهم ؟  
- إلى يوم يقوم الناس . . كنت على علاقة بهم إن لم تكن علاقة رسمية فإنها علاقة مودة وعاطفة لا يجرؤ الزمن على أن ينال منها .
- وكم من العمر قضيت في الوزارة ؟  
- من ٧ سبتمبر ٥٢ حتى ١٣ فبراير عام ١٩٥٩
- حوالى سبع سنوات . . ترى هل كانت عجافا ؟  
- نعم سبع سنوات . . تعدل كل منها عشر سنوات !  
وفجأة تصدعت العلاقة بين عيد الناصر والباقورى . . لماذا وكيف ؟

المحوار الأخير



نهاية المطاف

وتمضى الكلمات المليئة بالأحداث مع ذكريات الناصر تحت العمامة والقادم من قرية « بافور » في صعيد مصر من أعماق أسيوط . . .

لقد طفنا مع الرجل كل ثوراته . . منذ الطفولة . . . وحب استطلاع وتجربته في الطرق الصوفية . . . ثم حياته مراهقا صبيا في معهد أسيوط الديني ثم أزهريا . . يجوب الأروقة واطلالته على القاهرة . . ثم ثورة الأزهر . . ووصلنا إلى إطلالة على فكره الديني الذي طالما تأثر بفكر أستاذه حسن البنا ثم خطاه في مصر مع الإخوان المسلمين . . ووصلنا مع الشيخ إلى المعتقلات من أجل موقف ثابت من الإصرار على حركة إصلاح في البلاد . . ثم ثورة يوليو وكيف أطل عليها ثم التحم بها . . ووصل إلى كرسي الوزارة حيث لفحها جانبا من ثورته ومن نظراته المتحررة إلى مال الوقف ليكون رحمة للمسلمين والمنكوبين . . .

ثم تباطأت رحلة الطواف .. أمام غيوم الخلافات بين الشيخ وقائد الثورة ..  
حيث حوَصِرَ قائد الثورة بسور حديدى من بطانة أبت عليه أن يصل إلى حقيقة  
ما يدور حوله وكان جهاز المخابرات قد قويت شوكته مثل أى ثورة تخاف الانهيار  
فتحكم من داخلها وليس من خارجها عن طريق الشعب وبدأ الرئيس عبد الناصر  
يعترض على اعانات الشيخ لأسر معتقلي الإخوان المسلمين .. وبدأ الشرخ فى صرح  
الصداقة العظيمة الراضية .. وإليك حوارى معه حول هذه الفترة .

كان خبر استوزار الشيخ الباقورى هو العمق الرئيسى على موائد الحوار فى  
مصر ، فى القرى وفى المدن ، بين رجال الدين وبين عامة الشعب بين المثقفين  
وأنصاف المتعلمين ؛ لم تخلُ حلقة من حلقات الكلام تحت ظل مآذن الأزهر من  
تساؤل حول دخول الشيخ أحمد حسن الباقورى الوزارة ، أما أعضاء مكتب الارشاد  
فى جماعة الإخوان المسلمين فقد أصيبوا بالهلع الأكبر ، أما وكالات الأنباء فقد طيرت  
الخبر بسرعة إلى أنحاء العالم .

وفى حوارى مع مولانا الشيخ حسن الباقورى حول مشوار تحفه ثورة الاصلاح لم  
يكن سؤالى عن الوزارة عن حب استطلاع هؤلاء الناس وإنما ظللته غمامه من بنوة  
شرفنى بها الشيخ دوما .

● حينما دخلت الوزارة .. هل أحسست بأنك إنسان آخر ... ؟ هل استطاعت  
طقوس الوزارة وأبهة الاشتراك فى الحكم .. الانتقال من رجل يسعى بين الناس إلى  
رجل يسعى إليه الناس أن تغيرك .. ؟ قل ماذا حدث تماما ؟  
اعتدل الشيخ وأزاح العمامة عن جبهة تشع بالذكاء والحكمة وتكلم وألفاظه  
يغلقها السماح ووجهه يفيض بالرضا :

— لا يستطيع إنسان أن ينكر بريق المنصب ولكن الإنسان الذى لديه طموحات  
من أجل « الإصلاح » يشعر خطورة « المنصب » دائما .. ومنصب الوزارة أثناء ثورة  
من الثورات هو بلا شك مختلف تماما عن نفس المنصب فى فترة عادية .. الأمر  
يختلف فى حالة الثورة .. هنا إلزام بعمل شئ وبالتغيير الذى يحلم به الناظر ويحقق به  
أحلام الناس .. لم تكن الوزارة بالنسبة لى إلا مسئولية جديدة كبيرة فى مرحلة تحقيق  
الأحلام .. ومن اللطائف التى لا أنساها حينها وليت الوزارة أن جاءنى عبد المجيد  
باشا صالح وكان قد تولى وزارة الأشغال أكثر من مرة وقال لى « خذنى قدوة » قلت :  
قل ما تريد أفادك الله .. فقال لقد وليت الوزارة ثلاث مرات وفقدت عقلى ثلاث



مرات

يقولون لى سوف تكون وزيرا أفقد نصف عقلى من الفرح وبعد ما « أجد »  
شوية يقولوا رئيس الوزراء سيقدم استقالته أفقد النصف الثانى من الحزن . . ولهذا  
وليت الوزارة ثلاث مرات وفقدت عقلى ثلاث مرات .

وأنا أنصحك لكى تكون صعيدى مضبوط لا بد أن لا تفقد عقلك لا بالفرح  
ولا بالحزن واعلم أن الوزارة ليست دائمة فقلت له :

— أنا أريدك أن تقول لى كلام عملى يفيدنى . . نحن فى مرحلة ثورة . . فقال  
لى :

— إن لديك فى الوزارة أوقافا كثيرة وكل وزراء الأوقاف مشهورون باللعب فى  
الأوقاف وكلمة وقف ٣ حروف كلها تنتهى بالشمال وهى شؤم فاحذر أن تبدأ يمينا  
وتنتهى شمالا . . وابتعد عن الأوقاف ولا تستبد برأيك . . أنا لم أتول وزارة الأوقاف  
ولكن عندك ناس ممكن تتنفع بهم مثل محمد باشا علويه وهو أسيوطى بلدياتك . .  
اذهب إليه ولا تدعه إليك أنت صغير وهو كبير ولا بد من مراعاة التقاليد . ونحن حينها  
نفقد تقاليدنا من احترام الصغير للكبير وعطف الكبير على الصغير سنكون قد  
انتهينا .  
وقد أخذت بنصيحته رحمه الله ونفعتنى طول مدة الوزارة وما بعدها أيضا .

\* \* \*

وإذا كانت هناك شبكة يمكن أن يكون نسيجها الإشاعات وتغذى مصر كلها من  
أقصاها إلى أذناها والعالم العربى أيضا فليس هناك أكبر من تلك الشبكة المكونة من  
الإشاعات التى واكبت خروج الشيخ الباقورى من الحكم ؟

— لقد سجلوا له تسجيلات يتأمر على عبد الناصر . . !

— لقد أوقع به الإخوان لدى عبد الناصر .

— إن مكتب الإرشاد رسم الخطة ونفذتها المخابرات .

\* \* \*

بدأت مصر تضم تيارات أخرى وعاش الشيخ مشاق الإخوان فى الدول العربية  
وبدأت وزارة الأوقاف تتلقى المعونات وكان الجرح مازال ينزف داخل الزعيم من  
الإخوان المسلمين الذين اعتدوا على حياته فى المنشية . . وكلما كانت العلاقة رائعة  
كان الغضب أكثر ألما للنفس . .

وبدأت الفجوة تتسع وكانت بدايتها المعونات التي يدفعها الشيخ للإخوان المسلمين ..

● هل كان عبد الناصر قد بدأ يصاب بأمراض الحاشية ؟

— هذه مسائل عادية وعبر التاريخ تأتينا دائما .. وهى كثيرة الحدوث .. يؤرق الرجل دائما من بطانته وقد كان !

● وكيف كان ذلك .. نريد أن نعيش هوة الخلاف ولماذا حدث ؟

ظهرت سحابة منذ بداية الحوار لم تظهر .. غمامة لها عمق سحب الأمطار الغزيرة وابتلع مولانا أحرف الكلمات وبدأ يتكلم بهدوء :

— فى ليلة شديدة البرودة .. ١٣ فبراير عام ٥٩ بالتحديد استدعانى عبد الناصر إلى بيته .. وهناك قبل مدخل البيت عند منشية البكرى أوقفت سيارى على غير العادة لأمشى طريقا لا يقل عن مائة متر حتى أصل إلى بيت الرئيس .. كانت هذه هى المرة الأولى التى تقف فيها سيارى بعيدا .. فكان تمهيدا جعلنى أشعر أن هناك أمرا جللا .. إننى لا أنسى هذه الليلة ما حييت .. دخلت البيت .. ثم دخلت إلى مكتبه وكان واقفا فحيانى بيده مسلما وبعد أن جلس ووجهه تعلوه صفرة وحزن فائض لم أره من قبل قال بكلمات ناطقة بكل الألم وبقمة الألم ..

● أنا أتحدث إليك حديثا هو أصعب حديث وأصعب موقف مر فى حياتى يا شيخ أحمد ..

ثم مد يده وأدار مفتاح جهاز تسجيل فإذا صوت وقع يتهم جمال عبد الناصر فى أوقع اتهام يتهم به إنسان .. إنه يسبه فى عرض أمه ... إنه يسبه فى أقدس ما يعتز به إنسان .. شعرت بما يشبه الاغماء وجاء صوته يسألنى ..

— هل عرفت صاحب الصوت ؟

قلت :

— نعم عرفته بالطبع .

وقال عبد الناصر والدموع تغرق وجهه ونبرات البكاء تختلط بالكلمات .

— هل كنت موجودا فى هذه الجلسة يا شيخ أحمد ؟

قلت وأنا لا أدري كيف أتكلم .

قلت : نعم .. أنا آسف .. نعم كنت موجودا ...

قال : عاوز تقول حاجة ؟

قلت : أنا عاوز ورقة .

قال : ليه ؟

قلت : لأكتب استقالتى . . . !

وهنا رفع الرجل رأسه ومسح دموعه وبدا الزعيم فى محياه وقال :

— إنت عارف انى باقبل استقالات ؟ هو حد استقال قبل كده ؟

قلت : على كل حال إذا بلغك شىء عنى فأنت تملك قوى لا يملكها أحد غيرك  
تملك أن تسأل فى كل مكان ذهبت إليه من الصعيد إلى مراكش وفى الجزائر وفى البلاد  
العربية . . ولى رجاء تقبله ؟

قال : وما هو ؟

قلت : منذ ١٥ يوما وقعنا قانون محاكمة الوزراء فإذا ثبت على شىء مما بلغك  
عنى فحاكمنى واترك لى فرصة الدفاع عن نفسى فإذا اقتنعت بغير هذا فالعدل الذى  
أرجوه منك وأعتقدك فىك أن تخرجنى من بيتك كما أدخلتني فيه .

قال : على كل حال ربنا يسهل . .

وأصر عبد الناصر أن يوصلنى إلى الباب وجاءت العربة إلى الباب وركبتها  
وأعتقد أنه لو كان تركنى لأمشى هذه المسافة ربما كانوا قد خطفونى وأخفونى فى أى  
مكان ولهذا قبل أن أخرج طلب مدير مكتبه وقال له : أدخل سيارة الشيخ  
الباقورى . .

ووصلت إلى بيتي وكنت متعبا جدا وقد قال بعض الناس أننى سقطت مغشيا على  
وأنى مرضت وأنا فى مجلس عبد الناصر وهذا غير صحيح لقد مرضت ولكن بعد فترة  
طويلة فقد مكثت فى بيتي ٥ سنوات وخمسة شهور وخمسة أيام . .

\*\*\*

وفى صباح يوم ١٤ فبراير كانت الجرائد قد نشرت خبر خروج الشيخ الباقورى  
من الوزارة . . وفى الساعة والنصف صباحا وقف شاب يطرق باب الشيخ الباقورى  
وكان من صفوة أصدقائه ومحبيه وكان ذلك الصديق الصدوق هو عبد الوارث  
الدسوقى مستشار رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم الآن . .

ويقول عبد الوارث الدسوقى :

كان يوما غريبا فعلا . . لقد لزم الشيخ حجرتة أسفل البيت وخافت زوجته منا  
وهى تعرفنا حق المعرفة ولكنها اعتقدت أننا من المخابرات ولما علم بوجودى طلبنى  
فدخلت إليه وكان ملازما لحجرتة وبادرنى بقوله :

- يا عبد الوارث يجب أن تتأكد أنني شريف ونظيف . . أنني لم أسرق ولم أنهب . . ولولا هدم بيتي في باقور لذهبت إلى هناك ولزمته وليس لدى نقود لأبنيه فقد استبدلت جزءا من معاشي من أجل زواج ابنتي وسأله عبد الوارث :  
ماذا حدث بالضبط ؟

- لقد أستدعاني عبد الناصر وأسمعني تسجيلا لأحد أصدقائي المقربين والتسجيل بصوته يتحدث مع الأستاذ يحيى حقى ويسب فيه عبد الناصر في عرضه وحينما استنكر يحيى حقى هذا الأسلوب منه قال له الصديق ( جبان وخايف من عبد الناصر . . الشيخ الباقوري جنبى أهو وسامع الكلام ) وكنت أصلى يا عبد الوارث ولما فرغت من صلاتي كانت المكالمة قد انتهت فقلت له يا أخى ذلك عيب ولا يصح ولكن التسجيل كان قد انتهى . .

وأنت تعرف علاقتي الوثيقة بعبد الناصر الذى كان يأتمنى على أسرار بيته . . لقد أبكاني حينما حكى لى أنه عاد من الأجازة الصيفية التى كان يقضيها فى منزل عمه فوجد أمه قد ماتت وتزوج أبوه من أخرى وكيف أن والده قال له أن « أمك راحت فى التراب » فذهب الطفل الصغير يبرغ وجهه فى التراب بحثا عن أمه . . لقد قال لى عبد الناصر إنك الوحيد الذى تعرف كل شىء عنى وعن أمى فهل أسب هكذا أمامك يا شيخ أحمد ؟ وبكى مع عبد الناصر . .

ويضيف الأستاذ عبد الوارث الدسوقي أن عبد الناصر بعد أن تبين بعد ذلك أن الباقورى لم يخطئ فى حقه أراد أن يرجعه إلى جناح الثورة وقال له المشير « اتكل على سوف أذهب إلى الشيخ أحمد وأرجعه » ولكن المشير كان غير صادق ولم يذهب إلى الشيخ الباقورى .

ويقول عبد الوارث الدسوقي : كانت المخابرات قد قوى جناحها وأصبحت تقبض على الذين يعايشون العاملين بالسياسة أذكر أن الشيخ الباقورى حينما عاد مديرا لجامعة الأزهر أرسل له ابراهيم عبد الهادى برقية تهنئة فأراد الباقورى أن يرسل له رد البرقية ولكن الذين حوله قالوا له أن هذا مرفوض سياسيا . فكتب الشيخ خطابا وأعطاه لأحد أصدقائه ليعطيه لابراهيم عبد الهادى فما كان من الصديق إلا أن اعطاه للرئيس جمال عبد الناصر وفى إحدى المقابلات بين عبد الناصر والباقورى سلمه الخطاب الذى كان مرفوضا أن يذهب لابراهيم عبد الهادى . .

\*\*\*

ومن عمق الألم من جوف الصداقة المنهارة يتكلم الشيخ الباقرى كلمة حق بعد قرابة ربع قرن من الصمت :

- هل يطيق إنسان كريم فى منصب رئيس الجمهورية أن يرى أحد وزرائه فى مجلس تسب فيه أمه على هذا المستوى السوقى ؟

لقد مكثت فى بيتى خمس سنوات وخمسة شهور وخمسة أيام لا أغادره إلا فيما ندر يمكن ٥ مرات أوست فقط كان يمر على الأخ الكريم الشرباصى والأخ الدكتور نور الدين طراف وكثير من المعارف والأصدقاء وبيننا حجرة مكتب صغيرة فى الحديقة أصبحت فيها ندوة أسبوعية تقريبا فكان يقال هناك فى مصر الجديدة ندوتان - ندوة العقاد صباح الجمعة وندوة الباقرى ليلة الجمعة .

وكنت قد سألته عن ابنتيه لى وعزة فى خلال مذكراته وأبقيت الحديث عن يمنى عامدة متعمدة لأن مكانها هنا حيث عاشت صباها ملتصقة بأبيها فى وحدته .

● ويمنى كيف استقبلتها وليده . . حتى أصبحت جليس الوحدة بعد ذلك ؟

- كان مجيء يمنى بعد شوق للصغار فقدت ابنى محمدا وأنا فى معتقل « فاقوسة » . . . وحينما علمت بميلاد يمنى وكان هذا فى عام ١٩٤٧ دخلت حجرى وظللت أصلى وأقرأ القرآن . . ولما فرغت من صلاتى قلت لهم : أسميتها يمنى من اليمن ولعلها تعيش وتكون طالع يمن وبركة علينا وعلى بلدنا .

وكانت يمنى منذ طفولتها تشع ذكاء وتطلب المعرفة . . وحينما خرجت من الوزارة كانت لى قد تزوجت وبعدها عزه بستة شهور فقط وأصبحت يمنى هى جليسى وصديقتى وتلميذتى أيضا . . إنشغلت بى وإنشغلت بها . . أصبحت يمنى هى العقل الذى يدير المكتبة المكونة من خمسة آلاف مجلد فى الدين وأصبحت تعرفها وتحفظها وتعينى على ما أريد منها . . كانت رفيق الوحدة فى وقت انفض فيه الركب . . أصبحت لغتها لغتى وحوارها حوارى ورغم حداثة سنها فقد استوعبت أصول الدين وعشقتها وبرز هذا فى دراستها فى كلية الحقوق فنبغت فى مادة الشريعة الإسلامية . . وكانت يمنى من قبل . . هى الطفلة المدللة لأعضاء مجلس قيادة الثورة . . أذكر من اللطائف لابتى أننى حينما عدت من الصعيد جاء الصديق جمال سالم ليسلم على فقال لها :

- إتعلمتى تتكلمى صينى من بابا يمنى ؟

- إتعلمتى تتكلمى صينى من بابا يا مبنى ؟

فردت بسرعة : أيوه .. بس صينى مكسّر يا عمى .. وكان عمرها فى ذلك الحين سبع سنوات فقط ... تحملت عنى غروب الوزارة .. وكانت تتعمد تكذيب الإشاعات المثارة حولى .. فكانت تخرج بالدراجة فى شوارع مصر الجديدة وتعود ومعها صديقاتها لترىهم أننى موجود بالبيت .. وفى نفس الوقت كانت تتحايل على لأخرج من حجرى وأتمشى فى الحديقة ليرانى الناس ويعلموا أننى لست معتقلا ... ويقدر شوقى لإنجاب الولد .. فإن ابنتى مبنى عوضتنى فى اعتكافى عن الشوق إلى الولد وأدت دور الابنة والإبن حقا .. وعوضتنى زواج شقيقتيها فى فترة كنت محتاجاً فيها لمن يسرّى عن حياتى .

\*\*\*

فى هذه الفترة الطويلة العصبية لا تكفى مراجعة الناس عما حدث طوال مشوار الحياة ولكن لا بد من الاختزان أيضا .. كنا نذهب إليه ونتكلم فى كل شىء وكان مجلسه دائم الخضرة متجدد الحوارات ولكننا لم نكن فى ذلك الوقت نعيد العجلة إلى الوراء فلم نكن نتكلم عما مضى أبدا اللهم بعض الذكريات عن الأزهر وفترة الكفاح الأولى فى عهد الاستعمار ومرحلة ما قبل الثورة ... وكأنما كان يضع لنا خطأ أحر لا نتعداه حيث مشاعره مليئة بالظلم ولا يريد أن تمتد ظلال الظلم فتحجب الرؤيا وتوقف نمو الحوار الخلاق .. كان يعايش الكتب طوال يومه ويتخلل ضيوفه معاشته للكتب وكنت كثيرا ما أشعر بالخجل من كتبه وكأننى أقاطعه الحوار مع صديق حميم .. ولكن كان حب استطلاعى يدور حول حصاد هذا المصرى المغرق فى المصرية :

● عايشت الكتب ... ترى كيف كان الحصاد ؟

تحسّس أوراق كتاب فى يده كان يشرحه لى .. كان كتاب غاية فى الغرابة : تستطيع أن تقرّاه بالطول أو بالعرض أو بالتقاطع فيكون لكل اتجاه معنى من المعانى العظيمة ... تحسّس الورق وكأنه يستودعه لفترة وقال :

- كنت أجلس فى مكتبى كل يوم .. أقرأ وأقرأ حتى حفظت القرآن كله وأتيت على كل كتب التفسير سواء ما كتبه علماء من مصر أو من كل العالم الإسلامى وكنت أقرأ بنهم شديد وبذهن صاف تماما فقد كنت قد انشغلت لسبع سنوات بأمور الحكم

والوزارة واستغرقتني السياسة ولم أكن أعود لكتب الفقه والسنة إلا كلما وجدت وقتا وكان عزيزا جدا في وقت الحكم أن تجد وقتا لتغرق فيه نفسك في كتاب . . .

كنت أقرأ كتبنا ولكن بلا تخطيط معين ولكن حرصت على حفظ القرآن بعد أن كنت قد أنسيته ولا تقوى في القرآن نسيته لأن كلمة نسيته تعطى الإهمال ولكن كلمة أنسيته معناها تدخلت إرادة أخرى غير إرادتي . .

\*\*\*

وحينما عكف الشيخ على كتبه وانفرد في منزله بأهل بيته وثقافته بعد الخروج من الوزارة تغيرت معيته بلا جدال وصفت وبقي منها الصفوة الذين افتقدوه مع ازدحام حياته بالحكم والسياسة . . . في ذلك الوقت تغيرت وجوه وغابت وجوه . . . وبعد ما يقرب من ربع قرن سألته :

● وماذا عن الناس . . . وانفضاض السامر ؟

قلت سؤالي أثير فيه الحكمة وأفيد منه قارئى وأخذ منه زاداً لعمري هو الأفضل مما نتقوت به من طعام . . إنه زاد حملة الشيخ في عقله وبين حنايا قلبه أثرت أن يعطيه لنا . . ذلك الرجل الذي يحكم العطاء .

قال وكأنه قنديل يضيء في الظلام الخالك :

- الناس يا سيدى معادن . . . الأصيل يظل كما هو وغير الأصيل يتواري خلف زخرف الدنيا أى المناصب وأنا في وحدتى أحاط بى كثير من ذوى الأصيل . . وانفض عني من أردت أن ينفضوا فأراحنى الله منهم . . . ومن خيرة الناس أذكر واقعة أملت بى . . فقد أصيب لى « ضررس » وأردت أن أخلعه وكنت مصرا على عدم مغادرة البيت وكنت قد سمعت حكاية عن خال لزوجتى ربط خيطا في السرير ثم ربطه في ضرسه ونزل مرة واحدة فانخلع الضررس وجربت هذه الطريقة وإذا بنزيف شديد يصيبني مكان الضررس الذى انخلع . . وهنا طلبت زوجتى صديقا قديما للأسرة هو الدكتور أيوب عامر . . فجاء الرجل وكان زميلا قديما في سجن الاستئناف . . جاء ومعه السيدة حرمه وعالج أسناني في البيت وكان يحمل أدواته معه كلما عادنى . . وهذا الرجل من النماذج العظيمة الوفاء والصدقة . . وكرمنى الله بأستاذى ومعلمى في الثورة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز والد زوجتى ، فقد كان معى دائما . . وكان يريد أن يخرج بى إلى الناس والمجالس ولكنى رفضت . . فقد

كان خروجى يعتبر تحدياً للدولة .. والدولة لا يستطيع أن يتحداها إلا دولة ..  
وهكذا فضلت الاعتكاف رغم أن الرجل يصبر على أن أخرج على طريقة محاربته  
للانجليز .. رحمه الله .. فقد كان شجاعاً .. عاش شجاعاً ومات شجاعاً  
أيضاً .. وزارنى أيضاً الأمير متعب بن عبد العزيز وقال لى إطلع يا أخى ليراك  
الناس .. ولكنى رفضت أيضاً .. وكان جلالة الملك فيصل يبعث إلى برسائله  
الشفوية دائماً .

\* \* \*

### ● كيف عادت العلاقة بينك وبين عبد الناصر من جديد ؟

— فى ذات يوم وأنا فى مكتبى أتأمل فيما مضى وفى الحاضر وفيما هوأت .. إذا  
بكوكب زوجتى تنادىنى « أحمد .. أحمد .. بشيء من اللفتة .. تليفون  
علشانك .. وعلى التليفون كان هناك أخ فاضل هو محمد أحمد السكرتير الخاص  
للرئيس عبد الناصر :

— معالى الوزير ...

— نعم ...

— الرئيس عقبال عندك بيجوز هدى بنته .. فهل إذا جاءتك دعوة تحضر  
الحفل ؟

— هدى ابنتى .. وعبد الناصر مهما كانت الظروف هو أخى وزعيمى ورئيس  
الحكومة التى كنت أعمل بها .. وأنا أسعد بهذه الدعوة . وفى اليوم الثانى جاءتنى  
تذكرة الدعوة .. ولا تتصورى كيف لقينى الناس حينما ذهبنا إلى الحفل .

تقول حرم الشيخ الباقورى :

— عند بدء دخولنا منزل الرئيس وكانت السيارة تسير ببطء شديد .. كان  
الناس المجتمعون والحرس كأنهم لا ينطقون سوى حرف الشين .. فكلهم  
يهمسون .

— الشيخ الباقورى .. الشيخ الباقورى ..

ويقول الشيخ الباقورى :

— واستقبلنى جمال عبد الناصر ومعه حرمه بصوت عالٍ مجلجل :

— أهلاً .. أهلاً يا شيخ أحمد ...

وأقبل علىّ وأقبلت عليه واحتضنته بقوة .. قوة العاطفة التى تغلب كل قوة فى



العالم .. وسعدت معه بابتته وكان في صحة طيبة .. كان هذا في يوليو عام ١٩٦٤ .. وكان عبد الناصر سعيداً يلتقط الصور بنفسه للعروس وللمدعوين .

وبعد الحفل قال أناس إن الشيخ الباقورى كان هو الخبر في هذا الحفل .. وبدأ الناس يتساءلون .. هل يعود الباقورى إلى منصبه .. لا بد أنه سيعود في منصب هام .. وعندما حان وقت الإنصراف من الحفل كان الرئيس مشغولاً فلم أشأ أن أذهب إليه حتى لا يقال إننى أنافقه .

\* \* \*

وجامعة الأزهر كانت حلم الشيخ منذ أن كان ثائراً صغيراً في أسبوط وكون جماعة إصلاح الجامعة الأزهرية .. وكان لابد لعودته من حلم آخر يتحقق بعد هذه الغصة الهائلة التي أوقفت مسيرة الثائر .. ونشرت جريدة الأهرام في صدر صفحتها الأولى في ١٤ يوليو عام ١٩٦٤ « الباقورى مديراً لجامعة الأزهر » .. وعلق أحد أصدقائه الوزراء قائلاً له :

— لو كان عبد الناصر أعادك إلى الوزارة ما كان صنع شيئاً .. لقد رد إليك اعتبارك بأن ولاك منصباً أهم بكثير من الوزارة .

● هلى كان هذا أحد أحلامك فعلا ؟

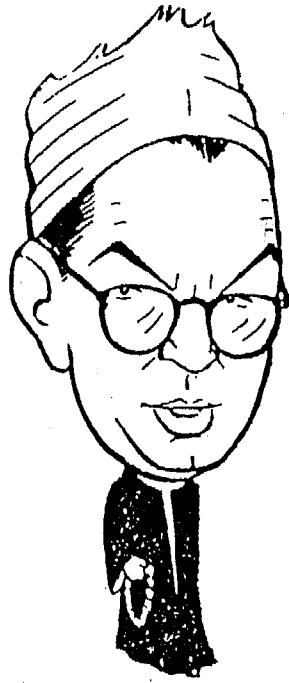
— وأنا طالب فى معهد أسبوط الدينى عملنا جمعية إسمها جمعية إصلاح فساد الجامعة الأزهرية .. وكان ذلك عام ١٩٢٦ .. وتحققت فى عام ١٩٦٤ ...

وكان الدكتور طه حسين قال فى إحدى المناسبات .. كان الأزهر المذكور خيراً من الجامعة المؤنثة .

● هل قابلت عبد الناصر بعد ذلك ؟

— نعم .. قابلنى فى مسجد الإمام الحسين فى صلاة العيد وكنت قد وصلت قبل وصوله بدقائق .. وجاء عبد الناصر وقال :

— أهلاً يا شيخ أحمد .. كل عام وأنتم بخير .. وبعد أن فرغنا من الصلاة .. قصدى وأخذ بيدي وذهبنا معا إلى مقصورة الإمام الحسين ودربنا حول الضريح .. وكان الرجل كأنه يكفر عن خطئته نحوى .. فالإنسان الكبير يتعب أن يرى أنه أخطأ .. ورحم الله الذين مضوا إلى الله وأدام الله توفيقه للذين خلفوهم بخير ..



الشيخ الشاعر والفن

● نور الشريف يسأل .. والشيخ الباقورى يجيب :

ربما يبدو للوهلة الأولى أن أطراف الحديث هنا غرباء .. فهم مجموعة مختلفة الأعمار والتجارب والأمزجة والاتجاه في الحياة .. ولكن الحوار كان شيقا .. مفيدا .. ممتعا .. في بيت الشيخ الجليل أحمد حسن الباقورى وفي سهرة رمضانية ألقى الفنان نور الشريف والفنانة « نورا » ولفيف من الأهل والأصدقاء بعلامات الاستفهام عن الدين والدنيا والعلم .. وتلقفها الشيخ الباقورى برحابة صدر وأجاب بأسلوبه السهل الممتنع الممتنع أيضا .. وتحدث الشيخ الباقورى في تفسير الدين وعلاقته بالدنيا .. وظواهر العلم .. وفي غزو الفضاء .. وتنظيم الأسرة .. وفي موقف الدين من التمثيل والموسيقى ..

وقال الشيخ الجليل : إنه لا تعارض بين الدين والفن . . وإنه لا يعترض على ظهور الصحابة على الشاشة . . ولكن بشروط . . ما هي ؟

في هذا البيت تجد نفسك أمام نموذج بالغ الروعة والجاذبية والبساطة . . حيث ينعكس كل ما في الشيخ الباقوري من عظمة تاريخ وثورة على الحوار في بيته وحيث يصبح الناس كما النحل يلتف حول زهرة عملاقة يمتص منها الرحيق . . ومع اختلاف الثقافات والأمزجة . . وجد كل منا إجابة لسؤاله . . فهو عالم بحر بارع في اختيار الإجابة واللفظ . . حيث تصبح في مواجهة أمام السهل الممتنع الممتع أيضا . .

والصوم عن الطعام يجعل النفس جوعى للروحانيات في رمضان - نوع من التعويض - والأحاديث التقليدية تحيط العقل بالملل أما الحوار الذي يتخذ الحرية أساسا يتيح له يشبع الوجدان حقا . .

وحواري مع الشيخ الباقوري بحرية طوال ربع قرن من الزمان جعل حوارنا كلما تقدم العمر أكثر ثراء . . ومن عادة هذا الشيخ المتفتح والأستاذ الجليل أنه إذا سئل تدفقت إجاباته ولا يكون حديثه في إطار الدين فقط وإنما يعنى بمزج الدين بالدنيا فيخرج حديثه حياة . .

وفي بيته في مصر الجديدة حيث مريدوه واتباعه دائمو التردد يعتبر منبعها متجددا لحلو الحديث وأعمقه . . وقضينا ليلة عنده كانت من أغزر ليالي رمضان وأجملها . كنا مجموعة مختلفة الأعمار والتجارب والأمزجة . . الفنان نور الشريف والفنانة نورا بكل علامات استفهام الحياة . . وابنته السيدة عزة الباقوري حرم الدكتور اسماعيل صبرى وهي متخرجة في كلية الآداب وابنته الصغرى السيدة منى حرم المستشار على كامل وهي متخرجة في كلية الحقوق وحرمة وتلميذته كريمة المرحوم الشيخ دراز . . وحولنا أحفاد الشيخ يتأملون أحيانا ويتضحكون أحيانا وقليلًا ما يلعبون ولكنهم يعيشون في حرية حيث يعاملهم الجد العظيم مقتديا بسيد الخلق محمد رسول الله حيث كان واسع الصدر مع أحفاده الحسن والحسين لا يحرمهما من مجلسه . .

ودائما يذيب شيخنا الجليل ثلوج البداية بحديث فكه يغري الجميع بالسؤال .

نور الشريف : حضرتك سافرت روسيا ؟

الشيخ الباقوري : لا .. دعيت إليها مرتين ولكن لم أسافرها !

نور الشريف : لقد زرت روسيا ثلاث مرات في مناسبات فنية مختلفة .. وفي طشقند إحدى الولايات المسلمة رأيت منظرا هزنى وتأثرت منه جدا .

الشيخ الباقوري : إن طشقند هي أساس المسلمين هناك وبها تجمع كبير منهم .

نور الشريف : علمت أن عددهم كان ثلاثة ملايين وأحضرُوا لهم ثمانية ملايين من الروس لإزالة قوميتهم .. لقد أصبح كل الجيل الجديد هناك بلا دين .. لقد هربت من المترجم وذهبت إلى قهوة وقابلت عجوزا يناهز المائة ويتحدث العربية بصعوبة شديدة وعن طريق القرآن الكريم .. في الحقيقة أننى فكرت فى هؤلاء الناس ولماذا لا تبدل الدول الإسلامية جهدا ما فى الوقوف بجانبهم .. يجب أن يكون هناك موقف إسلامى واضح من هؤلاء الناس للاحتفاظ بدينهم وترشيدهم .

الشيخ الباقوري : فى الحقيقة أن الإسلام لى يصلح دعوة فىجب ألا يقف النص أمام المصلحة ويجب أن تترك الفرصة للاجتهادات لى تأخذ دورها فى اشتعال جذوة الدعوة فى كل مكان .. ويجب أن تفكر الدول الإسلامية فى إرسال البعث بحيث لا يقع العبء على مصر وحدها كما يحدث . ويقول الزاهد العالم الشيخ الجليل الأستاذ الدكتور معروف الدواليبى : تغير الأحكام بتغير الزمان شىء غير تغير الزمان دون تغيير النصوص وتعطيلها .

\*\*\*

ثم انتقل الحديث إلى المرأة وقانون الأحوال الشخصية فقلت له :

● ما رأيكم فى قانون الأحوال الشخصية الجديد ؟

فتفحص كل نساء الحجرة وابتسم وقال :

— من غير ملق للرئيس أنور السادات لقد حقق العبور وطرده الشيوعية وأقام دولة العلم والإيمان وأصدر قانون الأحوال الشخصية هذا القانون الذى لا يقل عن العبور .. ولكنى أجد أن تسمية قانون الأحوال الشخصية غير مناسب وأنسب منها « قانون تنظيم الأسرة » وذلك لأن مسائل الزواج والطلاق والنفقة وما إليها ليست أحوالا شخصية ولكنها مرتبطة بالأسرة وصلاحها صلاح للأمة وفسادها فساد للأمة لهذا لا تسمى أحوال شخصية وإنما تسمى قوانين « تنظيم الأسرة » .

نور الشريف : إننى لا أفهم لماذا تشترط الزوجة على الزوج ألا يتزوج من أخرى فإن تزوج فإن من حقها أن تطلب الطلاق .

الشيخ الباقورى : إن المرأة تضار بزوجة أخرى ومن حقها أن تطلب الانفصال ومن حقها أن تشترط فى العقد والمؤمنون عند شروط . .

نور الشريف : أنا أريد أن أعرف سنداً دينياً لاشتراط المرأة فى عدم زواج زوجها من أخرى .

الشيخ الباقورى : أعرف أن سيد الناس محمداً رسول الله تصرف هذا التصرف ونحن جميعاً لا نساوى التراب الذى يمشى عليه رسول الله فإذا فعل وجب علينا أن نفتدى به .

نور الشريف : كيف ؟

الشيخ الباقورى : كان على ابن أبى طالب كرم الله وجهه متزوجاً من فاطمة بنت محمد وأراد أن يتزوج أخرى على فاطمة فبعث إلى الرسول ليستأذن فى أن يتزوج بنت الحكم بن هشام فخرج الرسول إلى المسجد وقال :

« فاطمة بضعة منى ما يسوءها يسوءنى وما يفرحها يفرحنى . إن ابن أبى طالب يريد أن يتزوج عليها بنت أبى جهل وقد بعث يستأذننى . . والله لا آذن ثم والله لا آذن ، ثم والله لا آذن . . إن كان يريد أن يتزوج بنت أبى جهل فليطلق فاطمة بنت محمد » إذن هذا هو رسول الله وابنته فاطمة زوج على وهذا على ابن أبى طالب ولن تجدهمها فعلت قدوة تقتدى بها أكثر من سيد الخلق .

\*\*\*

وحول الخلاف بين الدول العربية حول رؤية الهلال سأل الفنان نور الشريف هذا السؤال :

— ما رأيك يا مولانا فى رجل دين كاد يضرب رجل علم لأن رجل العلم صمم أن تعرف بداية رمضان علمياً ورجل الدين رفض . . أنا رأى أن الله سبحانه وتعالى علم الإنسان ما لم يعلم وأن شهر رمضان لا يأتى وليد الصدفة أبداً لأن العالم الذى خلقه الله بكل دقة وعظيم الصنع ليس فيه أشياء بالصدفة أبداً . . فما رأيك ؟

خلقه الله بكل دقة وعظيم الصنع ليس فيه أشياء بالصدفة أبدا . . فما رأيك ؟

الشيخ الباقورى : قال الله تعالى « ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » صدق الله العظيم والدابة في لغة العرب تفسيرها أن الأرض فيها دواب أى كل ما يدب على الأرض .

هذه آية تشير على سبيل القطع إلى أن الكواكب في السماء فيها دواب كالأرض تماما . . هناك سورة أيضا يقول فيها تعالى وهى سورة الطلاق « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير » .

إن أرضنا هذه واحدة من سبع . أى أن في السماء هناك سبع مجموعات شمسية فيها نفس الصورة الموجودة في مجموعتنا . وليس سبعا فقط لأن اللغة العربية قد تطلق سبعا ولا تريد التحديد ربما تطلق سبعا وسبعين وسبعمئة ولا تريد أكثر من التكرار أى التكرار فليس المراد التحديد وإنما المراد التكرار .

• هذه الآية تدل على أن هناك ملايين المجموعات الشمسية في كون الله العظيم الذى لا يدركه أحد إلا الله .

أليس في هذا تحريض على العلم ؟ وعلى الصاروخ عابر القارات وعلى المراكب الفضائية . . إنك على حق تماما يا نور لأنك تريد استخدام العلم . . مثل الجنين في تكوينه وخروجه إلى الدنيا بشكل علمى . . إثبات رؤية الهلال علميا ليست صعبة بالنسبة لتكوين الجنين .

وتلمع عين الفنانة نورا ويقفز سؤال على شفيتها التقطته بحس المرأة حين مر عليها تفسير العالم الكبير لتكون الجنين قالت :

— أريد أن أسأل . . لماذا يعيش الجنين الذى يولد ابن سبعة شهور وكذلك ابن تسعة شهور . . إن ابنة نجلاء فتحي ولدت في الشهر الثامن ولهذا فهي مريضة بالقلب .

الشيخ الباقورى : قال أحد علماء المتصوفة « الجنين في بطن أمه إذا اكتملت له سبعة أشهر تحفز لينزل فيجتمع ويهم فإذا نزل في هذه المهمة نزل صالحا وإذا لم ينزل استراح فإذا جاء التاسع تحفز وهم فإذا نزل فهو سليم معافى وبين الهمتين شهر راحة

هو الشهر الثامن أما همته في الشهر الثامن فهي همة ضعيفة إذا نزل فيها فلا بد من علة  
تصيبه وتضعفه .

وسألت :

● لكن يقال أنه لو بدأ الشهر التاسع ولو بأسبوع واحد ونزل الجنين سيكون  
قويا .

الشيخ الباقرى : فعلا : هنا يكون قد استراح الشهر الثامن كله . . وبمناسبة  
المواليد هناك مسألة أحب أن أقولها للسيدات ليحملن همها وييشرن بها من أجل  
أجيال قوية صالحة ومبرهنا على قولى بقول عائشة أم المؤمنين حين قالت تمدح رسول  
الله ﷺ .

ومبرىء من كل غير حيضه وفساد مرضعة وداء مغيل

تريد أن تقول للرسول إن أمك حملت بك وهى طاهرة متطهرة والغيل هو لبن  
الأم ترضعه وليدها وهى حامل وفساد مرضعة أى مرضها .

قالوا إن ارضاع الطفل من أمه وهى حامل لابد أن يصاب معه بداء يصصره حين  
يبلغ مبلغ الرجال . . وتقول أسماء بنت يزيد بن السكن : سمعت رسول الله  
يقول :

لا تقتلوا أولادكم سرا فإن الغيل يدرك الفارس فيعثره عن فرسه .

أى أن اللبن الذى يرضعه الصغير وأمّه حامل يصيبه بالصرع عندما يكبر حتى  
يجعله يسقط مبعثرا من فوق فرسه أى يصصره .

\*\*\*

ويواصل العالم الذى استخلص من الدين علوم الدنيا قائلا :

— لقد طلبت من الدكتور بدران وهو رجل عالم ورع أن يوجه المعامل فى مصر أو  
يستورد معامل حديثه من أوروبا ليحلل لبن الأم وهى حامل ولبنها وهى غير حامل  
حتى نعرف ما ينقص من اللبن كما وكيفا حتى نكفل عن طريق العلم وعلى وجه  
التعيين جيلا قويا بعيدا عن الصرع وغيره . . . وتذكرت حادثا فى طفولتى حضرته  
فى قريتنا فلقد شاهدت أما لطفل أبعدته عن صدرها وهوى الشهر الرابع لأنها حملت



بطفل آخر فقلت :

● ما رأيك أن المرأة في القرية تعرف هذه الحقيقة العلمية جيدا وتمنع طفلها فور شعورها بالحمل .

— في البداية أيضا يعرفون هذه الحقيقة . . الفطرة تعلم الانسان حماية نفسه .

نور الشريف : يا ترى فيه كتاب أقدر أرجع إليه في مثل هذه الأمور ؟

الشيخ الباقرى : بعد شهر إن شاء الله سأهديك نسخة من كتابي مع القرآن في تفسير جزء تبارك وهو يهتم بحقائق علمية كثيرة .

وبالمناسبة كنت أتمنى أن يحتوى قانون تنظيم الأسرة أو قانون الأحوال الشخصية كما يسمى على نصوص للمحافظة على النسل فهذا حق من حقوق الأسرة وواجب عليها خلق جيل صحيح الجسم صحيح النفس .

\*\*\*

ومن الفوازير التي تعطى للجمهور ثقافة : الفوازير التي كان يقدمها نور لشريف وبوسى في إذاعة البرنامج العام وهى عن الأماكن المقدسة . . وتذكر نور الشريف سؤالاً بمناسبة هذه الفوازير فسأله :

● هناك مكان من الأماكن المقدسة تناولناه في فزورة عقدت فيه معاهدة عقدها الرسول ﷺ مع المشركين وقال المسلمون أن بها بنودا ضد الإسلام فما حكاية هذه المعاهدة ؟

ورد حمه الله موسوعة لنا قائلا :

— إنه صلح الحديبية أو غزوة الحديبية . . إنها ليست غزوة ولكنهم يطلقون عليها هكذا . . فلقد ذهب الرسول ليعتمر فحاصروه ومنعوه من دخول مكة وقالوا له لا تدخل مكة علينا بسيفك أبدا فتحدث العرب أنك غلبتنا . . لا والله

فماذا يصنع الرسول . . لقد اتفق معهم على أن يرجع من عامه هذا على أن يرجع في العام القادم ليقضى العمرة التي صد عنها ورجع . . وبينما هو في الطريق إلى مكة نزل قوله تعالى :

« إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » .

فقال عمر . . أو فتح هذا يا رسول الله قال : نعم إنه فتح .

مع أنه لم يكن فتحاً وإنما ترتب عليه الفتح بعد ذلك والذي حدث أن المسلمين الذين كانوا مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه قويت نفوسهم ثانياً وحدثت في هذه الهدنة أو المعركة متناقضات عجيبة فالرجل حارب ابنه .

وسألته : ما هي البنود الهامة في صلح الحديبية ؟

قال : أن يرجع عامه هذا ويأتوا بدون سلاح مرة ثانية .

أجل ما في هذه الغزوة أن رسول الله استشار امرأته وأخذ رأيها . . فحينما منع المسلمون من دخول مكة أمر الرسول من معه أن يذبحوا الذبائح ويحلقوا شعورهم فتقاعسوا فأمرهم فتقاعسوا فأمرهم فتقاعسوا فدخل على زوجته أم سلمة ووجدته مهموما فسألته عما به فقال :

أمرتهم فلم يطيعوا وإنى أخشى عليهم عذاب النار فقالت يا رسول الله أخرج فادع بحالقتك يخلق لك فإذا رأوا أنك تخلق تقاتلوا على الحلاق فخرج ودعا بحالقه . . ويقول الرواة أنه لم تسقط شعرة من شعر رسول الله على الأرض . وهكذا المرأة ذات الرأي .

\*\*\*

وتحفظ الفنان نور الشريف ليسأله سؤاله الذي يريد أن يكون جوابه دستوراً يعمل به ،

— كيف يمكن لرجال الدين — سواء على مستوى المسئولية أو المثقفين ثقافة دينية — أن يوجهوا الفن بحيث ينعكس على الشباب خاصة والناس عامة أو بمعنى آخر لماذا لا يكون لدينا اعلام ديني ؟

وأضفت للسؤال :

● يعنى مثلاً فيلم الرسالة وهو تقريباً أول فيلم يوصل الإسلام إلى أوروبا مما جعل كثيرين ممن شاهدوه يدخلون الإسلام . . ورحلاتك إلى أوروبا أيضاً أدت رسالة عظيمة لاجتماعك الدائم بتلاميذك ومريدى المعرفة هناك . . لماذا لا يعرض هذا الفيلم هنا أيضاً ؟

الشيخ الباقورى : أنا لا أعرف سببا جوهريا لمنع عرض فيلم الرسالة هنا . .  
أنا شخصيا أطالب الأمة بأن يعرض فيلم محمد رسول الله بالقدر الذى تعرض فيه  
المسلسلات الدينية فى التلفزيون وأنا أرى أن سير عظماء الإسلام فى مراحلهم خير مثل  
يحتذى به ولو أخذنا حياتهم وأحسن كتابتها من جديد وأحسن اختيار الممثلين ولم  
يبخل فى إنتاجها أعتقد أنها ستؤدى دورا هاما فى خدمة الإسلام وكذلك أيضا بالنسبة  
لكل الأديان حيث أصبحنا نحتاجين لإعادة بناء الإنسان بالقيم الموجودة فى الكتب  
السمائية . . والاعلام الدينى ضرورة حتى لا يتوه الشباب فى متاهات ويقع تحت  
تأثير الجماعات المتطرفة التى ليست من الدين فى شىء . .

نور الشريف : التمثيل كفن موجود منذ عهد الفراعنة واليونان وقد ظهر كجزء  
من العقيدة حيث كان الكهنة ومساعدوهم وحتى الآن فى المسيحية نجد أن القساوسة  
والشماسة يأخذون شكلا من أشكال التمثيل . . أريد أن أعرف نظرة الإسلام إلى  
التمثيل ؟

الشيخ الباقورى : التمثيل صورة من صور البيان ولا شك أنه يعين على شرح  
الأشياء . .

واستطرد مرددا الآية الكريمة :

« مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف » .  
أليست العبارات هنا مستقاة لتخدم المعنى . . ؟ هناك باب فى اللغة العربية  
يسمى باب التمثيل . . وهو عبارة عن وضع الصورة المعنوية فى صورة نفسية يستعين  
الإنسان بها على الفهم . . يقول تبارك وتعالى :

« الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . . المصباح فى  
زجاجة . . الزجاج كإنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية  
ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء  
ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم » .

○ وقلت : « سبحان الله : إنها صورة تستطيع أن تثرى الخيال . . صورة  
كتبها بعبارة عقريه الله سبحانه وتعالى . . إن من يقرأ الآيات يحس كأنها لوحة  
مرسومة بعناية وقدسية لا يرقى إليها إلا خالق الخلق .

ويفيض العالم الجليل من علمه مؤكداً رأيَه قائلاً : ورسول الله ﷺ قال حديثاً يعتبر أروع صورة من صور التمثيل . . قال عليه صلوات الله :

« مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثلى رجل بنى بنية فأحسنها وأجملها إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون بها فيقولون ما أجملها ما أحسنها لولا موضع هذه اللبنة الفارغة منها فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

لقد صور المصطفى نفسه مع أنبياء الله فى بيت كامل من كل شىء إلا موضع اللبنة . أى أنه جاء مصداقاً لهم لم يكن مناقضاً لهم . . كان الذى ينقصهم . . وجاء محمد يدعوهم أن يؤمنوا بعضهم ببعض ويتعاونوا على البر والتقوى .

\*\*\*

وتمنيت دائماً أن يتجه شباب السينا إلى التفكير فى الشخصيات الإسلامية وخصوصاً الذين كانوا إلى جانب الرسول فى فجر الدعوة ليخرجوا حياتهم إلى النور بما فيها من مأس وفروسية وعبر فتوجهت بهذا السؤال :

● أستاذ نور هل هناك شخصية إسلامية فى ذهناك تحس أن عندك الرغبة والقدرة على تمثيلها وإبراز كفاحها فى سبيل الدعوة . . شخصية تكون مقتنعا بها نفسياً ومتوحداً مع زواياها بحيث تلقى ضوءاً على الفترة التى عاشتها ؟

نور الشريف : هناك عدة شخصيات تأثرت بها منذ الصغر وقرأت عنها كثيراً . . تمنيت أن أقدم شخصية عمر بن الخطاب فى مسلسل متضمن حياته فى الجاهلية وقدرته على العناد ثم تغييره ودخوله الإسلام ثم خلافته لأبى بكر واتساع الدولة الإسلامية فى عصره أى مرحلة الفتوحات الكبرى . . كذلك تمنيت أن أمثل شخصية عمر بن عبد العزيز لما فى شخصيته أيضاً من أبعاد مختلفة مثل حبه للترف قبل الخلافة ثم زهده وتمثله بالقيم ليكون قدوة بعد الخلافة . . خالد بن الوليد أيضاً تثيرنى فروسيته .

وقبل أن يضىء لنا أستاذنا الشيخ الباقورى الطريق بإجابته عن العمرين سألته هذا السؤال :

● تمنيت أن تختار للأستاذ نور الشريف بما لكم من قراءات وتأملات واجتهادات فى دراسة الشخصية أيها تحس أنه سيعطى الرسالة حقها لو أخرج

للناس فيلماً سينمائياً أو حلقات مسلسل؟

سكت الشيخ قليلاً وكأنما يقارن بين الشخصيتين ثم قال :

— عمر بن عبد العزيز شيء وعمر بن الخطاب شيء آخر ، على أن ابن عبد العزيز من نسل ابن الخطاب فورث عنه وتشبه به فنستطيع أن نرى التشابه بينهما في التسامح ولكن عمر بن الخطاب كان متشدداً جداً وقت الشدة ولكن خيط التسامح عند ابن عبد العزيز كان أقوى وهذا لاختلاف الفترتين فقد كان الإسلام في أول الدعوة محتاجاً لقوة وشدة ابن الخطاب .

\*\*\*

وليبدأ نور الشريف بتمثيل شخصية عمر بن عبد العزيز لأن فترة خلافته لم يلق عليها كثير من الضوء رغم أهميتها . . . وعمر بن عبد العزيز حينما تولى إمارة المؤمنين كانوا في حالة غليان وكان عدد الخوارج في تزايد . . فلما جاء حطوا جميعاً سلاحهم حتى الذين خرجوا على الدولة أيضاً قالوا ما ينبغي لنا أن نقاتل مثل هذا الإنسان . . فوقفت الحرب دون أن يقول كلمة واحدة . وأبرز ما فيه أنه جاء فرد المظالم وكان قومه من بني أمية قد اغتصبوا الأرض من الفلاحين فجاء وأشعر الناس أنه يريد أن يرد الأرض فجاء المعتصبون وقالوا له لقد ارتبطت بالأرض أرزاق أولادنا وجاههم وحياتهم وقالوا له تالله لأن فعلت ليثورن عليك الناس فقال كلمته المشهورة « تالله لولا أنني أخشى أن تستعينوا على بمن أطلب الحق لهم لأمرغن خدودكم في التراب . الشيء الثاني في هذا الخليفة المؤمن أنه كان رجلاً متسامحاً مع أهل الذمة .

وحينما عجز بنو أمية من أن يستنقذوا منه أرضهم وضعوا له السم فشر به وأحس بالموت فدعا بخادمه وقال له ما الذي حملك على أن تضع هذا ؟

قال الخادم :

— أعطوني ألف دينار ؟

— هاتها ! . . وأمر بها أن توضع في بيت المال . . . !!

وقبل أن يموت ذهب إلى دير خرب في حمص وكان يعيش بقميص واحد يغسله يوم الجمعة ويتنظر أن يحف ويلبسه ليؤدي الصلاة وقال لصاحب الدير حينما اشتد عليه السم :

بكم تباع لى قطعة من الأرض طولها متر ونصف وعرضها نصف متر ؟  
قال له : بكذا . . ومع ذلك لقد جئت إليك يا أمير المؤمنين بأول قطف من  
العنب نضج فى الحديقة .

فقال له أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : لا لن أقبلها منك لأننى حاكم وكأنك  
أعطيتها كرشوة لا هدية فأرجو ألا تصر على أن آخذها منك ، إنما بعنى قطعة الأرض  
فإذا أنا مت فادفنى فيها فإذا حال الحول فأحرقها وأزرعها . . فعل ذلك الديرانى بعد  
وفاة عمر ابن عبد العزيز . . وحينما جاء بنو العباس ينشبون قبور بنى أمية لم ينج إلا  
قبر واحد من الحفر هو قبر عمر بن عبد العزيز . . وخير من كتب فيه رسالة هو  
الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل فقد كتبها بفكر واضح ناضج .

وسألته هذا السؤال :

● هل ستحجب أيضا شخصية عمر بن عبد العزيز عن الناس بأمر الأزهر أو  
ما شابه ذلك ؟

قال وهو يؤكد كلماته :

— لا . . لن تحجب لأنه ليس من صحابة رسول الله والتابعين لا يحجبون .  
لقد توفى عمر بن عبد العزيز عام ٩٨ هجرية أى بعد وفاة الرسول بفترة طويلة جدا .  
وكان الجواب بالحجرة أصبح مشحونا بعلامات الاستفهام والأسئلة الكثيرة وخفت  
على فضيلة العالم الجليل من الإرهاق ولكنه كان يبدو سعيدا متدفقا كعادته .

\*\*\*

وسألته نورا هذا السؤال :

— رجال الدين يحجبون شخصية رسول الله ﷺ على أساس أن شخصيته  
لا يمكن أن يمثلها أحد . . فلماذا تحجبون الصحابة أيضا ؟

فقال الشيخ الباقورى :

— أنا لا أرفض ظهور الصحابة ولكنى أرفض ظهور شخصية الرسول عليه  
الصلاة والسلام . . إن الذى يمثل شخصيته عليه السلام لا يمكن أن يوجد  
فالصفات الخلقية لسيد الخلق الذى اختاره الله ليوصل للناس رسالته لا يمكن إيجادها

في شخص . . ولقد نجح الغرب في اختيار شخصية من يمثل دور « حياة وآلام السيد المسيح » ودفعوا له خمسة ملايين دولار حتى لا يمثل أدوارا أخرى بعد ذلك ولكن هذا خطأ أيضا لأن للرسول في وجدان الناس صورة خاصة لا يجب أن تهتز أبدا .

نورا : أنا لا أتكلم عن الرسول ﷺ لأن هناك استحالة لجمع صفاته في شخص . . أنا أتمنى أن نرى الصحابة في أفلام كبرى تليق بهم من حيث البحث وتحقيق السير والإخراج .

الشيخ الباقوري : أنا لا أرفض إطلاقا ظهور صحابة رسول الله وأتمنى أن تخرج للناس بصورة لا تقلل من شأنهم .

● لماذا إذن منعوا فيلم الرسالة من العرض هنا ولا يظهر فيه رسول الله ولا أحد من صحابته . . لقد ظهر سيف على بن أبي طالب فقط !

الشيخ الباقوري : بالمناسبة أنا لا أمانع في ظهور على ابن أبي طالب أبدا . . إن عليا كرم الله وجهه شخصية عاشت حياة الإنسانية بكل ما فيها . . ألم يفكر على أن يتزوج على فاطمة بنت سيد الخلق ؟ إنه تصرف عادى ولكن في الواقع يجب أن يكون ظهور هذه الشخصيات في حدود ضيقة وبحرص شديد وتكرم الشخصية بفرض القيود على من يمثلها .

وكانت وجهة نظري شخصا أن الحرص في اختيار من يمثلون هذه الشخصيات واجب وضروري حتى تظل الهالة التي يتخيلها كل منا حولهم كما هي . . نفس الثراء في التصور ونفس التأثير الذي تفعله يظل هو من بعد خروجها إلى الشاشة .

أنا على أية حال لا أستثنى إلا رسول الله فقط وبالشروط الدقيقة يمكن لأي شخصية إسلامية أن تظهر في السينما .

فقلت : إن ظهور الخلفاء الراشدين يلقي ضوءا ويخدم الرسالة أكثر من احتجابهم .

\*\*\*

وسأل نور الشريف سؤالا يتبادر للأذهان كثيرا ولا يجد جوابا :

- عقاب المسلمين المخطئين في الآخرة مشروع في القرآن ولكن البعض يقول

إن غير المسلمين سوف يدخلون النار لأنهم لم يسلموا . . فما حكم الذين لم تصلهم الرسالة ولم يشرحها لهم أحد سواء في آخر الدنيا أو هنا ؟

ولكل سؤال جواب وقال الشيخ الباقوري :

— أولا رأى الشيخ الإمام محمد عبده وأستاذه الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذهما الشيخ رشيد رضا أن هؤلاء الناس هم من أهل الفترة . .

ومن هم أهل الفترة ؟ هم الذين لم يبعث إليهم رسول ويقول الله تعالى في ذلك « وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا » إذا كان الله سبحانه وتعالى قد رآه لا يعذب إلا بعد إبلاغ الدعوة . . فكيف يعذب هؤلاء ؟ ثانيا أن تعذيبه يناقض الحكمة والعزة والله مبرأ عن ذلك كما نقرأ قوله تعالى :

« وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد » .

ثم قال : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » .  
قال العالم البصير بلغة القرآن أفلا ترى كيف رتب القرآن جواب أن على فعل الشرط تأمله فإنك ترى العجب .

ترى أنه قال له إن تعذبهم فإنهم عبادك إفعل بهم ما شئت . . أنت حر . لكن فى الجانب الثانى بينه بالعزة والحكمة حين يغفر لهم .

\*\*\*

وتتفرع الأحاديث وكأننا كلما ازددنا علما ازددنا حبا للمعرفة . . وسألته نورا هذا السؤال .

— ما رأيك فى تحضير الأرواح . . وما رأيك فى الجن ؟

إبتسم وكأنه توقع هذا السؤال وقال :

— قرر العالم الشيخ محمد فريد وجدى أن الأرواح علم له أصول وفروع وأنه



يدرس بصورة واسعة في أوروبا وأمريكا فمن شاء المعرفة فعليه بدائرة معارف القرن العشرين للعالم الجليل ذاته وتحضرني حكاية أحكيها لكم عن الشفافية والأحلام أيضا ولها صلة بعلم الأرواح ..

في شهر فبراير عام ١٩٣٣ ذهبت مع أستاذي المرحوم الشيخ حسن البنا إلى الإسماعيلية وكان قد بنى مسجدا هناك وكان بالمسجد رجل تقى ورع اسمه الشيخ محمد .. هذا الشيخ كنا لا يمكن أن نراه إلا في حالتين إما قائما في صلاة أو قارئا للقرآن .. وكان الشيخ حسن البنا يجمعنا كعادته بعد صلاة العشاء ثم نجتمع ثانيا بعد صلاة الفجر ويقول لنا مقتديا برسول الله :

— من منكم رأى مناما الليلة .. ؟ فيقص علينا القاصون ما رأوا من منام .. وسأل الشيخ محمد أستاذنا الجليل وقال له :

يا أستاذي أنا أصوم الخميس وأقرأ القرآن طوال الجمعة حتى النوم لأستطيع أن أرى رسول الله في المنام ولا فائدة طوال عامين فيما أنى غير مسلم وإما أن رسول الله لا يُرى فقال الشيخ حسن البنا :

يا عم الشيخ محمد ! .. إن الله يحب لعبده أن يلح في الدعاء فاستمر ولعلك ترى ..

وفي الأسبوع التالي ذهبنا إلى هناك وجدت شيئا أرويه لكم وأتحمل تبعته أمام الله وأمام الناس وأمام الإخوان المسلمين ..

قال الشيخ محمد :

— صحت يوم الخميس وظللت طول اليوم راكعا ساجدا آخذا بنظرية مالك ابن دينار الذي يقول « قيل له إنك تعتزل الناس وتجلس وحدك وهذا لا يليق ؟ فقال من أنبأكم أنى وحدي . إننى أجالس ربى فإن شئت أناجيه دخلت في الصلاة وإن شئت أن يناجيني هو قرأت القرآن » .. وهكذا التزم الشيخ محمد طريق مالك بن دينار ليرى رسول الله في المنام وأكمل الرجل حديثه قائلا — لقد من الله على يا سيدى بفضل منه فرأيت الليلة رسول الله ﷺ أما كيف يا سيدى فاسمع منى :

أنت تعلم كما أخبرتنا إذا نمنا وضعنا يدا اليمنى وسادة ثم نمت وكانت على عيني اليسرى سحابة لا أرى منها شيئا فبعد أن نمت وجدت عيني موضوعة داخل يدي

اليمنى لا ترى وعيني اليسرى عليها سحابة وقبل الفجر خيل إلى أنني أرى شخص رسول الله فقلت : يا رسول الله .. أنا منذ عامين أريد أن أراك ولا أستطيع فقال لي صلوات الله عليه طيب يا شيخ محمد ها أنا قلت له أنت ترى أن عيني اليمنى في كمي وعيني اليسرى عليها سحابة ثم بكى الشيخ وقال وإذا يد تمسح على عيني وأراه .. وأتوني بمصحف أقرأ لكم الآن .. فعلا كان الرجل قد رأى !!

وتناقشنا في الموضوع بشكل علمي مع الشيخ حسن البنا فقال :

— إنه حينما رأى رسول الله اهتز عصبيا اهتزازا شديدا حرك السحابة ولم أره يقرأ بعيني رأسى ما صدقت .

وظل الرجل مجذوبا بشخص رسول الله حتى توفاه الله .

وفي نفس الموضوع سأل نور الشريف :

— وما رأيك في السحر : وما رأى الدين فيه ؟

قال بلا تردد :

— السحر موجود يقينا .

نور الشريف : كما حدث مع سيدنا موسى ؟

فرد الشيخ بآيات الله :

— قال الله تعالى « قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد » .

إذن السحر موجود .. والنفاثات هن الساحرات كما أن الحسد موجود كما هو في الآية الكريمة واقرأ هذا الفصل في كتاب الملل والنحل ترى العجب وسوف ترى من عجائب الكون شيئا غريبا ..

في الريف الرجل يؤخذ من امرأته بالسحر هذه أشياء موجودة وهناك أشخاص معروفون بقدرتهم وقوتهم في هذه الأشياء .

لقد حضرت محاضرة في الجامعة الأمريكية عام ١٩٣٧ وقال المحاضر إنه يتحدث الذي لا يصدقه فيجعل امرأته تلعنه ولو كانت تحبه .

نور الشريف : عندى سؤال يدور فى ذهن الناس جميعا على ما أعتقد وهو هل الإنسان مسير أم غير ؟

واعتدل الشيخ فى مجلسه وتردد كأنما يسترجع الإجابة ثم قال :

— يجب أن نعلم أولا أنه لا يقع فى ملك الله شىء رغم إرادة الله . . فعالم الفلك يعلم أن الشمس تنكسف فى يوم كذا فهل ترى أن علم الفلك له تأثير أو العلم هو مجرد اكتشاف . . هل صفة العلم صفة كاشفة أو صفة مؤثرة ؟ القطع الذى لا سبيل إلى المنازعة فيه أن الله تعالى عالم محيط .

نور الشريف : مؤكد . . !

الشيخ الباقورى : عال . . وأن العلم ليس إلا صفة يكشف بها الله تعالى كل ما كان وما يكون . سؤالنا إذن عن مسير أو غير هو سؤالك عن حركتك وأنت تأتى الفعل سواء كان أمرا أو نهيا فضيلة أو رذيلة . . أتشعر فى هذه الأثناء أنك مسير أم غير هذا هو السؤال . . أما ما فى علم الله فإن ما عند الله لا يزيد عن إنه صفة تنكشف له بها الأشياء فسؤالك يدور عن الأمر التكليفى الذى يحاسب عليه الإنسان . . الأمر التكليفى هو حركتك إلى الفعل سواء ثوبا أو عقابا . . هل تشعر وأنت تأتى فعلا مشينا أو شائنا أن هناك يدا تحركك أم أنك فى هذه الحال تمضى بمطلق إرادتك واختيارك وحريتك . .

نور الشريف : يعنى ربنا سبحانه وتعالى أعطانا العقل لنناقش به الأمور . . إني أرى من كلمات فضيلتك أنه لو لم يكن هناك تخيير فمؤكد هناك جزء كبير من حياة الإنسان هو غير فيه وإلا ما كان هناك عقاب من الله سبحانه وتعالى . . لو أن الإنسان مسير فكل شىء يعلمه الله حتى الخطأ فإذا عاقبه الله فيكون هذا ظلما وهذا ليس من صفات الله أعتقد أن التيسير فى الخلق . . خلق الإنسان ثم جعله يعيش ثم أماته والاختيار فى السلوك . .

الشيخ الباقورى : التيسير هو القدر . . لذلك أنت تقول أن الإنسان يوجد أفعال نفسه بقدرة أودعها الله فيه لا تقول أن الله هو الذى أوجب وإلا وجب عليك أن تقول أن الله هو شارب الخمر أو أن الله هو سارق الشىء ، فى الواقع أنت الفاعل وكل ما فعله الله معك أنه أقدرك على هذا الفعل ، أما أنت فلك الحرية كاملة فى أن تفعل أو لا تفعل فالإنسان فى هذا الاعتبار غير على وجه اليقين عن الفعل إن شاء أن

يُمتنع .

عزة الباقورى : هل ممكن أن نستزيد من هذه النقطة ؟

الشيخ الباقورى : هل يجوز لخالق الخلق ألا يعلم فعل عباده ؟ .. طبعاً لا ؟ ..

هل إذا فعل أحدكم شيئاً هل يشعر أن يداً أمسكته وحركته ؟ أو إذا لم يفعل شيئاً هل يحس أن يداً منعتة من الفعل ؟ .. إنك تجلس وتأكل وتشرب وتتحرك بإرادتك .. إذن الله يحاسبك على هذه الحركة فقط .. هذه الحركة اختيارية على وجه اليقين ..

عزة : إن قدرق البشرية وتفكيرى من خلق الله أليس كذلك ؟

الشيخ الباقورى : نعم ..

عزة الباقورى : إذن حينما أتصرف كيف أحاسب على هذا التصرف ؟

الشيخ الباقورى : ماذا تفعلين إذا وجدت أنبوبة البوتاجاز تنفجر ؟

عزة الباقورى : أجرى وأبتعد عنها ..

الشيخ الباقورى : إذن أنت تبتعدين باختيارك .. فلا يمسك الله بيدك ليعبدك أو يمسك بها لتظلى واقفة !

ابنته عزة : لا إن الله أعطانى العقل لأفكر !

الشيخ الباقورى : عال .. هذا العقل الذى أعطاه الله لك لتبعدى عن النار هو نفسه العقل الذى أعطاه الله لك لكى تبتعدى عن مناهى الله وتقتربى من مرضيه .

\*\*\*

نور الشريف : ما هو موقف المتخلفين عقلياً من الثواب والعقاب ؟

الشيخ الباقورى : هناك أفعال اضطرارية .. العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدره أو بعقله أما الأفعال الاضطرارية فهى ليست أفعاله وإنما هى ما يسره الله فيه فكل فعل اضطرارى ليس للإنسان فيه اختيار والإنسان غير محاسب عليه .

وأضفت هذه الاضافة التى رد عليها الشيخ الباقورى :

● أننا نكتسب من الحياة والبيئة صفات تكون شخصيتنا .. مثل الصدق والكذب وكذلك لا يولد اللص لصا وأعتقد أن كل ما هو مكتسب يستطيع الإنسان أن يقاومه بقدر قوته وتأثره بالقيم .

وأجاب الشيخ : طبعاً هذا حقيقى إلى جانب ذلك فتح الله أبواباً من التقدير .. تقدير هذه الأشياء التى جل جلاله وضع لها العلاج الذى يدفع عن الإنسان وصمة الاحساس بالاجرام فمثلاً قال :

( ان تجنبوا كبائر ما تمهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ) .

ثم قال تبارك وتعالى :

( الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم ) .

قال الإمام الزمخشري وهو قد جاور في المسجد الحرام خمسا وعشرين سنة .. القبلة والغمرة واللمزة .. ويقولون أن فيه كبائر وصغائر التى يعبر عنها باللمم وأن الكبيرة هى كل ذنب وضع الله له حدا ينفذ على مرتكبيه وهو الفاحشة والسرقة وعقوق الوالدين وشرب الخمر والقتل .

\*\*\*

دائماً يختلف الناس على صوم المسافرين فالآية الكريمة تقول :

( فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ) ..

وللجدل الذى كثر حول حكمة صوم المسافرين وجدتها فرصة لإنائه فسألته :

● إن السفر الآن يختلف عن السفر عند نزول الرسالة فهل مازالت الرخصة

كما هى فى السفر ؟

قال الباقورى :

— الصيام له علة وله حكمة .. العلة لا تختلف باختلاف الأشخاص والحكمة

تختلف باختلافهم والذى تعلمته من صغرى أن كل علة لحكم يجب أن تكون مشتملة على حكمة تصلح أن تكون مقصودة للشارع من شرع الحكم .

الحكمة دفع مشقة الصيام عن المسافر لكن المشقة تختلف باختلاف الناس . .  
فمثلا الناس المترفين في بيوتهم . . المشقة في حقهم لا تعتبر مشقة لرجل فلاح مسافر  
مثلا . . لذلك يقال إن العلة في إفطار الصائم دفع المشقة لأن المشقة غير منضبطة  
وهذه حكمة لا تصلح أن تكون علة لذلك قالوا أن العلة في إباحته للصائم هي أن  
يسافر في الفترة التي يطلق عليها عرفا أنها سفر وهي يومان بالجمال أو ٨٠ كيلو مترا  
هذه العلة مضبوطة لا تختلف . .

نور الشريف : يؤكد اختلاف وسائل المواصلات مثل الطائرة المكيفة التي تنقل  
المسافر في ساعات لا تعتبر سفرا يبيح الإفطار ا

الشيخ الباقرى : أبدا ممكن يسافر الإنسان وتكون طائرة مكيفة ويفطر لأنه  
ممكن أن يكون في بيته مستريحا أكثر .

وقلت : الحالة النفسية التي يكون عليها الإنسان سواء القلق أو النقلة السريعة  
من مكان لمكان والخوف من الطائرة أعتقد يبيح الإفطار .

الشيخ الباقرى : تمام . . إذن هناك فرق بين العلة التي لا تختلف باختلاف  
الأشخاص وهي معنى السفر والحكمة التي هي دفع المشقة . . المشقة تختلف  
فلا تصلح علة والسفر لا يختلف فيصلح علة ولهذا جاء في القرآن « من كان منكم  
مریضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » فليس هناك تحديد لا للمرض ولا للسفر كل  
ما يطلق عليه عرفا أنه مرض يبيح الفطر .

\*\*\*

وبسعادة غامرة وبعطاء سهل كأنه النبع الصافي وبروحه المرحه العاليه إلتفت إلى  
الجمع وقال الشيخ الباقرى :

. . هاتوا ما عندكم من أسئلة . . أنا سعيد بكل ما تسألون ؟

فقال نور الشريف وهو يغالب الخجل :

— في الواقع إحنا أرهقنا حضرتك جدا . . لكن هي فرصة فعلا لنسألك  
ما نريد لأننا لن نجد من يجيبنا خيرا منك . . ماذا عن الغناء في الإسلام ؟ .

وقالت نورا : وماذا عن التماثيل ؟

وقال الشيخ : التماثيل أباحها الامام محمد عبده وهى تعتبر فنا معبرا . أما عن الغناء فقد كان لرسول الله حاد أو منشد اسمه النجاشى وكان حسن الصوت لدرجة أن الرسول كان يدلّله « أنجشة » وكان إذا خرج خرج معه بعض نسائه وركبن العيران ويغنى النجاشى فتسرح الابل ومعروف عنها أنها تجوع وتنظما . . . وحينما يغنى لها تنطلق وتقتحم الصعاب بالغناء . . فكان سيدنا رسول الله يقول التعبير :  
يا ( أنجشة رفقا بالقوارير ) . .

أى ترفق بالنساء اللاتي يشبهن الزجاجات الرقيقة واللاتي يركبن الجمال فإذا أسرع يؤذيها وأظن أنه ليس هناك تعبير أرق من تعبير رسول الله . . فإذا كان الجمل ينفع بالغناء والموسيقى فأين يقع الانسان من هذا إذن ؟  
نور الشريف : حقيقة الانسان يتأثر بالغناء والموسيقى إلى حد كبير .

فقلت : إن الموسيقى تستخدم علاجا الآن ليس للأمراض النفسية فحسب بل للأمراض العضوية أيضا فقد أجريت تجربة أخيرة على مرضى السكر بحيث يستمعون يوميا إلى موسيقى مهدئة لوقت محدد وبعد أيام قليلة كانت نتيجة التحليل مذهشة . .

وقبل أن نترك شيخنا الجليل العظيم يستريح من علامات الاستفهام الكثيرة التى وجهت إليه وأجابها بفتنة وغزارة علمه وسعة صدره سألته أن يقول لنا دعاء لجمعية الأخاء الدينى التى تضم مجموعة كبيرة من المثقفين المصريين مسيحيين ومسلمين . .

فقال : اللهم إليك نتوجه وعليك نتوكل وبك نستعين وإياك نسأل أن ترزقنا قوة الإيمان بك وحسن الثقة فيك وجميل التوكل عليك ونسألك يا الله أن تجعل كلامنا وفيه لعقيدته آمينا على دينه فى غير تزمت نشقى به فى أنفسنا ولا تعصب يشقى به مواطنونا ونتضرع إليك يا ربنا أن تبارك إخواننا الدينى وتجعل الصدق رائدنا والعدل غايتنا منه والسلام ذخيرتنا فيه يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام آمين ) .

وخرجنا ولا نريد أن نخرج . . أمضينا أربع ساعات مضت لم نشعر بها . . أحسنا فقط بالخرج فقد تصورنا أننا لا بد قد أرهقناه ولو أن الإرهاق لم يبد عليه تأدبا وسعة صدر تذكرنا بما فى خيالنا من صور لرجالات صدر الإسلام وصحابة الرسول

حيث كانت إجابات السائلين عندهم متعة . . رحمه الله رحمة واسعة بقدر ما نفع  
الناس من علمه .

\*\*\*

حينما شرعت في جمع حوارات مولانا الشيخ الباقوري في كتاب تكتمت الخبر  
حتى يكون مفاجأة لأسرته الصغيرة أهل بيته ولكل محبيه وتلاميذه في مصر كلها . .  
وفجأة وجدت السيدة حرمه تحادثني وتطلب مني أن أعيد قراءة حوار كتبت في يوميات  
الأخبار في ١٦ ديسمبر عام ١٩٧٧ وكان الحوار حول رأيه في تاريخ المسلمين وكيف  
يغزو السينما . . وقرأت الحوار وقررت أن أضمه لهذا الكتاب ومعه رأيه أيضا أثناء  
رئاسته للجنة الشؤون الإسلامية التابعة للجنة المركزية بالإتحاد الاشتراكي .

أردت بهذا أن أفرد أكبر مساحة ممكنة من حواراتي معه والتي تضم آراؤه في كثير  
من الأشياء وليس مشواره ثائرا فقط ولكن مقومات هذه الثورة أيضا من تأصيل  
لأرائه في الفن والحياة .

\*\*\*

تعقد لجنة الشؤون الإسلامية التابعة للجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكي اجتماعا  
يحضره أكثر من ٤٠ عضوا برئاسة فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري ، لتحديد  
موقف الاسلام من فيلم « محمد رسول الله » الذي قررت المغرب وقف تصويره بعد  
سلسلة من الاتصالات بين الدول العربية .

وخلال الاجتماع الذي تعقده لجنة الشؤون الإسلامية . . ستتم مراجعة  
سيناريو الفيلم ، ومناقشة تفاصيل الشخصيات التي تضمها أحداث الفيلم قبل  
إصدار الكلمة الأخيرة .

وقصة فيلم « محمد رسول الله » بدأت عندما تقدم منتج مصطفى العقاد  
بمشروعه إلى مجمع البحوث بالأزهر ، الذي أباح عنوان الفيلم ، ولكنه اشترط عدم  
تمثيل شخصية النبي ، ولا أحد من أصحابه ، ولا أحد من أهل البيت .

وقد أعد اسماعيل القاضي عضو اللجنة المركزية ومقرر لجنة السينما بها تقريرا  
عن فيلم « محمد رسول الله » يتم مناقشته اليوم وقد أثبت فيه إسماعيل أن هذا الفيلم  
ليس كما قيل عنه أن مصر مشتركة في إنتاجه مع السعودية ، وأن ضمن أحداث



السيناريو ما قد يسمى إلى الإسلام وأن سيناريو الفيلم لم يعرض على إدارة الرقابة على المصنفات الفنية بالقاهرة لهذه الأسباب ولغيرها لا بد من إيقاف تصوير الفيلم . . . قال لى فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى رئيس لجنة الشئون الاسلامية باللجنة المركزية .

— الموضوع ببساطة إما أن نجنى على التاريخ ، وإما أن نجنى على الشخصيات المقدسة التى ستظهر فى الفيلم . فإذا ظهر أصحاب الرسول وآل بيته فى صورتهم التى كانوا عليها . . . وهى صورة لا تعجب الذوق الحاضر فنكون قد اعتدينا على أشخاصهم المقدسة . وأما أن نلبسهم صورة أخرى تعجب الذوق الحاضر فنكون قد اعتدينا على التاريخ . . . ولا خير فى الاعتداء لا على الشخصيات المقدسة ولا على التاريخ ! .

ومضت لحظات صمت قال بعدها فضيلة الشيخ الباقورى :

أعداء الإسلام يصورون محمد ﷺ دائما بصورة الإنسان الذى أقام دعوته إلى الإسلام على القوة والسيف . . . ومن بين أحداث الفيلم معركتنا بدر وأحد . وهذا يعنى تأكيد الدعوة الكذوب التى يقوم بها أعداء الإسلام من أن الإسلام قام بقوة السيف ، وليس بقوة الاقناع .

ويقول رئيس لجنة الشئون الاسلامية باللجنة المركزية :

— إخواننا الذين قدموا فيلما عن السيد المسيح عليه السلام فى أمريكا اشتروا على من مثل شخصيته أن يحكم على نفسه بالموت الاجتماعى . . فلا يرقص ولا يجلس فى مقهى . . ولا يأق بأى صغيرة تمس كيانه بين الناس لأنه فى رأيهم سوف يكون صورة للسيد المسيح . . فإذا كان فى تصرفه عمل ناقص نسب الناس هذا العمل إلى المسيح وسخروا منه ، وهذا معنى جليل يجب التنبه له . . .

وتساءل فضيلة الشيخ الباقورى قائلا :

● ما هى الفائدة الملحة التى تجعلنا نواجه كل هذه الأخطار ونستسيغها ؟  
ورد على تساؤله بقوله :

— لا نرى سببا إلا التسلية . . ومن السخف بمكان أن يكون هؤلاء الكبار الذين أخرجوا الإنسانية من الظلمات إلى النور وسيلة تسلية وهوى فى المجتمع .

ثم وراء ذلك ليست لدينا الشخصيات القوية التي تستطيع بكبر نفسها ،  
وعظمة أخلاقها أن تكون عنوانا صالحا لأي شخصية من هؤلاء الأسلاف العظماء .  
وينهى فضيلة الشيخ الباقرى حديثه معى عن القضية التي يصدر الحكم فيها  
خلال ساعات قائلا :

— وأنا لا أقول « لا » عن مثل هذا الفيلم . . ولا ممنوع قانونا . . ولكننى أقول  
« عيب » وهو أقوى تعبيرا من حرام ديناً ، وممنوع قانونا .

## خاتمة الكتاب

عفواً قارئى العزيز

والله ما قصدت أن أقدم حياة هذا الرجل العظيم ولكنى فقط أطوف بك حول ذلك « الثائر تحت العمامة » الذى عاش حياته يبذر بذور الثورة من أجل زرع حديقة دائمة الخضرة قطوفها دانية من الشورى والعدل والتكافل الاجتماعى . .

لعلى قد وفيت ديننا لهذا الرجل وهو توصيلى للناس بعض من حكمته .

نعم الباز



● زوجاتهم وأنا ...

صدر عن دار الشعب عام ١٩٧٥

الطبعة الثالثة عام ١٩٨٧

● سنوات لحب

كتاب اليوم  
قصص قصيرة

تحت الطبع

● نشتهى أمة الرزاق ... رواية طويلة

● التحقيق رقم الف ... مجموعة قصصية





● في معهد أسيوط الديني كان الطالب أحمد حسن الباقوري هو خطيب المعهد والمنافس لشيخه العدوي ..

تأثر تحت العمامة



● حوار الأمان بين الشيخ الباقوري وقد خلع العمامة وبين الأستاذ فتحى رضوان والدكتور نور الدين طرف . . حوار عمره ثلاثين عاما .

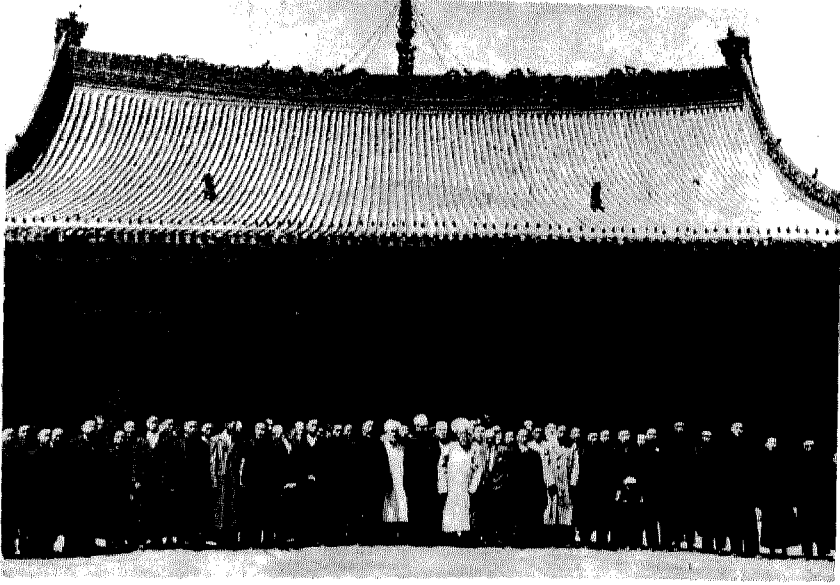




- بعد الثورة بشهور : حين كان الشيخ الباقورى يقوم بالدعوة للثورة والدين فى الاحتفالات الشعبية . .  
وينجواره جمال عبد الناصر وحسين الشافعى وخلفه محمد أحمد



● صورة تجمع بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والشيخ الباقوري وسليمان حافظ في بداية الثورة عندما ذهبوا في رحلة البحر الأحمر بالسفينة فخر البحار للدعوة للثورة ..



● في زيارة عند المسلمين .



● الباقوري وجمال عبد الناصر وصلاح سالم والشافعي في نزهة نيلية .



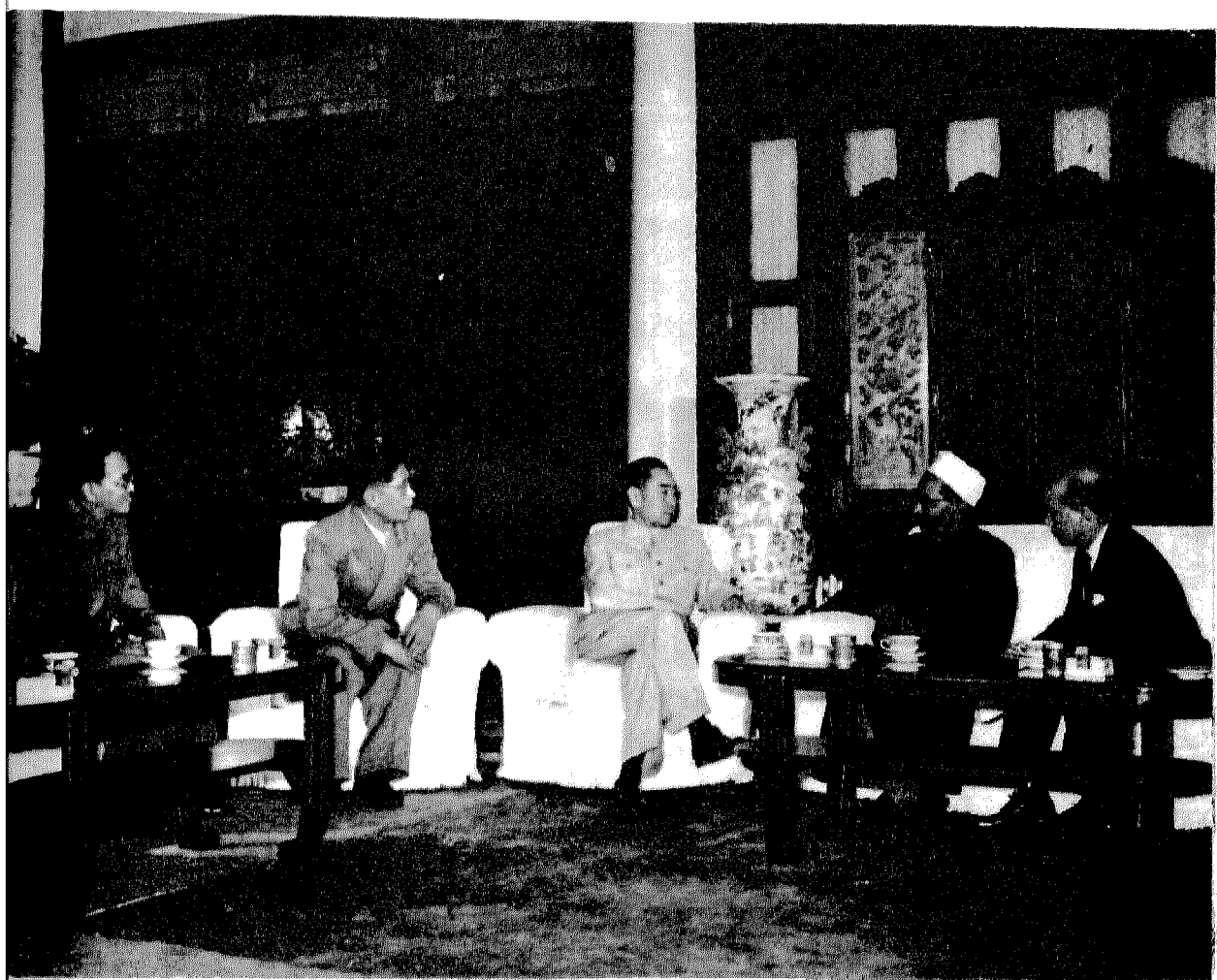
● في زيارة لجنوب السودان : الشيخ الباقرى يجلس على الأرض ويتابع تحفيظ القرآن .



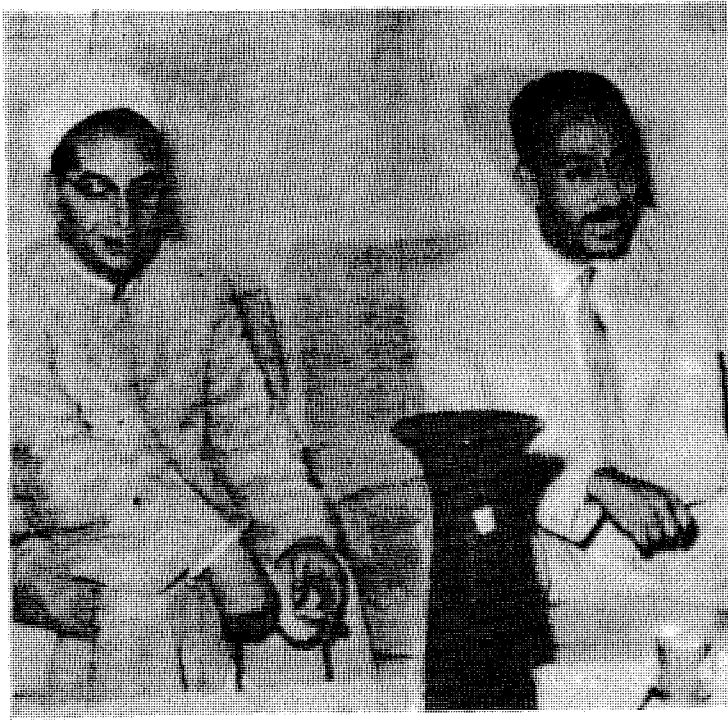
● الشيخ في ثياب العسكرية عندما إلتحق بكتيبة أبو بكر الصديق وبجواره كمال الدين حسين



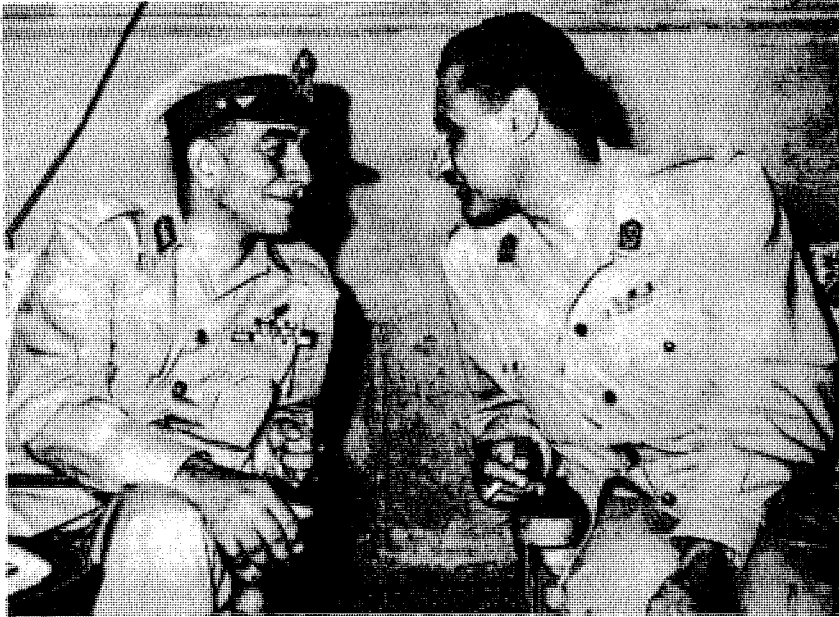
● عبد الناصر قال لي : « سوف ترى أنني أحب الأخوان » . ولكنه لم يكن له وجود واضح في الاتصال بهم قبل الثورة



● أحمد حسن الباقوري عند رئيس وزراء الصين



● السادات كان يتردد على الإخوان المسلمين وكانت إتصالاته بهم مستمرة



● همسة من نجيب في أذن الباقوري؛  
كان رجلا طيبا لا يستطيع قيادة ثوار



● الوزارة الأولى : الباقوري للأوقاف وسليمان حافظ  
للدخالية والقباقي وفتحى رضوان وزيرا دولة





● في مناورات الجيش المصرى : عبد الناصر يشير للباقورى إلى أحد المواقع المعقدة



● مع صلاح سالم في رحلة السودان إكتشف الباقرى أنه كان عصبيا



● في باندونج . . أحتفى سوكارنوبالوفد المصرى برئاسة عبد الناصر وطلبوا من الشيخ الباقورى القاء خطبة الجمعة في مسجد « باندونج »



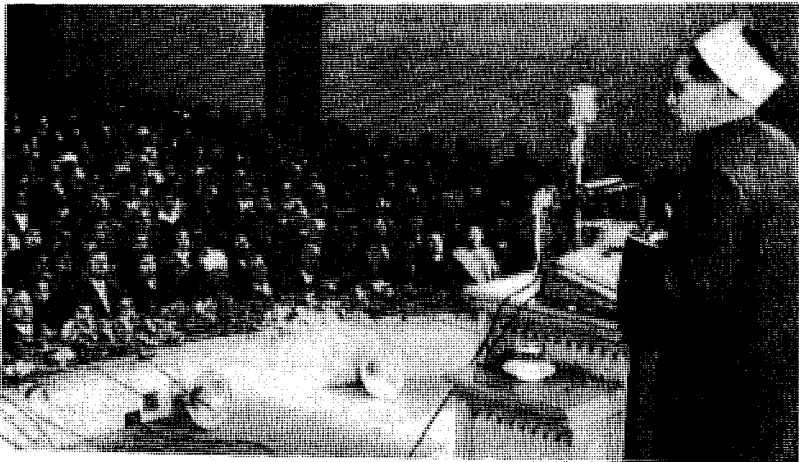
● الرئيس عبد الناصر وحسين الشافعي وصلاح سالم والباقوري يدعو لمبادئ الثورة والإشتراكية



● في جولة بمناطق الإصلاح الزراعى فى الصعيد . إفتersh جمال عبد الناصر الأرض وبجواره عبد الحكيم عامر وصلاح سالم والشيخ الباقورى ونور الدين طرف وعبد الرازق صدقى والصورة من أرشيف الباقورى



● مؤتمر جده ١٩٥٦



● خطاب الباقورى فى عيد الميلاد - منبر كنيسة قصر الدوبار ١٩٥٧



مؤتمر جلد ١٩٥٦



● مع علماء المسلمين في شمال الصين .



● الباقورى . . وزير الأوقاف





● الأستاذ الباقوري وفيده استقالة الوزراء تمهيدا لأعطائها للرئيس محمد نجيب



● الباقوري مع اولاده



● الباقوری مع نور الشریف ونورا



## الفهرس

٧

مقدمة

### ● الحوار الأول

طفولة في باقور صبي في أسيوط

وبذور الثورة تحت العمامة ..... ١٠

### ● الحوار الثاني

هو وحسن البنا وثورة الأزهر ..... ٢٦

### ● الحوار الثالث

الثائر في بوتقة السياسية ..... ٤٤

### ● الحوار الرابع

حاصرون في شبين الكوم واعتقلون في المنيا ..... ٥٨

### ● الحوار الخامس

أسرار التاريخ : عبد الناصر لم يكن في الاخوان

السادات يهرب من السجن ..... ٧٨

### ● الحوار السادس

الثائر في سلة الثوار شاهد على ثورة ٢٣ يوليو ..... ٩٠

### ● الحوار السابع

أزمة الوزراء المدنيين مع ضباط الثورة .. ولماذا قدموا الاستقالة

الجماعية؟ ..... ١٠٨

### ● الحوار الثامن

عندما استقال المدنيون ..... ١٢٠

### ● الحوار الأخير

نهاية المطاف ..... ١٣٤

### ● حوار ما بعد الحوارات

الشيخ الثائر والفن ..... ١٤٨

خاتمة الكتاب ..... ١٧٣

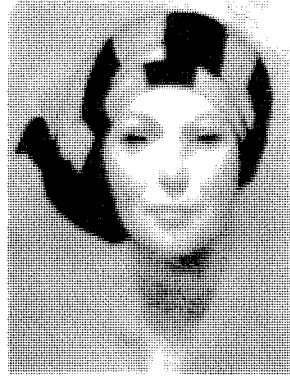
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٨/٥٥٥٥

---

ISBN ٩٧٧ - ٠٠١ - ١٨٨٦ - ٩





- الكاتبة الصحفية والأديبة نعم الباز .
- حاصلة على ليسانس الآداب قسم الصحافة من جامعة القاهرة .
- التحقت بالعمل في مؤسسة أخبار اليوم في نهاية عام ١٩٥٥ .
- التزمت بقضايا المجتمع ورصد التغير الاجتماعي ومتابعته سواء بالحسوار أو التحقيق الصحفي في صحف ومجلات المؤسسة .
- في عام ١٩٦٠ أسند إليها تحرير « باب الأطفال » بجريدة الأخبار والتزمت به حتى الآن كمنبر يطل منه الطفل على المجتمع المصري والعربي والعالمي .
- انضمت إلى كتاب اليوميات بجريدة الأخبار منذ عام ١٩٧٥ وحتى الآن وانحازت إلى القضايا القومية سواء داخل مصر أو في الوطن العربي .
- تعتبر أن نحو الأمية هي القضية التي يجب أن تشغل كل المثقفين في مصر وأن الكتاب يجب أن يدعم ويكون في متناول الجميع لأنه رغبة العقل .